أساطير من الحضارة اليابانية

لافكادو هيرن

ترجمة:
طارق إبراهيم

عن الأشباح والعفاريت

Telegram:@mbooks90

http://elrasm-blkalemat.com
FB.com/elrasm.blkalemaat
Instagram.com/elrsmbkalemat
01061419555
http://elrasm-blkalemat.com

عنوان الكتاب:	عن الأشباح والعفاريت About ghosts and goblins
المؤلف:	لافكاديو هيرن "كويزومي ياكومو"
المترجم:	طارق إبراهيم
الطبعة الأولى:	٢٠٢٤.
المراجعة اللغوية والإخراج الداخلي:	Dr.Right
تصميم الغلاف:	أحمد مسعد

جميع الحقوق محفوظة للناشِر©

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يُعرِّض صاحبه للمُساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

About ghosts and goblins

عن الأشباح والعفاريت

أساطير من الحضارة اليابانية

تأليف

لافكاديو هيرن

"كويزومي ياكومو"

Lafcadio Hearn

ترجمة

طارق إبراهيم

نبذة عن المؤلف

كويزومي ياكومو واسمه الحقيقي باتريك لافاكاديو هيرن Patrick Lafcadio Hearn، كاتب ياباني من أصل أيرلندي يوناني ولد في يوم السابع والعشرين من الشهر السادس في عام 1850 من الميلاد، في جزيرة ليفكادا على الساحل الغربي لبر اليونان، لأب أيرلندي وأم يونانية. نشأ في أيرلندا حيث عانى كثيرًا خلال مرحلة الطفولة عندما تخلت عنه والدته ووالده ومن ثم ولي أمره على التوالي.

هاجر إلى الولايات المتحدة لمدة عقدين من الزمن حيث عمل كصحفي هناك. ولكن تم فصله بسبب زواجه من عبدة سابقة.

انتقل بعد ذلك إلى اليابان واستقر هناك حيث تأثر هيرن كثيرًا بالثقافة اليابانية وبالمجتمع الياباني.

Telegram:@mbooks90

اشتهر هيرن بكتاباته عن الثقافة اليابانية للقراء الغربيين. ظهرت قصص الأرواح والأشباح الخاصة به في مجموعات طوال تسعينيات القرن التاسع عشر وتسعينيات القرن العشرين، والتي كانت مستمدة من الفولكلور الياباني وتأثرت بالمعتقدات البوذية. من أهم مؤلفاته كتاب كوايدان: أساطير الشياطين والبشر في الحضارة اليابانية.

تزوج من امرأة يابانية وأنجبت له أربعة أبناء واعتنق البوذية وتوفي في يوم 26 سبتمبر 1904. كما أنه يعد شخصية مشهورة للغاية في اليابان.

عن الأشباح والعفاريت

منذ زمن بعيد، خلال تلك الأيام التي كانت فيها العفاريت والكيتسونة(1) تسكن هذه الأرض وتعيش بين البشر، قدمت فتاة من الساموراي إلى العاصمة برفقة والديها، لقد كانت بالفعل فائقة الجمال، لتلك الدرجة التي تجعل جميع الرجال يهيمون بها عشقًا بمجرد أن تقع أعينهم عليها.

وهكذا قدم المئات من شباب الساموراي إلى المدينة ممن يرغبون ويأملون في الزواج منها، وسلكوا كل الدروب وبذلوا كل ما في وسعهم من أجل تحقيق تلك الرغبة.

ولأنه كان من المعتاد في ذلك الأوان باليابان أن يتم اتخاذ جميع القرارات التي تتعلق بالزواج من قبل الوالدين فلقد سعى هؤلاء الشباب بالتقدم لطلب الزواج منها لدى والديها.

وكما أن لكل قاعدة استثناء فإن العادات والتقاليد تجد دائمًا من يحيد عنها في وقت ما. وهكذا كانت فتاتنا تلك تشكل ذلك الاستثناء، حينما أعلن والداها أنهما يعتزمان السماح لابنتهما باختيار الزوج المناسب لها بناءً على رغبتها وبإرادتها الحرة، وأن كل من يرغب في الفوز بها سيكون له الحرية في التقدم من أجل خطبتها والفوز بها.

خلال الإيام التالية شهد منزل الفتاة استقبال العديد من الرجال ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة والثروات الطائلة كخطاب. حيث بادر كل فرد منهم بالتودد إليها بأفضل طريقة يعرفها – سواءً بتقديم الهدايا، أو بسرد الكلمات الجميلة الناعمة، أو بإلقاء القصائد التي تمجد حسنها وتصف جمالها، أو بوعود الحب السرمدي.

وما كان منها حينها إلا أن تحدثت إلى كل خاطب منهم بلطف باعثة فيه بوادر الأمل من أجل تحقيق رغبته؛ لكنها في نفس الوقت وضعت شروطًا غريبة من أجل تحقيق تلك الرغبة. لقد أرغمت كل خاطب على أن يقسم بشرفه ويقدم عهدًا بصفته ساموراي، حتى يخضع بكامل إرادته لاختبار ما من أجل أن يثبت حبه لها، كما ألزمته بعدم الكشف أبدًا لأي شخص آخر عن ماهية هذا الاختبار. وهكذا اجتمع الجميع على ذلك ووافقوا بدون استثناء.

ولكن حتى أكثر الخاطبين ثقةً ومقدرة توقفوا فجأة عن محاولاتهم من أجل استمالة قلب الفتاة بعد أن خاضوا ذلك الاختبار؛ وبدا أنهم خائفون من أمر ما وأن الرعب قد تملك منهم جميعًا.

وبالفعل، فر عدد ليس بالقليل من المدينة، ولم يتمكن أصدقاؤهم أو معارفهم من إقناعهم بالعودة. ورغم ذلك لم يجرؤ أحد منهم على الإطلاق على القيام بمجرد التلميح أو الإشارة إلى الأسباب التي دفعته للفرار. لذلك همس أولئك الذين لا يعرفون شيئًا عن اللغز، أن تلك الفتاة الجميلة لا بد أن تكون إما كيتسونة أو عفريته.

ومع مرور الوقت، وبعد أن تخلى جميع الخاطبين ذوي المكانة المرموقة والثروات الطائلة عن رغبتهم في الارتباط بالفتاة، جاء ذلك الساموراي الذي لم يكن يملك من الثروة سوى سيفه. لقد كان بالفعل رجلًا صالحًا وصادقًا، يمتلك حضوراً جذاباً ولديه شخصية خاصة تسحر الآخرين. وهكذا بدأت الفتاة في الإعجاب به والميل إليه. ولكنها جعلته يأخذ نفس العهد على نفسه كما أخذه الآخرون؛ وحينها وبعد موافقته على ذلك الشرط العجيب طلبت منه العودة إليها في ليلة محددة.

عندما حانت تلك الليلة، لم يجد من يستقبله في المنزل سوى الفتاة نفسها. حيث كانت في انتظاره بعد أن أعدت له الطعام بيديها من أجل الحفاوة به وإكرامه، ومن ثم أخبرته أنها ترغب في مرافقته لها والخروج معها إلى مكان ما في ساعة متأخرة

من الليل. وبالفعل ما كان منه إلا أن وافق على ذلك بكل سرور مستفسرًا عن المكان الذي ترغب في الذهاب إليه. ولكنها لم تجب على سؤاله، حيث خيم جو من الصمت التام عليهما، وأصبحت الفتاة في منتهى الغرابة. وبعد مرور فترة وجيزة من الوقت انسحبت من المنزل في هدوء غريب تاركةً إياه وحيدًا.

لم تعد إلا بعد أن انتصفت تلك الليلة الغريبة بفترة طويلة، مرتدية ملابس بيضاء بالكامل - كأنها روح هائمة - ودون أن تنبس ببنت شفة أو تتلفظ بكلمة واحدة، أشارت إليه حتى يتبعها. أسرعوا إلى خارج المنزل بينما أمست المدينة كلها غائبة في ثبات عميق. عادة ما كان يُطلق على تلك الليلة كلمة أوبوروزوكي- يو oborozuki-yo أو "ليلة ضبابية مقمرة". يقال دائمًا أنه مثل تلك الليلة تهيم الأشباح متجولة في أطراف المدينة.

لقد قادته علىَ الطريق مسرعة بينما كانت الكلاب تعوي بشدة كلما مرت بجانبها؛ وعندما أصبحا خارج حدود المدينة وجد نفسه فجأة في مكان غريب يحتوي على مجموعة من التلال تظللها أشجار ضخمة، حيث تتواجد مقبرة قديمة. وفي غضون ثوانٍ معدودة أنزلق ظل أبيض في الظلام مقتحمًا تلك المقبرة، في هذه اللحظة تبعها واضعًا يده على سيفه وعلامات التعجب مرتسمة على وجهه. ولكن حينما تعودت عيناه على الظلمة بدأ يرى ويشاهد ما يحدث.

استمرت في السير داخل المقبرة حتى توقفت فجأة عند قبر حُفر حديثًا حيث كانت أدوات حفار القبور لا تزال ملقاة هناك وأشارت إليه أن ينتظر، تناولت المجرفة بقوة وباشرت بالحفر بشراسة وسرعة غريبة. وأخيرًا ضربت بمجرفتها غطاء التابوت بقوة مما جعله ينفتح، وفي تلك اللحظة تحطم تمثال الغوان(2) Guanyin الخشبي الأبيض الذي كان من الواضح أنه تم نحته ووضعه هناك حديثًا. تناولت ما بداخل التابوت ومزقت الغطاء لتكشف عن جثة ما بداخله – لقد كانت جثة طفل. وبحركات وإيماءات شيطانية، انتزعت ذراعًا من الجسد، وقامت بتقسيمه إلى قسمين، وبينما

همت بالجلوس في وضع القرفصاء بدأت في التهام النصف العلوي. ثم ألقت إلى حبيبها النصف الآخر، وصرخت به قائلة: "إن كنت بالفعل تحبني وتريدني فأبدأ بالأكل! فهذا هو طعامي الذي آكله!".

لم يتردد ولو للحظة واحدة، بل جلس القرفصاء على الجانب الآخر من القبر، وأكل نصف الذراع الآخر، وقال: "كيكو ديجوزاريماسو! مو سوكوشي تشوداي(3) "، لأن ذلك الذراع لم يكن مصنوعًا سوى من أفضل أنواع الواغاشي (4) kwashi التي يمكن أن ينتجها Saikyō. عندئذٍ قفزت الفتاة على قدميها وهي تنفجر من الضحك، وصرخت: "أنت وحدك، من بين كل الخاطبين الشجعان الذي لم يهرب! لقد أردت بالفعل زوجًا لا يخاف. لذا سوف أتزوجك؛ فمقدرتي أن أحبك، فأنت رجل شجاع بكل ما تحمل الكلمة من معنى!".

حلم يوم صيفي
(1)

بدا لي الفندق وكأنه قطعة من الجنة، وخادماته وكأنهن ملائكة هبطن من السماء. تملكني ذلك الشعور لكوني قد تمكنت للتو من الفرار عن طريق أحد الموانئ الحرة، حيث كنت قد غامرت قبل المجيء إلى هنا بالبحث عن الراحة في أحد الفنادق الأوروبية، المزودة بجميع "التجهيزات العصرية والتقنيات الحديثة". ولكن أن أجد نفسي في النهاية مرتاحًا مرة أخرى في لباس اليوكاتا(5) yukata ، جالسًا على حصيرة باردة وناعمة، بينما تتواجد العديد من الفتيات ذوات الأصوات الرقيقة والجميلة في الانتظار من أجل خدمتي، محاطًا بالكثير والكثير من الأشياء الجميلة، كان بمثابة الخلاص من كل أحزان القرن التاسع عشر.

وجبة الإفطار عبارة عن براعم الخيزران وأزهار اللوتس، تم إعطائي حينها مروحة من الفردوس كتذكار. كان التصميم المتواجد على تلك المروحة غريبًا، يمثل فقط الزبد الأبيض المندفع المصاحب لارتطام موجة بحر كبيرة على صخور الشاطئ، بينما الطيور البحرية تطلق النار بابتهاج عبر السماء الزرقاء. في النهاية أدركت أن مشاهدة ذلك الرسم يستحق بالفعل كل ذلك العناء المبذول خلال الرحلة. لقد كان مجدًا من النور، ورعدًا من الحركة، وانتصارًا لرياح البحر - كل ذلك في لقطة واحدة. لقد جعلني أرغب في الصراخ من فرط السعادة عندما نظرت إليه.

من خلال أعمدة الشرفة المصنوعة من خشب الأرز، كان بإمكاني رؤية دروب المدينة الضبابية الجميلة ممتدة حتى تلامس الشاطئ - بينما السفن الشراعية الصفراء الكسولة راقدة في المرسى، بالقرب من مدخل الخليج بين المنحدرات الخضراء الهائلة، ووراء ذلك لهيب الصيف البالغ حد الأفق.

بينما هناك في ذلك الأفق تقطن أشكال جبلية باهتة كالذكريات القديمة. كل الأشياء المتواجدة في تلك الصورة - باستثناء المدينة الضبابية، والسفن الشراعية الصفراء، والمنحدرات الخضراء - كانت زرقاء اللون.

ثم بدأ صوت ذو نغمة ناعمة مثل جرس الريح(6) عندما يدق بكلمات المجاملة يتردد من حولي مخترقًا أحلام اليقظة الخاصة بي، أدركت حينها أن السيدة المشرفة على هذا المكان الرائع جاءت لتشكرني على التشاداي(7) chadai الذي كنت قد قدمته سابقًا، فما كان مني إلا أن سجدت احترامًا وتقديرًا لها(8) . كانت ماتزال في مقتبل العمر، وكان من الممتع للغاية مجرد النظر إليها - مثل شرنقة عذراء، مثل المرأة الفراشة في لوحة كونيسادا(9) Kunisada. وفكرت حينها أن العذاب والأسى في انتظار هذا الجمال ما هو إلا الموت في حد ذاته.

سألتني بأدب جم عن وجهتي التي أنوي الذهاب إليها، من أجل أن تطلب لي كوروما(10) kuruma.

وأجبت: "سوف أتوجه إلى كوماموتو(11) Kumamoto. ولكني أود بشدة أن أعرف اسم منزلك، حتى أتذكره دائمًا".

قالت: "عذرًا يا سيدي فغرف الضيوف الخاصة بي بسيطة للغاية وليست على المستوى اللائق على الإطلاق، كما أن وصيفاتي يتصفن بالغلظة والطبع الحاد وتعوزهم البراعة. ولكن المنزل يُدعى بيت أوراشيما(12) Urashima. والآن سوف أذهب لطلب كوروما من أجلك".

مرت الموسيقى المصاحبة لصوتها وكأنه حلم في يوم صيفي بديع، حينها شعرت بالجاذبية والافتنان تسري في كل جزء من جسدي، وكأنها أثارت طائفة من الأشباح.

أما أسم المنزل فهو أسطورة في حد ذاته، تفتن وتسحر الرجال.

(2)

بمجرد سماع تلك الأسطورة، لن تتمكن من نسيانها أبدًا. ما زالت تغزو أفكاري وتطاردني باستمرار خاصة عندما أجد نفسي مستمتعًا بأوقاتٍ هادئة على الشاطئ خلال فصل الصيف. هناك العديد من الإصدارات الأصلية منها والتي كانت مصدر إلهام لعدد لا يحصى من الأعمال الفنية. لكن الأكثر إثارة للإعجاب والأقدم نجده في "مانييفوشيفو Manyefushifu"، وهي مجموعة من القصائد يعود تاريخها إلى القرن الخامس وحتى القرن التاسع. وباستخدام هذه النسخة القديمة تمكن المفكر والعالم الكبير أستون(13) Aston من تحويل الأسطورة إلى صيغة نثرية، والمفكر الكبير تشامبرلين(14) Chamberlain إلى نثر وشعر في الوقت ذاته. لكن بالنسبة لقراء اللغة الإنجليزية، أعتقد أن الصيغة الأكثر سحرًا منها هي نسخة تشامبرلين المكتوبة خصيصًا من أجل الأطفال، في "سلسلة الحكايات الخيالية اليابانية" - بسبب الصور الملونة الممتعة والجميلة والتي تم إضافتها من قبل فنانين محليين. وبمناسبة وجود هذا الكتاب الصغير الذي بين يدي حاليًا، فسوف أحاول أن أروي الأسطورة مرة أخرى ولكن بكلماتي الخاصة.

قبل ألف وأربعمائة وستة عشر عامًا، أستقل فتى يُدعى أوراشيما تارو Urashima Tarō قاربه مغادرًا شاطئ سومينويه Suminoyé من أجل الصيد.

كانت أيام الصيف في ذلك الوقت كما هي الآن – ناعسة لطيفة، تميل للزرقة الرقيقة، مع القليل من السحب البيضاء النقية المعلقة فوق مرآة البحر. كما أن التلال أيضًا كانت وما زالت على حالها: العديد من الأشكال الناعمة التي تميل إلى اللون الأزرق الداكن الذي يذوب بدوره في زرقة السماء.

في ذلك الوقت، ألقى الصيف سكينته على الفتى فأصبح كسولًا مثل نسائم الصيف

الهادئة، تاركًا قاربه ينجرف به أثناء قيامه بالصيد. لقد كان القارب غريبًا، بلا طلاء وبلا دفة، ذو شكل ربما لم ترَه العين من قبل. ورغم ذلك لا يزال هناك مثل هذه القوارب التي يمكن رؤيتها أمام قرى الصيادين القديمة على ساحل بحر اليابان حتى بعد مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام.

وبعد طول انتظار، أمسك أوراشيما بالفعل بشيء ما، ولكنه بمجرد أن قام بسحبه وإخراجه من الماء فوجئ بأنه سلحفاة.

ولكون السلحفاة كائن مقدس عند إله البحر التنين(15) ، ومدة حياتها الطبيعية تصل إلى ألف عام - يذكر البعض أنها قد تصل إلى عشرة آلاف عام - فإن قتله يعد أمرًا سيئًا للغاية. لذا سارع الفتى إلى تحرير المخلوق بلطف من حبله، ثم أطلق سراحه في البحر مصحوبًا بالصلوات إلى الآلهة.

أنقضى ذلك اليوم الدافئ للغاية دون أن يصطاد أي شيء، كان الصمت يغلف البحر والجو حيث بدت كل الأشياء هادئة تمامًا. وهكذا غلب نعاس شديد الفتى ونام في قاربه المنجرف.

وفي لحظة خرجت من البحر فتاة جميلة كما في الحلم - تمامًا كما ترونها في تصوير "أوراشيما" للبروفيسور تشامبرلين - مرتدية ملابس قرمزية زرقاء، يتدلى شعرها الأسود الطويل من ظهرها حتى قدميها، على غرار أزياء الأميرات منذ أربعة عشر قرنًا.

اقتربت منه طافية فوق الماء، بمنتهى الهدوء وكأنها نسمة هواء؛ وحينما أصبحت بالقرب من الصبي النائم في قاربه قامت بإيقاظه بلمسة خفيفة قائلة:

"لا تتفاجأ. لقد أرسلني إليك والدي، التنين ملك البحور، بسبب قلبك الطيب، فلقد

قمت اليوم بإطلاق سراح سلحفاة. لذلك سوف نذهب الآن إلى قصر والدي في الجزيرة حيث لا ينتهي الصيف أبدًا؛ وسوف أكون زوجتك المطيعة إذا ما كنت ترغب في ذلك؛ ونعيش هناك في سعادة إلى الأبد".

ارتسمت علامات التعجب والدهشة على وجه أوراشيما أكثر وأكثر كلما أطال النظر إليها؛ حيث كانت تُعد أجمل مخلوقة قد رآها في حياته، أجمل من أي فتاة أخرى، ولم يكن بإمكانه فعل أي شيء سوى الوقوع في حبها. عندئذٍ بادرت الفتاة بأخذ مجذافًا، بينما أخذ هو الآخر، وبدآ في التجديف معًا بعيدًا - تمامًا كما يمكننا أن نشاهد في زماننا الراهن، زوجة وزوج يجدفان معًا قبالة الساحل الغربي الأقصى، عندما تنطلق قوارب الصيد في المساء.

لقد واصلوا التجديف معًا بهدوء وسرعة فوق المياه الزرقاء الساكنة باتجاه
Telegram:@mbooks90
الجنوب - حتى وصلوا إلى الجزيرة التي لا ينتهي فيها الصيف أبدًا – حيث يوجد قصر التنين ملك البحور.

(هنا ينكمش نص الكتاب الصغير فجأة أثناء القراءة بينما تغمر الصفحة موجات المحيط الزرقاء الباهتة؛ ومن خلفها في أفق خيالي، يمكنك رؤية الشاطئ الطويل المنخفض الأملس الخاص بالجزيرة، والأسقف المرتفعة الخاصة بقصر إله البحر تطل من خلال أوراق الشجر الخضراء التي لا تذبل أبدًا مهما مر عليها الزمن - مثل قصر ميكادو يورياكو Mikado Yuriaku، قبل ألف وأربعمائة وستة عشر عامًا).

هناك كان في انتظارهم خدمًا غريبي الأطوار يرتدون ثيابًا خاصة بمراسم استقبال أوراشيما حيث قدموا له التحية بصفته صهر الملك التنين.

وهكذا تم زفاف ابنة إله البحر لأوراشيما في حفل أسطوري عجيب لم تشهده الأعماق من قبل.

لم يمر يوم على أوراشيما في ذلك القصر إلا وكان يرى من العجائب أجددها ومن المتع أغربها: عجائب الأعماق السحيقة التي يجلبها له خصيصًا خدام إله المحيط؛ ملذات تلك الأرض المسحورة حيث الصيف لا يموت أبدًا. ومرت السنون سريعًا على الفتى وهو على نفس الحال بصحبة زوجته الجميلة حتى أنقضت ثلاث سنوات.

ولكن على الرغم من كل هذه الفتن والملذات، كان الصبي الصياد يشعر دائمًا بثقل في قلبه عندما يتذكر والديه الذين ينتظرانه بمفردهما. حتى أنه أخيرًا وبعد طول انتظار رجا عروسه من أجل السماح له بالعودة إلى المنزل لفترة قصيرة للغاية، وذلك من أجل الاطمئنان على أبيه وأمه وإبلاغهما بما آلت إله أموره، ووعدها أنه بعد ذلك سوف يعود إليها مسرعًا.

بمجرد سماع تلك الكلمات انفجرت العروس في البكاء، وأستمر نحيبها طويلًا في صمت. ثم قالت له: "ليس بإمكاني أن أحول بينك وبين الذهاب إلى والديك ما دمت ترغب وتصر على ذلك. ولكني أخشى أن يطول البعاد في غيابك؛ وأخاف ألا نرى بعضنا البعض مرة أخرى. لذلك سوف أعطيك صندوقًا صغيرًا لتأخذه معك. سوف يساعدك ذلك الصندوق في العودة إليّ حينما ترغب في ذلك، ولكن يجب أولًا أن تفعل ما أقوله لك. لا تفتحه أبدًا. قبل كل شيء، لا تفتحه - مهما حدث! لأنك إذا فتحته، فلن تتمكن أبدًا من العودة، ولن تراني مرة أخرى إلى آخر الدهر".

ثم أعطته صندوقًا صغيرًا مطليًا ومربوطًا بحبل حريري. [يمكن رؤية هذا الصندوق حتى يومنا هذا في معبد كاناغاوا(16) Kanagawa على شاطئ البحر؛ حيث يحتفظ الكهنة هناك أيضًا بخيط صيد أوراشيما تارو، وبعض المجوهرات الغريبة التي أحضرها معه من عالم ملك التنين].

حرص أوراشيما على طمأنة عروسه، ووعدها أنه لن يقدم على فتح الصندوق أبدًا، حتى أنه لن يقوم بفك الخيط الحريري مهما حدث. ثم رحل في ضوء الصيف فوق

البحر الناعس؛ وهكذا توارت الجزيرة التي لا يموت فيها الصيف أبدًا من أمام عينيه وكأنها حلم يتلاشى خلفه رويدًا رويدًا؛ بينما تظهر أمامه مرة أخرى جبال اليابان الزرقاء، والتي تزداد لمعانًا في الوهج الأبيض للأفق الشمالي كلما أقترب منها.

وأخيرًا، بلغ موطنه الأصلي؛ مرة أخرى وجد نفسه يقف على شاطئه. ولكن بينما كان ينظر، حلت عليه حيرة عظيمة وراودته شكوك غريبة. كان المكان هو ذاته الذي تركه في يوم من الأيام، ولكنه تغير حتمًا حتى أنه لم يعد نفس المكان.

لقد وجد قريته بالفعل؛ ولكنه لم يجد كوخ آبائه، أشكال المنازل كلها قد تغيرت، وأصبحت جميعها غريبة، حتى الأشجار والحقول كانت غير مألوفة، وحتى وجوه الناس تبدلت وتغيرت. اختفت جميع المعالم التي يتذكرها تقريبًا؛ يبدو أن معبد الشنتو Shintō قد أعيد بناؤه في مكان جديد؛ اختفت الغابة من المنحدرات المجاورة. فقط صَوت الجدول الصغير الذي يتدفق عبر المنحدر، وأشكال الجبال ظلا كما هما. كل شيء آخر كان غير مألوف وجديد. وعبثًا حاول أن يجد مسكنًا لوالديه ولكن دون جدوى؛ حتى الصيادون أخذوا يحدقون فيه متعجبين؛ ولم يتذكر أنه رأى أيًا من تلك الوجوه من قبل.

ظل هكذا لبرهة من الوقت حتى قابل رجلًا عجوزًا متكئًا على عصا، حينئذ سأله أوراشيما عن الطريق إلى منزل عائلة أوراشيما. لكن الرجل العجوز بدا مندهشًا للغاية بمجرد سماعه اسم العائلة، وجعله يكرر السؤال عدة مرات، ثم صاح قائلًا: "هل أنت تسأل عن أوراشيما تارو؟! من أين أتيت يا هذا حتى لا تعرف القصة؟"

وواصل حديثه: "أوراشيما تارو! لقد مضى أكثر من أربعمائة عام على غرقه، وأقيم نصب تذكاري من أجل إحياء ذكراه داخل المقبرة. إن قبور جميع عائلته وقومه موجودة في تلك المقبرة - المقبرة القديمة التي لم تعد تستخدم الآن. أوراشيما تارو! كيف يمكنك أن تكون غبيًا إلى هذا الحد حتى تسأل عن موقع منزله؟". وتابع الرجل العجوز طريقه وهو يعرج بينما كان يضحك من سذاجة سائله.

لكن أوراشيما تابع طريقه إلى مقبرة القرية - المقبرة القديمة التي لم تعد تُستخدم - وهناك وجد شاهد قبره الخاص، وشواهد قبور والده وأمه وعشيرته، وشواهد قبور كثيرين آخرين كان يعرفهم. لقد كانت مقبرة قديمة للغاية، تآكلت بفعل الزمن والطحالب، لدرجة أنه كان من الصعب جدًا قراءة الأسماء التي تم تدوينها عليها.

حينها أدرك أنه ضحية أُخدوعة غريبة، وأنه يجب أن يعرف الحقيقة. عاد أدراجه إلى الشاطئ حاملًا في يده الصندوق، لقد كان يحمل هدية ابنة إله البحر طوال الوقت. ولكن ما هي تلك الخدعة؟ ما هي كينونة ذلك الوهم الذي كان يسيطر عليه؟ وعلى ماذا يحتوي ذلك الصندوق الذي يحمله بين يديه الآن؟ هل من الممكن أن يكون ما في الصندوق ليس له علاقة بذلك الوهم؟

بدأ الشك يسيطر عليه ويتغلب تدريجيًا على الولاء والإخلاص الذي بداخله. حينها أخلف الوعد الذي قطعه لحبيبته بمنتهى التهور وعدم المبالاة؛ لقد قام بفك الحبل الحريري. لقد قام بفتح الصندوق!

وعلى الفور، ومن دون أن يصدر منه أي صوت، انفجر من الصندوق بخار طيفي أبيض بارد ارتفع في الهواء مثل سحابة صيفية، وبدأ ينجرف بسرعة نحو الجنوب، فوق البحر الهادئ. لم يكن هناك شيء آخر في الصندوق.

حينها أدرك أوراشيما أنه قد دمر سعادته بيديه - وأنه لن يتمكن أبدًا من العودة إلى محبوبته، ابنة ملك المحيط. عندئذٍ أنخرط في البكاء والصراخ بمرارة ويأس.

ولم تم سوى لحظات معدودة حتى بدأت علامات التغير تطغى تدريجيًا على ملامحه حتى أصبح شخصًا آخر. أنتابه برد جليدي يسري في كل عظامه؛ سقطت أسنانه، أنكمش وجهه وأمتلأ بالتجاعيد. تحول شعره إلى اللون الأبيض مثل الثلج؛ ذبلت أطرافه، انحسرت قواه. وفي النهاية سقط على الرمال بلا حياة، محطمًا بوزن

أربعمائة شتاء.

في وقتنا الراهن تذكر السجلات الرسمية للأباطرة أنه: "في العام الحادي والعشرين للميكادو(17) يورياكو(18) ، ذهب الصبي أوراشيما من ميدزونويي Midzunoyé، الكائنة في إقليم يوسا Yosa، في مقاطعة تانغو Tango، سليل الإله شيمانيمي Shimanemi، إلى الفردوس في قارب صيد". وبعد ذلك التاريخ لم يتم تسجيل أي أخبار عن أوراشيما في عهد واحد وثلاثين إمبراطورًا وإمبراطورة - أي من القرن الخامس حتى القرن التاسع. ولكن لاحقًا تعلن السجلات أنه: "في العام الثاني من تينتشيو Tenchiyō، في عهد الإمبراطور غو جونوا Go-Junwa، ظهر الصبي أوراشيما ومن ثم اختفى مرة أخرى، ولم يعرف أحد كيف ظهر وإلى أين ذهب".

(3)

عادت الحورية صاحبة المنزل لتخبرني أن كل شيء جاهز، وحاولت أن تقوم برفع حقيبتي بيديها النحيلتين – ولكنني سارعت إليها لكي أمنعها من القيام بذلك، حيث أن الحقيبة كانت ثقيلة للغاية. حينها ضحكت وتركتها ولكنها لم تدعنِ أحملها بنفسي، واستدعت بحارًا يحمل على ظهره وشمًا مكتوبًا بأحرف صينية. حينها سجدت لها عرفانًا وتقديرًا بجميلها. ودعتني إلى تذكر هذا النزل البسيط رغم فظاظة العاملات به على حد تعبيرها. وأردفت قائلة: "وستدفع إلى الكورومايا(19) kurumaya، خمسة وسبعون سين(20) sen فقط".

وفي غضون دقائق قليلة بعد أن قفزت داخل العربة، بدأت البلدة الرمادية الصغيرة تختفي خلف منعطف شديد. أخذت العربة تتدحرج وانا بداخلها على طريق أبيض بمحاذاة الشاطئ. إلى اليمين كانت هناك منحدرات بنية شاحبة؛ بينما إلى اليسار لا أرى سوى البحر ومن خلفه الفراغ الواسع.

ميلًا بعد ميل، بينما كانت العربة تتدحرج على طول ذلك الشاطئ، كنت أنظر إلى الضوء الممتد عبر الأفق إلى ما لانهاية. كل شيء غارق في اللون الأزرق، إنه بالفعل أزرق رائع، مثل ذلك الذي يتألق ويتهوج داخل قلب صَدفة كبيرة. حينما يلتقي البحر الأزرق الزاهي بالسماء الزرقاء المتوهجة يحدث نوعًا من أنواع الاندماج الكهربائي؛ يخلق بدوره أطيافًا زرقاء شاسعة - إنها جبال هيغو Higo - والتي ترتفع كاللهب المتفجر، مثل كتل من حجر الجمشت(21) . يا لها من شفافية زرقاء! لم ينكسر ذلك اللون الطاغي إلا من خلال اللون الأبيض المبهر لعدد قليل من السحب الصيفية العالية، التي كانت تلتف بلا حراك حول قمة جبلية مستترة على مرمى البصر. ألقت تلك السحب بدورها على الماء أضواءً مرتجفة ثلجية. حيث بدا وكأن حواف السفن الزاحفة بعيدًا تسحب خلفها خيوطًا طويلة، وهي الخطوط الحادة الوحيدة في

كل هذا المجد الضبابي. يا لها من سحب مقدسة! أرواح السحب البيضاء الطاهرة، تستريح في طريقها إلى نعيم النيرفانا(22) Nirvana؟ أو ربما تلك السحب هي السديم الذي هرب من صندوق أوراشيما منذ ألف عام؟

انطلقت ذرات روحي إلى ذلك الحلم الأزرق، البحر والشمس المتلألئين – حيث عادت إلى شاطئ سومينويه من خلال الأشباح المضيئة لفصول الصيف البالغ عددها ألف وأربعمائة فصلًا. شعرت بشكل غامض وكأن زورق يقلني وينجرف بي إلى مكان ما. وكأنني سافرت عبر الزمن إلى عصر الإمبراطور يورياكو. حينما أصغيت إلى ابنة ملك التنين تهمس بصوت خافت وتقول: "الآن سنذهب إلى قصر والدي حيث اللون الأزرق يطغى على كل شيء إلى الأبد". سألتها: "لماذا اللون الأزرق إلى الأبد؟". قالت: "لأنني وضعت كل السحب في الصندوق". عندئذٍ أجبتها بحزم: "ولكن يجب أن أعود إلى المنزل". فكان ردها: "إذًا، سوف تدفع إلى الكورومايا خمسة وسبعين سين فقط".

وبهذا استيقظت على دويو(23) Doyō، أو الفترة الأشد حرارة، في العام السادس والعشرين من حقبة ميجي(24) Meiji- ورأيت دليلًا على تلك الحقبة الزمنية من خلال امتداد خط طويل من أعمدة التلغراف بعيدًا على مرمى البصر على جانب الطريق. كان الكوروما لا يزال يسير بالقرب من الشاطئ، أمام نفس اللوحة الزرقاء للسماء، والقمة، والبحر؛ ولكن الغيوم البيضاء اختفت تمامًا! - ولم يعد هناك منحدرات قريبة من الطريق، بل كانت هناك حقول أرز وشعير تمتد إلى التلال البعيدة. استحوذت خطوط التلغراف على انتباهي للحظة، لأنه على الكابل العلوي، وعلى الكابل العلوي فقط، كانت توجد مجموعات من الطيور الصغيرة جاثمة بدون حراك، موجهة رؤوسها جميعًا نحو الطريق، من الواضح للعيان أن قدومنا قد سبب إزعاجًا لها. ولكنهم حافظوا على سكونهم تمامًا، وظلوا ينظرون إلينا بازدراء على اعتبار أننا مجرد ظاهرة عابرة. كان هناك المئات والمئات مصطفين بجانب بعضهم البعض في رتل كامل، لأميال وأميال. لم أتمكن من رؤية واحد وقد تحول بذيله باتجاه الطريق. لم أستطع أن أخمن لماذا حافظوا على تلك الوضعية تحديدًا، وما

الذي كانوا يشاهدونه أو ينتظرونه. على فترات كنت ألوح بقبعتي وأصرخ لأروع البعض منهم، وعندها كان يرتفع عدد قليل منها وهو يرفرف ويتشقق(25) ، ولكنه يعود ويسقط مرة أخرى على الكابل في نفس الموضع كما كان من قبل. رفضت الغالبية العظمى أن تأخذني على محمل الجد.

فجأة بينما كنا نمر بالقرب من إحدى القرى غرق صوت الطقطقة الحاد الصادر من العجلات ضمن دوي هادر؛ حينها رأيت طبلة ضخمة تحت سقيفة مفتوحة، يضربها رجال عراة.

صرخت: "أيها الكورومايا! ما هذا؟".

أجابني بدون أن يتوقف: "سوف تجد نفس الأمر في كل مكان في الوقت الحالي، لقد مضى وقت طويل ولم يهطل المطر، لذلك تُقام الصلوات للآلهة، وتُقرع الطبول".

انطلقنا عبر العديد من القرى الأخرى؛ ورأيت وسمعت المزيد من الطبول ولكن بأحجام مختلفة، بيد أن البعض من أصوات قرع الطبول كانت تصدر من القرى الصغيرة المستترة على مدى أميال من حقول الأرز الجافة، وكأنه تردد لصدى الصوت.

(4)

ومن ثم بدأت قصة أوراشيما تستحوذ على تفكيري مرة أخرى. خطرت على بالي تلك الصور والقصائد والحكم والأمثال التي تسجل تأثير الأسطورة على خيال عرق بشري بالكامل. تخيلت فتاة راقصة من إيزومو(26) Izumo- كنت قد رأيتها في حفلة - تمثل دورًا في قصة أوراشيما، تحمل صندوقًا صغيرًا مطليًا يصدر منه في لحظة مأساوية رذاذ من ضباب كيوتو(27) Kyōto. بدأت أنتقل بتفكيري إلى ذلك الرقص الجميل الذي تقدمة الراقصات في اليابان ومدى عراقته، وبالتالي في الأجيال المندثرة المتتالية من الفتيات الراقصات، والذي جعلني أفكر في رفات الراقصات وكيف تحول إلى غبار؛ الأمر الذي قاد تفكيري مرة أخرى إلى الغبار الموجود على خرسانة الطريق، والذي يثيره صندل الكورومايا، ذلك الشخص الذي من المفترض أن أدفع له خمسة وسبعين سنًا فقط. وتساءلت كم من ذلك الغبار يمكن أن يكون غبارًا بشريًا قديمًا، وما إذا كانت نبضات القلوب في النظام السرمدي اللامتناهي للحياة على هذا الكوكب قد تكون أكثر أهمية من حركة الغبار. عندئذٍ بدأ الموروث الأخلاقي لدي يثير انتباهي مرة أخرى لتلك القصة، وحاولت إقناع نفسي بأن القصة التي استمرت وعاشت ألف عام في وجدان ذلك الشعب، واكتسبت سحرًا أكثر نضارة مع مرور كل قرن، لا يمكن أن تستمر إلا بفضل وجود بعض الحقيقة فيها. ولكن أية تكمن الحقيقة؟ في الوقت الراهن لم أتمكن من الإجابة على هذا السؤال.

عندما أصبح الطقس حارًا للغاية؛ صحت مخاطبًا سائق العربة: "أيها الكورومايا! إن حنجرتي جافة تمامًا. وأرغب في تناول بعضًا من الماء على وجه السرعة".

أجابني وهو لا يزال يجري: "يوجد نبع ماء كبير بداخل قرية لونغ بيتش Long Beach وهي ليست ببعيده عن هنا، هناك سوف نتمكن من الحصول على ماء نقي رائع".

صحت مرة أخرى: "أيها الكورومايا!" – لماذا تنظر تلك الطيور الصغيرة في هذا الاتجاه دائمًا ولا يحيد بصرها عنه أبدًا؟".

أجاب وهو يركض بسرعة أكبر: "جميع الطيور تجلس في الاتجاه المناسب لحركة الرياح".

ضحكت أولًا على سذاجتي؛ ثم واصلت الضحك بسبب نسياني – تذكرت أنه قد قيل لي نفس الشيء، في مكان ما عندما كنت صبيًا. ربما تكون معضلة قصة أوراشيما قد ظهرت كنتيجة لوجود سهو ما أو إغفال جزء معين.

أطلقت العنان لتفكيري مرة أخرى في أسطورة أوراشيما. رأيت ابنة الملك التنين تنتظر عبثًا في القصر الذي أصبح في قمة الروعة والجمال من أجل استقبال محبوبها. حينها لاحظت عودة السحابة بلا رحمة، معلنة ما حدث، بينما المخلوقات البحرية المحببة الغريبة، في ملابسها الاحتفالية العظيمة، تحاول مواساتها. ولكن في القصة المروية والتي يتم تداولها لم يكن هناك شيء من كل هذا؛ وبدا أن شفقة الناس كلها كانت تصب على أوراشيما فقط ولم يشير أحد إلى ابنة الملك. حينها بدأت أخاطب نفسي:

"هل من الصواب أن نشفق على أوراشيما كشخص بأي حال من الأحوال؟ بالطبع كان في حيرة من أمره بسبب الآلهة. ولكن من منا لم يكن في وقت ما في حيرة من أمره بسبب الآلهة، أليست الحياة كلها ما هي إلا لغز كبير، نحتار فيه ولا نجد له إجابة منطقية. وهكذا بينما كان أوراشيما في قمة حيرته، أخذه الشك في غرض الآلهة وبالتالي قام بفتح الصندوق. ثم مات دون أي قلق أو مشكلة، وقام الناس ببناء ضريح له باسم أوراشيما ميو جين Urashima Miō-jin. لماذا إذن كل هذه الشفقة عليه؟

تتم إدارة الأمور بشكل مختلف تمامًا في الغرب. بعد عصيان آلهة الغرب، لا يزال يتعين على المرء أن يبقى على قيد الحياة، ويتعلم جميع أبعاد الحسرة والأسى ويعاني من الندم المفرط على ما اقترفته يداه. لا يُسمح له بالموت والتنعم بالراحة التامة في أفضل وقت مناسب له، ناهيك عن المعاناة التي يمر بها بعد الموت لكي يصبح روحًا بسيطةً في حد ذاتها. كيف يمكننا أن نشفق على حماقة أوراشيما بعد أن عاش فترة طويلة وحيدًا مع الآلهة وجهًا لوجه ورآها رؤى العين.

ولعل حقيقة ما نقوم به قد تجيب على هذا اللغز. يجب أن يتم توجيه هذه الشفقة بحيث تكون شفقة على الذات؛ ولذلك قد تكون الأسطورة في الحقيقة هي أسطورة عدد لا يحصى من الأنفس. إن التفكير في الأمر يأتي بالتزامن مع الوقت الذي يصبح فيه الضوء أزرق والرياح رقيقة هادئة - خاصة عندما يأخذك التفكير إلى ذنب قديم ويبدأ وخز الضمير وتقريع الذات. إن لذلك علاقة جوهرية للغاية بوقت معين من العام أو الشعور بموسم ما بحيث لا يكون ذلك مرتبطًا بشيء حقيقي في حياة المرء، أو في حياة أسلافه. ولكن ما هو ذلك الشيء الحقيقي؟ من هي ابنة الملك التنين؟ أين كانت تلك جزيرة ذات الصيف الأبدي الذي لا ينتهي أبدًا؟ وما هو جوهر تلك السحابة التي كانت في الصندوق؟

لا أستطيع الإجابة على كل تلك الأسئلة. هذه هي الحقيقة الوحيدة التي أدركها - وهي ليست جديدة على الإطلاق:

لدي ذكرى عن مكان وزمان سحري كانت فيه الشمس والقمر أكبر وأكثر إشراقًا من وقتنا الحالي. لا أستطيع أن أقول إذا ما كان ذلك في هذه الحياة أو في حياة أخرى من قبل. لكنني أعرف أن السماء كانت حينها أكثر زرقة بكثير، وأقرب إلى الأرض - تقريبًا كما تبدو فوق صواري سفينة بخارية تتجه نحو الصيف الاستوائي. كان البحر حيًا، ويتحدث باستمرار – بينما كانت الريح تجعلني أبكي من فرط السعادة حينما تلمسني. ولقد حلمت للحظة فقط في مرة أو مرتين خلال أعوام أخرى بنفس الريح وهي تهب وذلك عندما كنت أقضي وقتي ين قمم الجبال أثناء الأيام المقدسة، ولكن

ذلك في النهاية كان مجرد ذكرى.

في ذلك المكان كانت الغيوم رائعة، ذات ألوانٍ غريبة لم تُسمَّ من قبل على الإطلاق، ألوان تثير بداخلي مشاعر الجوع والعطش. وأتذكر أيضًا أن تلك الأيام كانت أطول بكثير من الأيام التي أحياها الآن، أتذكر كذلك أنه في كل يوم كانت هناك عجائب جديدة ومتع مختلفة ومتجددة بالنسبة لي. ذلك الزمان والمكان كانا يُحكمان بهدوء من قبل تلك الشخصية التي لم تفكر إلا في الأمور التي تجعلني سعيدًا. وعلى الرغم من أنها كانت تعد امرأة فاتنة بكل ما تحمل الكلمة من معنى إلا أني في بعض الأحيان كنت أرفض تلك السعادة، مما يسبب لها الألم على الدوام، وأتذكر أنني حاولت جاهدًا أن أشعر بالأسف من أجلها. عندما ينتهي النهار، ويهبط الضوء قبل بزوغ القمر، كانت تحكي لي قصصًا تصيبني باللذة والرعشة من قمة رأسي حتى أخمص قدمي من فرط المتعة. لم أسمع قط أي قصص أخرى بهذا الجمال على الإطلاق. وعندما أصبح في قمة الاستمتاع والسرور، تبدأ في التغريد بأغنية صغيرة غريبة تجلب النوم لي دائمًا.

وأخيرًا جاء يوم الفراق؛ وبكت، وأخبرتني عن التعويذة التي منحتني إياها والتي يجب ألا أفقدها أبدًا، لأنها سوف تبقيني شابًا، وتمنحني القوة من أجل العودة. لكنني لم أعد أبدًا. ومضت السنوات بغير رجعة؛ وفي أحد الأيام عرفت أنني فقدت جاذبيتي، وأصبحت عجوزًا بشكل يبعث على السخرية.

(5)

تقع قرية لونغ بيتش عند سفح منحدر أخضر بالقرب من الطريق، وتتكون من عشرات الأكواخ المصنوعة من القش والمتجمعة حول بركة صخرية مظللة بأشجار الصنوبر. تفيض البركة بالماء البارد، التي يتم تغذيتها من جدول ماء سريع يتدفق مباشرة من قلب الجرف - تمامًا كما يتصور الناس أن القصيدة من المفترض أن تنبع مباشرة من قلب الشاعر. من الواضح أن هذا هو المكان المفضل للتوقف من قبل السائقين لالتقاط الأنفس وأخذ قسط من الراحة، نظرًا إلى عدد الكوروما وعدد الأشخاص الذين يستريحون هنا تحديدًا، حيث كانت هناك مقاعد تحت الأشجار تكفي للجميع. وبعد أن ارتويت وخففت عطشي، جلست للتدخين وإلقاء نظرة على النساء اللاتي يغسلن الملابس والمسافرين الذين ينعشون أنفسهم في حمام البركة – حينها بدأ الكورومايا في التجرد من ملابسه، وشرع في رش دلاء من الماء البارد على جسده.

ثم قام شاب يحمل طفلًا على ظهره بإحضار الشاي من أجلي؛ عندها حاولت ملاطفة ذلك الطفل، الذي جاوبني بدوره مصدرًا بعض الهمهمات: "آه، باه! **Ah, bah**".

هذه هي الكلمات الأولى التي ينطقها أي طفل ياباني. ولأنهم ينحدرون من أصول شرقية صرفه، فإن تلك الكلمة يتم كتابتها باستخدام الروماجي(28) Romaji على شكل: "*أبا* **Aba**". ورغم أن تلك الهمهمات هي مجرد كلام عفوي لم يتعلمه الطفل أو ينطقه عن عمد، إلا كلمة "*أبا*" تعد كلمة مثيرة للاهتمام. حيث تعني في لغة الأطفال اليابانية "وداعًا" - وهي على وجه التحديد آخر كلمة من المتوقع أن ينطقها الرضيع عند دخوله إلى عالم الوهم هذا. لمن أو لماذا تقوم تلك النفس الصغيرة الطاهرة بتوجيه كلمة الوداع؟ إلى هؤلاء الأصدقاء من حياة سابقة والذين لم يتم محو أثارهم من الذاكرة تمامًا لحداثتها؟ إلى رفاق رحلتها الغامضة والتي لا يعرف أحد

من أين بدأت وإلى أين تنتهي؟ إن مثل تلك النظريات والتفسيرات من وجهة نظر صالحة وورعة تُعد آمنة إلى حد ما، لأن الطفل لا يستطيع أبدًا أن يقرر نيابةً عنا. بغض النظر عما كان يجول في فكره أثناء تلك اللحظة الغامضة من خطابه الأول، فإنه سوف يُمحى من ذاكرته قبل وقت طويل من تمكنه على الإجابة على تلك الأسئلة.

على نحو غير متوقع، خطرت في بالي ذكرى غريبة - ربما ساهمت رؤية الشاب مع الطفل الصغير في بعثها من جديد – أو ربما من خلال سماعي لأغنية الماء في الجرف؛ سوف أذكر تلك القصة حسبما أتذكر:

منذ فترة طويلة، عاش هناك في مكان ما بين الجبال حطاب فقير وزوجته. كانوا قد بلغوا من العمر أرذله، ولم يكن لديهم أطفال. كان الزوج يذهب كل يوم إلى الغابة بمفرده ليقوم بقطع الحطب، بينما تلزم الزوجة المنزل حتى تقوم بنسج الأقمشة.

في أحد الأيام، ذهب الرجل العجوز إلى الغابة وأوغل فيها أكثر من عادته، بحثًا عن نوع معين من الأخشاب؛ وفجأة وجد نفسه على حافة نبع صغير لم يسبق له رؤيته من قبل. بدا الماء صافيًا وباردًا بشكل غريب، ولأنه كان ظمئًا للغايةً بسبب قيامه بأداء العديد من المهام في ذلك الطقس الملتهب الحار فقد بادر بخلع قبعته الكبيرة المصنوعة من القش، وركع متناولًا شربة كبيرة من الماء لكي يروي عطشه. أنتابه شعور غريب بأن هذا الماء ينعشه بطريقة غير طبيعية. وعندها هيء له أنه يرى انعكاس وجه شاب صغير في ربيع العمر على صفحة الماء. حينها أعاد النظر إلى انعكاس ذلك الوجه مرة أخرى، لقد كان ما رآه هو وجهه بالتأكيد، ولكن ليس على الإطلاق كما اعتاد رؤيته في المرآة القديمة الكائنة في المنزل. لقد كان هذا وجه شاب يافع للغاية! لم يستطع تصديق عينيه. وضع كلتا يديه على رأسه، تلك الرأس التي كانت ملساء دون شعر منذ لحظة واحدة فقط. ولكنه وجدها مغطاة بشعر أسود كثيف، بينما وجهه أصبح ناعمًا كوجه صبي صغير؛ لقد ذهبت واختفت كل التجاعيد. وفي نفس اللحظة اكتشف في جسده قوة جديدة وكأن عنفوان الشباب عاد إليه

من جديد. كان يحدق بدهشة في تلك الأطراف التي كانت قد ذبلت منذ فترة طويلة نتيجة لتقدم العمر. لقد أصبحوا الآن رشيقين وقويين ولديهما عضلات شابة مكتظة وقوية. لقد شرب دون قصد من ينبوع الشباب؛ وقد غيرته تلك الشربة تمامًا.

في البداية، تمكن منه السرور فقفز عاليًا وصرخ فرحًا؛ ثم ركض إلى المنزل مسرعًا كما لم يركض من قبل في حياته. ولكن حينما رأته زوجته بمجرد دخوله المنزل انتابتها مشاعر الخوف والرعب منه، حيث اعتبرته غريبًا عنها؛ ولم تصدقه على الفور عندما حاول أخبارها بتلك حقيقة العجيبة. ولكن بعد وقت طويل استطاع أن يقنعها بأن الشاب الذي تراه الآن أمامها ما هو إلا زوجها بالفعل؛ وأخبرها بالمكان الذي يتواجد به النبع، وطلب منها أن تذهب معه إلى هناك.

حينها قالت: "لقد أصبحت وسيمًا للغية ويافعًا جدًا لدرجة أنك لن تستطيع الاستمرار في حَب امرأة عجوز مثلي؛ لذلك يجب أن أشرب بعضًا من هذا الماء على الفور. ولكن ذهابنا معًا في نفس الوقت وترك المنزل فارغًا لن يعود علينا بأي فائدة. لذا من الأفضل أن تنتظر هنا ريثما أعود إليك" ومضت مسرعة إلى الغابة بمفردها.

وجدت الينبوع وركعت وبدأت في شرب الماء. تبًا! كم كانت تلك المياه باردة ونقية وحلوة! شربت واغترفت من الماء مرة بعد مرة، ثم توقفت لكي تلتقط أنفاسها حتى تبدأ في النهل من ذلك الماء من جديد.

انتظرها زوجها بفارغ الصبر متوقعًا رؤيتها حينما تعود وقد تحولت إلى فتاة رشيقة جميلة. لكنها لم تعد على الإطلاق. شعر بالقلق وأغلق المنزل وذهب من أجل البحث عنها.

وعندما وصل إلى العين لم يتمكن من رؤيتها. وبينما كان على وشك العودة سمع بكاءً ضعيفًا يأتي من بين العشب المرتفع بالقرب من النبع. فبحث هناك واكتشف ملابس زوجته وبجانبها طفلًا رضيعًا – طفل صغير جدًا، ربما يبلغ من العمر ستة

أشهر فقط!

حينها أدرك ما حدث، لقد شربت أمرأته العجوز الكثير والكثير من الماء السحري؛ لقد تمادت في ذلك حتى عادت بعمرها إلى ما قبل فترة الشباب، لقد عادت إلى مرحلة الطفولة المبكرة قبل أن تتعلم النطق والكلام.

تناول الطفلة بين ذراعيه. والتي نظرت إليه بحزن متسائلة عن السبب فيما حدث. حملها إلى المنزل – بينما كان يدندن ويهمس لها – وهو منقبض الصدر وجميع الأفكار الحزينة والكئيبة تسيطر على عقله.

في تلك الساعة، وبعد الأفكار والتأملات التي راودتني بشأن أوراشيما، بدا المغزى من هذه القصة بالنسبة إلي أقل تقبلًا وملائمًا مما كان عليه في السابق. لأنك لن تصبح شابًا بمجرد قيامك بالارتواء بكثرة من نبع الحياة.

عاد الكورومايا عاريًا ورطبًا، حينها تحجج بارتفاع درجة الحرارة حيث أخبرني أنه لن يستطيع استكمال مسافة الخمسة والعشرين ميلًا المفترض به أن يقطعها معي، ولكنه أخبرني أنه تمكن من إيجاد عداءً آخر حتى يأخذني معه بقية الطريق. وبقدر ما قام بفعله خلال تلك المسافة، كان يريد خمسة وخمسين سنًا.

كان الطقس بالفعل شديد الحرارة - علمت فيما بعد أن درجة الحرارة كانت قد تعدت ال 100 درجة فهرنهايت(29) - وبعيدًا، كانت هناك دقات مستمرة، مثل نبض موجات الحرارة نفسها، وصوت الطبول العظيمة تُقرع طلبًا للمطر. حينها عاودني التفكير في ابنة ملك التنين.

عندها تحدثت إليه لافتًا نظره: "لقد أخبرتني تلك السيدة أنه من المفترض أن أدفع لك خمسة وسبعين سنًا مقابل ما لم يتم القيام به، ورغم ذلك فإني سوف أعطيك

خمسة وسبعون سنًا لأني أخاف الآلهة".

وخلف عداء دؤوب لا يتعب، طرت بعيدًا وسط اللهيب الهائل – في اتجاه الطبول العظيمة.

الزائر الأبدي

تبدو لي اللوحات المطبوعة ذات الألوان المتعددة الخاصة بمدينة طوكيو - نيشيكي إيه(30) Nishiki-é - ذات أهمية فريدة واستثنائية هذا العام. حيث إنها تعيد إنتاج، أو تكاد تعيد إنتاج، سحر الألوان الذي كانت تتمتع به جدران السفن في العصور المبكرة؛ كما أنها تظهر تحسنًا ملحوظًا في الرسم التخطيطي. بالطبع لا يمكن للمرء أن يرغب في شيء أجمل من المطبوعات الرائعة الخاصة بالموسم الحالي.

آخر عملية شراء كنت قد قمت بها عبارة عن الكثير من اللوحات العجيبة والغير تقليدية - من جميع أنواع التخيلات والأفكار المتداولة في الشرق الأقصى، بما في ذلك العديد من التشكيلات والتنويعات التي لم يتم اكتشافها بعد في الغرب. بعضها مزعج للغاية، بل وبغيض، بينما بعضها الآخر ساحر حقًا. على سبيل المثال، يمكنني الإشارة هنا إلى أحد الموضوعات الذكية والمبهجة من تصميم "تشيكانوبو(31) Chikanobu"، والتي تم طباعتها وتوزيعها للتو، ومعروضة للبيع بسعر رائع يبلغ ثلاثة سين فقط!

هل يمكنك تخمين ماذا تمثل تلك اللوحة أو ما تعرضه؟ ... نعم إنها فتاة ولكنها ليست كأي فتاة؟ تأملها قليلًا... أليست جميلة للغاية، بذلك الحياء العذري والخجل الصافي العذب في نظرتها الحزينة، تلك الأناقة وذلك الجمال الذي ينم عن قمة الرشاقة والرقة، مثل فراشة ساكنة؟ ... لا، إنها ليست أميرة فاتنة الجمال من أميرات الشرق الأقصى، بالمعنى الذي تقصده - ولكنها روح. لاحظ أزهار الكرز التي تتساقط من الفرع المتواجد أعلاها، وتمر من خلال جسدها. انظر أيضًا إلى ثنيات رداءها بالأسفل، وهي تذوب في ضباب أزرق باهت. تشعر أن الأمر برمته غامض ولكنه في نفس الوقت لطيف ومثير للأعجاب! إنه يمنحك الإحساس بفصل الربيع، حيث أن كل تلك الألوان الخيالية هي ألوان صباح ربيعي ياباني... لا، إنها لا تمثل تجسيدًا

لموسم معين. بل هي بالأحرى حلم - مثل ذلك الحلم الذي يطارد ويقلق منام الشباب في الشرق الأقصى؛ ولكن الرسام لم يقصد أن تكون الفتاة رمزًا أو تجليًا لحلم بأي حال من الأحوال.. لن نستطيع التخمين أبدًا؟ حسنًا، إنها روح لشجرة ما – ربما روح شجرة الكرز. تظهر فقط في شفق الصباح أو المساء، وهي تنزلق حول شجرتها؛ ومن يقع نظره عليها يهيم قلبه بها عشقًا على الفور. ولكن إذا اقتربت منها، فإنها تختفي مرة أخرى داخل جذع الشجرة، مثل بخار الماء عندما يختفي ويذهب هباءً. هناك أسطورة تحكي عن روح شجرة أحبت رجلًا، بل وأعطته ابنًا؛ لكن مثل هذا السلوك كان يتعارض تمامًا مع التقاليد والعادات الخجولة لبني عرقها ...

ربما تتسأل ما فائدة رسم تلك الأمور المستحيل حدوثها؟ سؤالك يثبت أنك لا تشعر بالسحر المتواجد في نظرة الشباب ورؤيته للأمور – حلم الربيع هذا. أعتقد أنه توجد علاقة وثيقة بين المستحيل وما نطلق عليه الواقع، أكثر بكثير مما نسميه الحقيقي والمألوف. المستحيل قد لا يكون حقيقة مجردة؛ لكنني أعتقد أنه عادة ما يكون حقيقة، ربما تكون مستترة أو محجوبة، ولكنها أبدية. الآن بالنسبة لي، هذا الحلم الياباني حقيقي - صحيح، على الأقل، مثل الحب البشري. يمكن اعتباره طيفًا أو خيالًا، وهذا صحيح. من يتظاهر بعدم الإيمان بأي نوع من الأشباح فهو يكذب على نفسه. كل رجل تزوره وتطارده أشباح ما. وتذكرني هذه الطباعة الملونة بشبح نعرفه جميعًا - على الرغم من أن معظمنا (باستثناء الشعراء) غير مستعدين للاعتراف بتلك المعرفة.

ربما تكون قد رأيت تلك الزائرة، في أحلامك خلال الليل، أو حتى أثناء فترة الطفولة كما حدث للبعض منا. إذن، بالطبع، لا يمكنك معرفة كينونة ذلك الشكل الجميل الذي يسيطر عليك خلال فترة سكونك: ربما كنت تعتقد أنها ملاك، أو روح فتاة متوفية. لكن في حياة اليقظة، ندرك أولًا وجودها في الوقت الذي نبدأ فيه بالنضج والانتقال من مرحلة الصبا إلى مرحلة الشباب.

إن الانطباع الأول إثر تجليها لك يُشكل صدمة من قوة النشوة والانجذاب، تجعلك

تلهث من فرط البهجة والسعادة: ولكن تلك الدهشة والمتعة يتبعها سريعًا شعور بالحزن لا يمكن وصفه - ولا يشبه بأي حال من الأحوال أي حزن شعرت به من قبل - على الرغم من أنه لا يعتري نظرتها أي شيء سوى اللطف والدلال، وعلى شفتيها ترتسم أروع الابتسامات الفاتنة. ولا يمكنك أن تتخيل سبب هذا الشعور حتى تعرف من هي - وهو أمر ليس من السهل إدراكه.

عادة لا تبقى سوى للحظة واحدة فقط. ولكن خلال تلك اللحظة المضيئة، يتهيأ كل كيانك حتى يتدفق إليها بشوق ولهفة لا يمكن وصفها أو التعبير عنها بأي كلمة. وبعد ذلك – إذ فجأة! – تكتشف أنها ليست هنا؛ حينها تجد أن الشمس قد اختفت خلف الغيوم الكئيبة، وتحولت الدنيا إلى اللون الرمادي الباهت.

بعدئذٍ يبقى شيء ساحر بينك وبين كل من أو ما أحببته من قبل - أشخاص أو أشياء أو أماكن. سوف تشعر أن أي منهم لم يكن بهذا المقدار من القرب أو المحبة من قبل.

في كثير من الأحيان سوف تعود لزيارتك مرة أخرى. فبمجرد أن تراها، فإنها لن تتوقف عن زيارتك أبدًا. وهذه المطاردة مثيرة للشجن ومؤلمة ولطيفة في نفس الوقت بشكل لا يوصف، ومن المحزن بشكل لا يمكن تفسيره – أن ذلك الأمر قد يملؤك برغبة متهورة في التجول حول العالم بحثًا عن شخصية مثلها. ولكن مهما طالت المسافات التي سوف تقطعها بحثًا عنها، فإنك لن تجد تلك الشخصية أبدًا.

لاحقًا قد تتعلم الخوف من زياراتها بسبب الألم الذي تسببه - الألم الغريب الذي لا يمكنك فهمه أو تفسيره. ورغم ذلك فإن اتساع الأراضي والبحار لا يمكن أن يفصلك عنها، الجدران الحديدية لا يمكن أن تبعدها عنك. إن انتقالها من مكان إلى آخر صامت وغير مرئي مثل موجات الأثير.

إن جمالها قديم مثل قلب الإنسان - ومع ذلك يزداد جمالًا مع مرور الزمن، ويظل

يافعًا وشابًا إلى الأبد. يذبل البشر بمرور الوقت مثلما تذبل أوراق الشجر مع حلول برودة الخريف؛ لكن مرور الزمن لا يضيء إلا وهج وزهرة شبابها الذي لا نهاية له.

لقد عشقها كل الرجال. ويجب على الجميع الاستمرار في حبها. ولكن لم تمسها شفتي أي رجل ولو حتى طرف ثوبها.

كل الرجال يعشقونها. بينما هي تُغري الجميع، وهي بالفعل تمتلك العديد من الطرق حتى تحقق غرضها. في أغلب الأحيان تستدرج حبيبها عن طريق إغوائه بجارية دنيوية، وتلبس نفسها - على نحو لا يمكن فهمه - جسد تلك الجارية حتى تندمج معها تمامًا ويصبحا كائنًا واحدًا، حينها يحدث بريقًا مفاجئًا بحيث تتحول النظرة البشرية إلى نظرة سماوية - حتى تتألق وتشرق الأطراف البشرية من خلال ثيابها. ولكن عما قريب تنفصل الزائرة النورانية عن الكائن الفاني، وتتركها مخدوعة تتساءل عن الإحساس بالزيف.

لا يمكن لأي رجل أن يصفها، على الرغم من أن جميع الرجال تقريبًا حاولوا القيام بذلك لفترة من الزمن. من المحال أن يتم رسمها أو تصويرها، لأن جمالها نفسه مؤهل لكي يبقى إلى الأبد ولا يفنى أبدًا، متعددة الأشكال إلى ما لا نهاية، مفرطة الحس مع نشاط دائم، كما هو الحال مع تدفق الضوء.

هناك قصة بالفعل تروي أنه منذ آلاف السنين تمكن نحات رائع من تثبيت ذكرى واحدة لها على الحجر. لكن هذا الفعل أصبح بالنسبة للكثيرين سببًا لمأساة عظيمة: حيث قضت الآلهة حينها، من منطلق رحمتهم، بألا يُمنح أي إنسان آخر القدرة على صنع مثل هذه الأعجوبة. لذلك في تلك الأيام يمكننا تقديسها فقط؛ ولكن لا يمكننا تصويرها أو وصفها.

حسنًا! هنا يأتي السؤال الذي أردت منك أن تطرحه من قبل: من هي؟ - أو ما هي؟.. في الواقع، لم يكن لها اسم قط؛ ولكنني سوف أطلق عليها اسم روح الشجرة.

يقول اليابانيون أنه يمكنك طرد روح الشجرة - إذا كنت قاسيًا بما يكفي للقيام بذلك - ببساطة عن طريق قطع شجرتها.

ولكنك لا تستطيع أن تطرد الروح التي أتكلم عنها، ولا أن تقتلع شجرتها من جذورها أبدًا.

لأن شجرتها هي شجرة الحياة التي لا يحدها مكان ولا زمان، والتي ينبثق منها مليار فرع - حتى شجرة العوالم التسعة، الإغدراصيلة (32) Yggdrasil، التي تتغلل جذورها في الليل والموت وتمتد رأسها فوق الآلهة، لا يمكن مقارنتها بها.

ألتمس طريقًا لإغوائها والتودد إليها، ولكنها مجرد صدى. أسعى لعناقها واحتوائها، ولكنها مجرد ظل. ورغم ذلك فإن ابتسامتها سوف تطاردك حتى ساعة الفراق وما بعدها - من خلال عدد لا يحصى من الحيوات في المستقبل.

ولن ترد لها ابتسامتها أبدًا، أبدًا، بسبب ذلك الألم - الذي يتم إيقاظه بداخلك - والذي لن ولم تستطع أن تفهمه أو تدركه مهما طال بك الزمن.

ولن تفوز بها أبدًا - لأنها لم تكن إلا ضوء وهمي لشموس انتهت واضمحلت منذ أزمنة طويلة - لأنها تشكلت من خلال نبض ملايين لا حصر لها من القلوب التي تحولت إلى غبار منذ أزمنة بعيدة – لأنه تم صنع فتنتها وسحرها من خلال التذبذب المستمر والحركة اللامتناهية لرؤى وآمال الشباب، من خلال دورات منسية لا تعد ولا تحصى من ماضيك المتقلب.

البقايا

مع غروب الشمس كانا قد وصلا إلى سفح الجبل. لم يكن هناك أي أثر للحياة في ذلك المكان، لا أثر يدل على وجود ماء، ولا أثر لنبات، ولا حتى ظل طائر يطير ويرتفع في السماء- لا شيء سوى غربة موحشة تنبثق عن غربة أخرى. وضاعت قمة الجبل في الجنة.

حينها قال البوداسف(33) Bodhisattva لرفيقه الشاب: "سوف يُعرض لك ما طلبت رؤيته، ولكن موضع الرؤيا بعيد. والطريق شاق وموحش. اتبعني ولا تخف، سوف تُمنح القوة اللازمة لاستكمال الطريق".

غشيتهم الظلمة بينما كانوا يتسلقون الجبل. لم يكن هناك طريق ممهد، ولا أي علامة تدل على وجود بشري بهذا المكان من قبل؛ كان الطريق يمر عبر أكوام لا نهائية من بقايا الحطام والصخور المتساقطة والتي تدحرج وتنقلب تحت أقدمنا. في بعض الأحيان، كان الجسم الذي يتم إزاحته من مكانه يُحدث أصداءً جوفاءً؛ وفي أحيان أخرى ينفجر الجسم الذي تطأه أقدامنا مثل صدفة فارغة... وبينما النجوم تأخذ مكانها في السماء مبتهجة ومثيرة؛ توغلت الظلمة من حولنا.

قال البوداسف مرشدًا: "لا تخف يا بني، لا يوجد خطر هنا، على الرغم من أن الطريق يبدو كئيبًا".

بمساعدة قوة خارقة تمكنوا من مواصلة التسلق تحت النجوم بسرعة كبيرة. لقد مروا بمناطق مرتفعة يحيطها الضباب من كل حدب وصوب. كلما هبطت أعينهم نحو قاع الجبل، يجدوه يتسع ويبتعد باستمرار. وفجأة يمر طوفانًا من السحب الصامتة أسفلهم، مثل فيضان بحر من الحليب، فيختفي قاع الجبل.

استمروا في الصعود ساعة تلو الأخرى. بينما استسلمت تلك الأجسام غير مرئية لتحطمها البطيء الخافت تحت وطء أقدامهم؛ واشتعلت بها النيران الباردة الباهتة حتى ماتت وتلاشت عند كل لحظة تحطم.

وبمجرد أن وضع الرحالة الشاب يده على شيء أملس بدأ يساوره الشك في ماهية تلك الأجسام وأنها لم تكن أبدًا مجرد أحجارًا أو صخورًا جبلية، وحينما قام برفعه حتى يقطع الشك باليقين؛ رأى تحت ذلك الضوء الخافت سخرية الموت بلا خدين.

خرج فجأة صوت المعلم يحثه على تكملة المشوار: "لا تتلكأ هكذا يا بني فتتأخر! فإن القمة التي نسعى لبلوغها بعيدة للغاية!"

واصلوا التسلق عبر الظلام - بينما كانوا يشعرون تحت أقدامهم باستمرار ذلك التحطم الغريب لتلك الأجسام الرقيقة - ورأوا النيران الجليدية تشتعل وتتصاعد ومن ثم تخبو وتموت - حتى تحول حافة الليل إلى اللون الرمادي، وبدأت النجوم في الخفوت، وبدأ الفجر يزحف ببطء من جهة الشرق.

ومع ذلك، فلقد تمكنوا بمساعدة قوة عليا تفوق طاقة البشر من مواصلة التسلق بسرعة كبيرة. كان يحيط بهم برودة الموت والصمت الهائل... بينما شعلة ذهبية بدأت تشتعل أكثر فأكثر من جهة الشرق.

حينها كشفت المنحدرات عريها لأول مرة ورآها الشاب رؤى العين المجردة؛ فأخذته رعدة وخوف رهيب. حيث لم تكن هناك أي أرض - لا تحته ولا حوله ولا فوقه - بل مجرد كومة هائلة لا حدود لها من الجماجم وبقايا الجماجم وغبار العظام - مع وميض ولمعان غريب يصدر من الأسنان المتساقطة ويتناثر من خلال انزلاقها تحت أقدامهم، مثل لمعان بقايا صدفة بحرية متحطمة حملها المد إلى الشاطئ.

حينها خرج صوت البوداسف قائلًا: "لا تخف يا بني! فقط أصحاب القلوب القوية يمكنهم الفوز بمكانة الرؤية!"

وخلفهم اختفى العالم. لم يبقَ شيء سوى السحب في الأسفل، والسماء في الأعلى، وأكوام الجماجم بينهما – تنحدر إلى أعلى متوارية عن الأنظار.

رويدًا رويدًا بدأت الشمس تصعد تدريجيًا في الأفق مع كل خطوة في طريق المتسلقين؛ ولم يكن هناك دفء في نورها، بل برد حاد كالسيف. كان الذعر من الارتفاع الهائل، والخوف من العمق السحيق، والرعب من الصمت الرهيب، يتزايد ويتزايد، ويثقل على قلب الرحالة الشاب، حينها أمسك بقدميه - حتى انقطعت عنه فجأة كل قوته، وبدأ يئن مثل الراقد في الأحلام.

صاح البوداسف: "أسرع، أسرع يا بني! اليوم قصير، والقمة بعيدة جدًا".

لكن الشاب صرخ قائلًا: "إني خائف، إني خائف بشكل لا يوصف! – ولقد فارقتني القوة!".

أجاب البوداسف: "ستعود إليك القوة يا بني... انظر الآن إلى الأسفل، وإلى الأعلى، وحواليك، وأخبرني بما ترى"..

صاح الرحالة الشاب وهو يرتجف ويتشبث: "لا أستطيع. لا أجرؤ على النظر إلى الأسفل! ليس أمامي وحولي سوى جماجم البشر".

قال البوداسف ضاحكًا بهدوء: "ومع ذلك يا بني، فإنك لا تعرف مما يتكون هذا الجبل".

وكرر الآخر وهو يرتجف:"'إني خائف! – ومذعور بشكل لا يوصف! ... ليس هناك

سوى جماجم البشر من حولي!".

أجاب البوداسف: "إنه جبل من الجماجم. ولكن اعلم يا بني أن كل هذه الأشياء ملكك أنت! لقد كان كل منها في وقت ما مرتعًا لأحلامك وأوهامك ورغباتك. ولا توجد جمجمة واحدة هنا تخص أي كائن آخر. كل شيء - جميعها دون استثناء - كان ملكك أنت، في المليارات من حيواتك السابقة".

كارما الحب

أحد عوامل الجذب التي لا تفشل أبدًا في مسرح طوكيو هو أداء كيكوغورو Kikugorō (34) الشهير وفرقته لتلك المسرحية الغريبة بوتان دورو(35) Botan-Dōrō، أو "مصباح الفاوانيا(36) "Peony-Lantern ، والتي تدور مشاهدها في منتصف القرن الماضي، المسرحية عبارة عن دراما رومانسية للروائي انتشو Enchō، مكتوبة باللغة اليابانية العامية، لغة يابانية مجردة ممزوجة بالطابع المحلي الياباني، على الرغم من أنها مستوحاة من قصة صينية. حينما ذهبت لمشاهدة المسرحية أدركت أن كيكوغورو جعلني على دراية بنموذج جديد من الاستمتاع بالخوف.

سألني أحد الأصدقاء الذي يرشدني بين الحين والآخر عبر متاهات الفلسفة الشرقية: "لماذا لا نُطلع القراء الإنجليز على الجزء الخاص بالأشباح من القصة؟ سيكون ذلك بمثابة تفسير لبعض الأفكار الشائعة حول ما هو خارق للطبيعة والتي لا يعرف المجتمع الغربي عنها سوى القليل جدًا. ويمكنني مساعدتك في الترجمة".

ولقد قبلت ذلك الاقتراح بكل سرور. وقمنا بتأليف الملخص التالي للجزء الأكثر غرابة وخروجًا عن المألوف من قصة انتشو الرومانسية. في جزء أو آخر من القصة وجدنا أنه من الضروري تلخيص السرد الأصلي أو إيجازه؛ بينما حاولنا أن نبقى قريبين من النص فقط في الفقرات الخاصة بالحوار - والتي يتصادف أن بعضها يُعبر عن سمة معينة أو طبع محدد من الاهتمام النفسي.

هذه هي قصة الأشباح في رومانسية مصباح الفاوانيا:

(1)

كان يعيش في حي أوشيغومي Ushigomé، في إيدو(37) Yedo، هاتاموتو(38) hatamoto يدعى إيجيما هيزايمون Iijima Heizayémon، وكانت لديه ابنته وحيدة، تدعى تسويو Tsuyu، رائعة الجمال مثل اسمها، والذي يعني "ندى الصباح". في يوم من الأيام تزوج إيجيما من زوجة ثانية عندما كانت ابنته في السادسة عشرة من عمرها تقريبًا؛ وعندما اكتشف أنها ليست سعيدة مع زوجة أبيها ولن تنعم بالسعادة أبدًا معها، قام ببناء منزل جميل من أجل الفتاة في يانغيجيما Yanagijima، وذلك كمسكن منفصل خاص بها، وأحضر لها خادمة ممتازة، تدعى الأنسة أوني O-Yoné، لتسهر على رعايتها.

بدأت السيدة تسويو حياتها في منزلها الجديد سعيدة بما فيه الكفاية، حتى جاء ذلك اليوم عندما قام طبيب الأسرة، ياماموتو شيجو Yamamoto Shijō، بزيارتها بصحبة شاب من الساموراي يُدعى هاغيوارا شينزابورو Hagiwara Shinzaburō، الذي كان يقيم في حي نيدزو Nedzu. كان شينزابورو فتى وسيمًا بشكل غير عادي، ولطيفًا للغاية؛ ومن النظرة الأولى وقع الشاب والفتاة في غرام بعضهما البعض. وحتى قبل انتهاء تلك الزيارة القصيرة، تمكنا من التعهد لبعضهما البعض أنهما لن يفترقا أبدًا مدى الحياة بدون أن يلفتا نظر الطبيب العجوز. وحينما حلت لحظة الفراق، همست تسويو للشاب: "تذكر! إذا لم تأتِ لرؤيتي مرة أخرى، فسوف أموت بالتأكيد!".

لم ينس شينزابورو تلك الكلمات أبدًا؛ وكان حريصًا جدًا على رؤية تسويو مرة أخرى ولكن الكياسة وآداب التصرف منعته من القيام بتلك الزيارة بمفرده. وهكذا اضطر إلى انتظار فرصة أخرى لمرافقة الطبيب، الذي وعده باصطحابه إلى المنزل مرة أخرى. ولكن لسوء حظ الفتى فإن الرجل العجوز لم يفِ بوعده.

لقد أدرك المشاعر المفاجئة التي يكنها شينزابورو لتسويو؛ وكان يخشى أن يحمله والدها مسؤولية أي نتائج خطيرة مترتبة عن ذلك الحب. وكان معروفًا عن إيجيما هيزايمون أنه لا يتوارى عن قطع رؤوس أعدائه. وهكذا كلما أمعن شيجو الفكر في العواقب المحتملة لإدخاله شينزابورو إلى منزل إيجيما، تملك منه الخوف بشكل أكبر. لذلك امتنع عمدًا عن اصطحاب صديقه الشاب خلال زيارته للفتاة.

مرت أشهر عديدة؛ لم تتخيل تسويو خلالها السبب الحقيقي لإهمال شينزابورو لها، واعتقدت أنه قد تم التلاعب بمشاعرها والاستهزاء بها. وحينما يئست من حبها، بدأ جسدها يضعف وينهار تدريجيًا حتى ماتت في النهاية.

بعد ذلك بوقت قصير، ماتت الخادمة الأمينة أوني أيضًا، بسبب حزنها على فقدان سيدتها؛ وَدُفن الاثنان جنبًا إلى جنب في مقبرة معبد شين-بانزوي-إن Shin-Banzui-In، وهو معبد لا يزال قائمًا في حي دانغو زاكا Dango-Zaka، حيث تُقام عروض زهور الأقحوانة(39) الشهيرة سنويًا.

(2)

لم يكن شينزابورو يعلم شيئًا عما حدث؛ لكن خيبة أمله وقلقه أدى إلى إصابته بمرض طويل الأمد. ورغم أنه قد بدأ بالفعل بالتعافي ببطء شديد عندما تلقى بشكل مفاجئ زيارة أخرى من الطبيب ياماموتو شيجو، إلا أنه كان لا يزال حينها ضعيفًا للغاية.

حاول الرجل العجوز خلال تلك الزيارة أن يقدم إليه مجموعة من الأعذار المعقولة من أجل أن يبرر إهماله الواضح له.

ولكن قام شينزابورو بالرد عليه قائلًا: "إني أعاني من أعراض المرض منذ بداية الربيع وحتى الآن، لا أستطيع أن أتناول أي طعام... أليس من القسوة منك عدم التواصل معي طوال تلك الفترة؟ اعتقدت أننا سنقوم بزيارة أخرى معًا إلى منزل السيدة إيجيما؛ وأردت أن أقدم لها هدية صغيرة تقديرًا وعرفانًا لاستقبالها اللطيف لنا. ولكني بالطبع لم أستطع الذهاب بمفردي".

أجاب شيجو بوقار وحزن: "أنا آسف جدًا ولكني مضطر لإخبارك أن السيدة الشابة قد ماتت".

صاحر شينزابورو مكررًا كلمات الرجل العجوز وقد تحول وجهه إلى اللون الشاحب: "ماتت! هل قلت إنها ماتت؟"

ظل الطبيب صامتًا للحظة، كما لو كان يستجمع قواه، ثم استأنف حديثه بنبرة خفيفة سريعة كرجل قرر ألا يأخذ الأمور على محمل الجد: "لقد اقترفت أنا خطأ كبيرًا عندما قدمتك إليها؛ لأنه يبدو أنها وقعت في غرامك في الحال. أخشى أنك لا

بد قد قلت شيئًا ما ساهم في تأجج تلك المشاعر لديكما حينما كنتما في تلك الغرفة الصغيرة معًا. على أية حال، رأيت كيف كانت تشعر تجاهك؛ وبعد ذلك شعرت بعدم الارتياح - خوفًا من أن يتطرق إلى مسامع والدها ما حدث، ويلقي اللوم كله علي. لذا – لأكون صريحًا معك – قررت أنه سيكون من الأفضل عدم التواصل معك؛ لذا تعمدت أن أبقى بعيدًا لفترة طويلة. ولكن منذ بضعة أيام فقط، أثناء زيارتي لمنزل السيد إيجيما، نما إلى علمي خبرًا أثار دهشتي البالغة، وهو نبأ وفاة ابنته، ووفاة خادمتها أوني أيضًا. ثم، تذكرت كل ما حدث، أدركت حينها أن السيدة الشابة لا بد وأنها قد توفيت بسبب حبها لك... [واصل حديثه مبتسمًا] حسنًا، أنت حقًا رجل شرير! نعم أنت بالفعل كذلك! [يواصل الابتسام] أليس من الخطيئة أن تولد وسيمًا للغاية بحيث تموت الفتيات من أجل حبك؟(40) ... [يتحدث الآن بجدية مرة أخرى] حسنًا، يجب أن نترك الموت للموتى. لا فائدة من الحديث أكثر عن هذا الأمر؛ كل ما يمكنك فعله لها الآن هو تكرار النيمبوتسو(41) Nembutsu. ... صاحبتك السلامة".

وانسحب الرجل العجوز على عجل – حريصًا على تجنب المزيد من الحديث عن الحدث المؤلم الذي شعر أنه مسؤول عنه عن غير عمد.

(3)

ظل شينزابورو لفترة طويلة من الوقت في حالة ذهول متواصل وفاقدًا للإحساس نتيجة للحزن الذي سببه له نبأ وفاة تسويو. ولكن بمجرد أن وجد نفسه قادرًا على التفكير بوضوح مرة أخرى، كتب اسم الفتاة المتوفاة على لوح جنائزي، ووضع اللوح في الضريح البوذي بمنزله، ووضع القرابين أمامه، وتلا الصلوات. أصبح حريصًا على تقديم القرابين كل يوم بعد ذلك، وكذلك على تكرار صلوات النيمبوتسو؛ حيث لم تكن ذكرى السيدة تسويو غائبة عن فكره أبدًا.

لم يحدث شيء يدفعه لتغيير رتابة عزلته قبل موعد عيد البون(42) Bon– عيد الموتى العظيم – الذي يبدأ في اليوم الثالث عشر من الشهر السابع. حينها قام بتزين منزله وأعد كل شيء للاحتفال. قام بتعليق الفوانيس التي ترشد الأرواح العائدة، ووضع الطعام للترحيب بالأرواح على الشوريودانا(43) shōryōdana، أو رف الأرواح. وفي أول مساء من أيام البون، بعد غروب الشمس، أشعل مصباحًا صغيرًا أمام النصب الخاص بتسويو، وأضاء الفوانيس.

كانت الليلة صافية وهادئة يزين سمائها قمر عظيم، كما كانت الرياح ساكنة والطقس دافئ للغاية. خرج شينزابورو إلى شرفته باحثًا عن شيئًا من البرودة. حيث كان يرتدي ثوبًا صيفيًا خفيفًا فقط، جلس هناك يفكر، ويحلم، ويحزن، وأحيانًا أخرى يقوم بالتهوية على نفسه؛ وفي بعض الأحيان يطلق القليل من الدخان لإبعاد البعوض. كان كل شيء هادئًا في ذلك الحي المنعزل، ولم يكن هناك سوى عدد محدود للغاية من المارة. لم يكن يسمع سوى الاندفاع الهادئ للماء في الجدول المجاور، وضجيج حشرات الليل.

ولكن لم يستمر ذلك السكون طويلًا حتى قطعه في لحظة صوت الغيتا(44)

geta الخاص بالنساء بينما كن يقتربن – كارا كون، كارا كون، وبسرعة اقترب الصوت أكثر فأكثر، حتى وصل إلى السياج المكون من الأغصان الحية المحيطة بالحديقة. حينئذٍ وقف شينزابورو على أطراف أصابعه حتى يتمكن من النظر من فوق السياج، وقد تملك منه الفضول.

رأى امرأتين تمران، إحداهما تحمل فانوسًا جميلًا مزينًا بزهور الفاوانيا(45) ، هيئتها تدل على كونها خادمه؛ أما الأخرى فكانت فتاة نحيلة في السابعة عشرة من عمرها تقريبًا، ترتدي ثوبًا طويل الأكمام مطرزًا بتصاميم مختلفة لأزهار الخريف. وفي نفس اللحظة تقريبًا أدارت كلتا المرأتين وجهيهما نحو شينزابورو؛ حينها تملكت منه دهشة شديدة حيث تعرف على تسويو وخادمتها أوني.

توقفت الفتاتان على الفور، وصرخت الخادمة: "ما هذا؟ كم هو غريب! السيد هاغيوارا!".

نادى شينزابورو في نفس الوقت على الخادمة: "أوني! نعم أنتِ أوني! – إني أتذكرك جيدًا".

صاحت أوني ونبرة صوتها تنطوي على دهشة كبيرة: "يا سيد هاغيوارا! لم أكن أتخيل أنه من الممكن حدوث ذلك.. يا سيدي! لقد تم إبلاغنا أنك توفيت".

قال شينزابورو بنبرة مرتفعة: "كم هو أمر غريب! لماذا يحدث ذلك؟ لقد قيل لي أن كلاكما قد مات!".

عادت أوني للحديث: "كلا، يا لها من كذبة قبيحة، لماذا تكرر مثل هذه الكلمات المشؤومة؟ ... من قال لك ذلك؟"

قال شينزابورو: "من فضلكما تفضلا بالدخول إلى هنا حيث يمكننا التحدث بشكل أفضل، إن بوابة الحديقة مفتوحة".

وبعد أن دخلوا وتبادلوا التحية، قام شينزابورو باستضافتهما ومن ثم واصل الحديث قائلًا: "أنا على ثقة من أنكِ سوف تغفرين لي وقاحتي لأنني لم أتصل بك منذ فترة طويلة. لكن الطبيب شيجو أخبرني منذ حوالي شهر أنكما رحلتما عن الحياة".

واصلت أوني حديثها: "إذن هو من أخبرك بذلك؟ لقد كان ذلك موقفًا خبيثًا وشريرًا للغاية منه، كيف يجرؤ أن يقول مثل هذا الشيء؟ حسنًا، كان شيجو أيضًا هو من أخبرنا أنك ميت. أعتقد أنه أراد خداعك، وهو ما لم يكن بالأمر الصعب بالنسبة إليه وذلك لكونك شخص صادق وتحسن الظَن بالنَّاس. من المحتمل أن سيدتي قد أفشت عن حبها لك من خلال بعض الكلمات التي وجدت طريقها إلى أذني والدها؛ وفي هذه الحالة، ربما خططت الزوجة الجديدة السيدة كوني لجعل الطبيب يخبرك بأننا متنا، وذلك حتى يلبي رغبتها في تحقيق الانفصال بينكما. على أية حال، عندما سمعت سيدتي بوفاتك، أرادت أن تقص شعرها على الفور حتى تصبح راهبة. لكنني تمكنت من منعها من قص شعرها، وأقنعتها أخيرًا بأن تصبح راهبة في قلبها فقط. بعد ذلك أراد والدها أن يزوجها من شاب معين؛ ولكنها رفضت. وهكذا بدأت المشاكل والمتاعب في الظهور، والتي كان سببها الرئيسي هو السيدة كوني، اضطررنا في النهاية مغادرة المنزل، بحثنا كثيرًا حتى وجدنا منزلًا صغيرًا جدًا في ياناكا-نو-ساساكي Yanaka-no-Sasaki. نحن الآن بالكاد قادرين على تدبير أمور معيشتنا، وذلك من خلال القيام ببعض الأعمال الخاصة... كانت سيدتي تكرر باستمرار صلوات النيمبوتسو من أجلك. اليوم، وهو اليوم الأول من عيد البون، ذهبنا لزيارة المعابد، وكنا في طريقنا في هذه الساعة المتأخرة للغاية للعودة إلى المنزل عندما حدث هذا اللقاء الغريب".

صاح شينزابورو: "ما هذا؟ كم هو أمر غريب وعجيب! هل من الممكن أن يكون

ذلك حقيقيًا؟ - أم أنه مجرد حلم؟ وأنا هنا أيضًا كنت أتلو باستمرار صلوات النيمبوتسو أمام لوح مكتوب عليه اسمها! انظرا!" وأظهر لهم لوح تسويو في موضعه على رف الأرواح.

عادت أوني إلى مواصلة الحديث مبتسمة: "نحن أكثر من ممتنين لتصرفك الرقيق وإحيائك لتلك الذكرى، والآن بالنسبة لسيدتي" – تابعت حديثها متوجهة نحو تسويو، التي ظلت طوال الوقت رزينة وصامتة، تخفي نصف وجهها بكم ردائها: "أما بالنسبة لسيدتي، فهي في الواقع لا تمانع أن يتبرأ منها والدها لسبعة أرواح متتالية(46) ، أو حتى أن يقتلها من أجلك! ... هيا! ألن تسمح لها بالبقاء هنا الليلة؟".

أصبح شينزابورو شاحبًا من السعادة، وأجاب بصوتٍ يرتجف من فرط الانفعال: "أرجوكِ ابقي معيَ؛ ولكن يجب ألا نتحدث بصوت مرتفع - لأن هناك شخصًا مزعجًا يعيش بالقرب مني - نينسومي(47) ninsomi يُدعى هاكودو يوساي Hakuōdō Yusai، الذي يمكنه أن يعرف مستقبل الأشخاص وما سوف يحققونه في حياتهم القادمة من خلال النظر إلى وجوههم. إنه شخص غريب الأطوار ويميل إلى الفضول؛ ومن الأفضل ألا يعلم".

بقيت المرأتان تلك الليلة في منزل الساموراي الشاب، وعادتا إلى منزلهما قبل الفجر بقليل. وبعد تلك الليلة أصبحا يأتيان كل ليلة لمدة سبع ليال متتالية دائمًا في نفس الساعة سواء كان الطقس سيئًا أو صحوًا. وهكذا وجد نفسه شينزابورو مرتبطًا بتلك لفتاة أكثر فأكثر؛ وأصبح الاثنان مقيدين ببعضهما البعض، برباط الوهم الذي هو أقوى من أعتى القيود الحديدية.

(4)

في ذلك الوقت كان هناك رجل يُدعى توموزو Tomozō، يعيش في كوخ صغير بجوار منزل شينزابورو. كان توموزو وزوجته السيدة ميني يعملان كخادمين لدى شينزابورو. كان يبدو من الوهلة الأولى أن كليهما مخلصان لسيدهما الشاب، وبمساعدته تمكنا من العيش في رفاهية إلى حد ما.

ذات ليلة، سمع توموزو في ساعة متأخرة للغاية صوت امرأة في منزل سيده؛ وهذا مما أقلق راحته. فلقد كان يخشى أن يتم خداع السيد شينزابورو من قبل شخصية ماكرة متهورة، وذلك لكون سيده يُعد شخصًا لطيفًا وحنونًا للغاية، وفي هذه الحالة سيكون العاملون بالمنزل أول من يعاني. لذلك قرر أن يتابع سيده عن قرب.

في الليلة التالية، تسلل على أطراف أصابعه إلى منزل شينزابورو، وتمكن من إلقاء نظرة عبر ثقب صغير في أحد الستائر المنزلقة. ومن خلال الإضاءة الخفيفة المنبعثة من فانوس ليلي داخل غرفة النوم، تمكن من إدراك أن السيد شينزابورو وامرأة غريبة يتحدثان معًا تحت الناموسية. في البداية لم يتمكن من تمييز المرأة بوضوح. حيث كان لا يرى سوى ظهرها من موضعه هذا؛ ولكنه لاحظ فقط أنها كانت نحيفة للغاية، وأنها تبدو صغيرة جدًا انطلاقًا من تصميم فستانها وأسلوب تصفيف شعرها(48) ، عندئذٍ سارع إلى وضع أذنه على الثقب لعله يتمكن من سماع المحادثة بوضوح.

قالت المرأة: "وإذا تبرأ والدي مني، فهل تسمح لي أن آتي وأعيش معك؟".

أجاب شينزابورو: "بكل تأكيد سأفعل ذلك، كلا بل يجب أن أكون سعيدًا بهذه

الفرصة. ولكن لا يوجد سبب للخوف من أن يتبرأ منك والدك لأنك ابنته الوحيدة، وهو يحبك كثيرًا. ما أخشاه هو أن يفرق بيننا الزمن بمنتهى القسوة يومًا ما".

ردت بهدوء: "لم أستطع مطلقًا مجرد التفكير في قبول زوج آخر غيرك. وحتى لو تمكن شخص ما من إفشاء سرنا وقتلني والدي بسبب ما فعلته، فإني لن أتمكن بعد الموت نفسه من التوقف عن التفكير فيك. وأنا الآن على يقين تام أنك أنت نفسك لن تكون قادرًا على العيش بدوني مهما طال الزمن".... ثم تشبثت به بشدة، وشفتاها على رقبته، وبدأت في مداعبته؛ وحينها بدأ هو الآخر في مداعباتها.

تساءل توموزو بينما كان يستمع إلى تلك المحادثة: من تكون تلك السيدة – لأن لهجة المرأة لم تكن لهجة امرأة عادية، بل لهجة سيدة ذات مكانة اجتماعية(49) . حينها قرر أن يلقي نظرة واحدة على وجهها مهما كانت المخاطر والعواقب الناجمة عن ذلك الفعل، وزحف حول المنزل، ذهابًا وإيابًا، مادًا بصره من خلال كل فتحة وثقب. وأخيرًا أصبح قادرًا على الرؤية، ولكن في تلك اللحظة أخذته رجفة شديدة وشعر ببرودة قارسة تسري في أطرافه، وانتصب شعر رأسه.

الوجه الذي رآه لم يكن سوى وجه امرأة ماتت منذ زمن طويل – حتى الأصابع التي كانت تداعب سيده ما هي إلا عظم مجرد غير مكسو باللحم، ولم يكن هناك أي شيء من الجسد تحت الخصر: لقد ذاب حتى أصبح مجرد ظل رقيق متدل. حيث رأت عين العاشق المخدوع الشباب والرشاقة والجمال، لم يظهر لعين الناظر إلا الرعب، والفراغ من الموت. في الوقت ذاته ومن داخل نفس الغرفة، نهض جسد امرأة أخرى أكثر غرابة من الأولى متجهًا بمنتهى السرعة نحو المراقب، كما لو كانت تميز وجوده. تمكن توموزو من الهروب إلى مسكن هاكودو يوساي وقد داهمته حالة من الرعب الشديد، وقام بطرق الباب بشكل محموم حتى نجح في إيقاظه.

(5)

كان النينسومي هاكودو يوساي رجلًا عجوزًا جدًا؛ سافر كثيرًا خلال مراحل حياته المختلفة، وسمع ورأى العديد من الأشياء لتلك الدرجة التي جعلت من الصعب للغاية أن يفاجئه أمر ما أو يثير دهشته. ومع ذلك، فإن قصة توموزو المرعوبة أزعجته وأذهلته. وكان قد قرأ في الكتب الصينية القديمة عن الحب بين الأحياء والأموات؛ لكنه لم يصدق قط أن ذلك من الممكن حدوثه. ومع ذلك، فقد أصبح الآن مقتنعًا بأن حديث توموزو لم يكن كذبًا أو وهمًا، وأن شيئًا في منتهى الغرابة كان يحدث بالفعل في منزل السيد هاغيوارا. إذا ثبت أن الحقيقة هي ما تخيله توموزو، فإن الساموراي الشاب كان رجلًا محكوم عليه بالهلاك لامحالة.

قال يوساي للخادم الخائف: "إذا كانت المرأة شبحًا... حقًا إذا كانت المرأة شبحًا بالفعل فلا بد أن سيدك سوف يموت قريبًا جدًا – ما لم يكن هناك شيء غير عادي يمكن القيام به لإنقاذه. ولا بد أن علامات الموت سوف تظهر على وجهه قريبًا طالما كانت المرأة شبحًا. لأن روح الأحياء هي يوكي(50) yōki ونقية – وروح الموتى هي إنكي(51) inki وغير طاهره، أحدهما إيجابي وحقيقي والآخر سلبي وخيالي. فمن كانت عروسه شبحًا لا يستطيع أن يعيش. على الرغم من وجود قوة حياة مدتها مائة عام في دمه، إلا أن هذه القوة يجب أن تفنى وتضمحل بسرعة ... ومع ذلك، سأفعل كل ما بوسعي لإنقاذ السيد هاغيوارا. وفي هذه الأثناء، يا توموزو، لا تخبر أي شخص عما يحدث هنا، ولا حتى زوجتك. عند شروق الشمس سوف أستدعي سيدك من أجل مقابلته".

(6)

عندما بادر يوساي إلى سؤاله في صباح اليوم التالي، حاول شينزابورو في البداية إنكار وجود أي امرأة في المنزل؛ ولكنه حينما وجد أن سياسة الإنكار الحمقاء تلك بلا جدوى، وأدرك أن الرجل العجوز ليست لديه أي أهدافًا شخصية على الإطلاق وأنه يريد أن يعرف الحقيقة من أجل مساعدته، حينها فقط غلبته الحجة وأقتنع بضرورة الاعتراف بما حدث بالفعل، وإبداء أسباب رغبته في إبقاء الأمر سرًا. أما فيما يتعلق بالسيدة إيجيما، فقد أخبره أنه ينوي أن يتخذها زوجة له في أسرع وقت ممكن.

بمجرد سماع هذا الكلام صاح يوساي وقد فقد صبره تمامًا من شدة انزعاجه: "ما هذا الجنون الذي تقوله! يجب أن تعلم يا سيدي أن الأشخاص الذين كانوا يأتون إلى هنا، ليلة بعد ليلة، قد ماتوا! وأن وهم مخيف أصبح يسيطر على عقلك تمامًا! ... وذلك لأن الحقيقة البسيطة المتمثلة في افتراضك موت السيدة تسويو منذ فترة طويلة وتكرارك صلوات النيمبوتسو لها، وتقديمك القرابين أمام لوحها، هي في حد ذاتها الدليل على أنك تعيش وهم قاتل! ... لقد لمستك شفاه الموتى! – لقد داعبتك أيدي الموتى! ... حتى في هذه اللحظة أرى في وجهك علامات الموت – كذلك أستطيع أن أستدل من نظرتك أنك لن تصدقني! ... أتوسل إليك أن تستمع لي الآن يا سيدي إذا كنت ترغب في إنقاذ نفسك، وإلا فلن يكون أمامك سوى أقل من عشرين يومًا لتبقى على قيد الحياة. لقد أخبرك هؤلاء الأشخاص أنهم يقيمون في منطقة شيتايا Shitaya، في ياناكا-نو-ساساكي. هل زرتهم في ذلك المكان من قبل؟ لا! بالطبع لم تفعل! وبالتالي يجب أن تذهب اليوم بأسرع ما يمكن إلى تلك المنطقة، وحاول العثور على منزلهم! ...".

وبمجرد أن تفوه هاكودو يوساي بهذه النصيحة بمنتهى الجدية والقوة قام ورحل بغتة بدون أن يضيف أي كلمة أخرى.

رغم عدم اقتناع شينزابورو إلا أن حالة الفزع والخوف التي أصابته من جراء حديث النينسومي العجوز جعلته يتخذ قراره بعد لحظة من التروي والتفكير باتباع نصيحته، والذهاب إلى شيتايا. كان الوقت مبكرًا في ذلك الصباح عندما وصل إلى حي ياناكا-نو-ساساكي، وبدأ بحثه عن مسكن تسويو. بدأ يتجول في جميع الطرق والشوارع الفرعية، حرص على قراءة جميع الأسماء المحفورة على المداخل المختلفة، والاستفسار عن قاطني البيوت كلما سنحت له الفرصة. لكنه لم يجد أي شيء يشبه المنزل الصغير الذي أتت على ذكره أوني، ولم يكن أي شخص من الذين قام باستجوابهم على دراية بوجود منزل ما في الحي تسكنه امرأتان عازبتان. وأخيرًا بعد أن تسرب اليأس إلى قلبه وشعر بأن المزيد من البحث لن يُجدي نفعًا بالتأكيد، عاد إلى منزله من خلال أقصر الطرق، والذي تصادف أنه يمر عبر أراضي معبد شين-بانزوي-إن.

وفجأة جذب انتباهه وجود مقبرتين جديدتين موضوعتين جنبًا إلى جنب في الجزء الخلفي من المعبد. كانت أحدهما عبارة عن قبر بسيط، ربما تم تشييده من أجل شخص ذي رتبة اجتماعية متواضعة؛ بينما كان القبر الآخر يحتوي على نصب تذكاري كبير وجميل، معلقٌ أمامه فانوس بديع من الفاوانيا، والذي ربما كان قد تُرك هناك خلال مهرجان الموتى الأخير. تذكر شينزابورو حينها أن فانوس الفاوانيا الذي كانت تحمله أوني مشابهًا تمامًا لذلك الفانوس؛ في تلك اللحظة وقف مذهولًا من تلك الصدفة الغريبة. لذلك أمعن النظر مرة أخرى في القبور لعله يستدل على شيء ما، ولكنه لم يحصل على ما يريد ولم تساعده تلك القبور في الاستدلال على أي شيء، حيث لم تحمل أي منهما اسم أي شخصي - فقط اسم كايميو(52) kaimyō البوذي أو اللقب الذي يطلق على الشخص العادي بعد الوفاة.

ومن ثم قرر أن يبحث عن المعلومات التي يريدها في الهيكل نفسه لذلك بدأ بسؤال العاملين هناك. ومن خلال إجابة أحد مساعدي الكهنة على تلك الأسئلة أدرك شينزابورو أن القبر الكبير قد تم تشييده مؤخرًا يعود لابنة إيجيما هيزايمون،

هاتاموتو مقاطعة أوشيغومي، وأن القبر الصغير المجاور له هو قبر خادمتها أوني، والتي توفيت بعد فترة وجيزة من جنازة سيدتها الشابة من جراء الحزن عليها.

وعلى الفور، بدأت تترد كلمات أوني على ذاكرة شينزابورو، ولكنها تحمل الآن في مضمونها معنى آخر خبيث وشرير: "لقد ذهبنا بعيدًا، ووجدنا منزلًا صغيرًا جدًا في ياناكا-نو-ساساكي، نحن الآن بالكاد قادرين على العيش، من خلال القيام ببعض الأعمال الخاصة" ... يوجد هنا بالفعل بيت صغير للغاية، وهو في الحقيقة في ياناكا-نو-ساساكي كما قالت، ولكن ما هو ذلك العمل الخاص...؟

سارع الساموراي مذعورًا بكل ما أوتي من قوة إلى منزل السيد يوساي، وتوسل إليه من أجل الحصول على مشورته ومساعدته. لكن يوساي صرح له أن ذلك ليس بمقدوره ولن يتمكن من تقديم أية مساعدة لمثل هذه الحالة. وكل ما يستطيع فعله هو إرسال شينزابورو إلى رئيس الكهنة ريوسيكي Ryōseki، في شين-بانزوي-إن، محملًا برسالة يتوسل إليه من خلالها من أجل تقديم المساعدة الدينية إلى شينزابورو على الفور.

(7)

كان الكاهن الأكبر ريوسيكي رجلًا متعلمًا وتقيًا. ومن خلال تلك البصيرة الروحانية التي يتمتع بها استطاع أن يعرف سر الحزن والأسى في وجه زائره، وطبيعة الكارما(53) karma التي تسببت في ذلك. وأستمع إلى قصة شينزابورو بدون أن يبدو عليه أي علامات للتأثر، ومن ثم قال له:

"هناك خطر عظيم يهددك الآن، بسبب خطأ ارتكبته في إحدى كياناتك السابقة. إن الكارما التي تربطك بالموتى قوية للغاية، ولكن إذا ما حاولت أن أشرح لك طبيعتها، فلن تتمكن من فهمها. لذلك سوف أخبرك بالأمر التالي فقط: إن تلك الشخصية الميتة ليس لديها رغبة في إيذاءك بسبب كراهية تحملها اتجاهك، ولا تشعر بأي عداوة من ناحيتك، بل على العكس من ذلك، فهي تحت تأثير مودة جارفة وعاطفة شديدة تجاهك. من المحتمل أن الفتاة كانت تحبك منذ فترة طويلة قبل حياتك الحالية - منذ فترة لا تقل عن ثلاثة أو أربعة من كياناتك السابقة؛ ويبدو أنه على الرغم من تغير شكلها وحالتها بالضرورة خلال كل ولادة مرت بها فيما بعد، إلا أنها لم تكن قادرة على التوقف عن التعلق بك ومتابعتك. ولذلك لن يكون من السهل الهروب من تأثيرها... ولكنني الآن سأقرضك هذا الماموري(54) mamori القوي. إنها صورة ذهبية نقية لبوذا تُدعى تاثاغاتا Tathâgata صوت البحر – كاي-أون-نيوراي Kai-On-Nyōrai، وذلك لكون مواعظه الدينية تتكرر صداها في جميع أنحاء العالم مثل صوت البحر. وهذه الصورة الصغيرة ضرورية بشكل خاص من أجل التحكم في شبح الشيريو(55) shiryō-yoké وإخضاعه – وبالتالي حماية الأحياء من الأموات. يجب أن ترتدي تلك التميمة، بداخل الغلاف، بالقرب من جسدك تحت الحزام... بالإضافة إلى ذلك، سأقوم حاليًا بأداء طقوس سيغاكي(56) ségaki في المعبد من أجل راحة الروح المضطربة... كذلك سوف أمنحك سوترا(57) Sutra

مقدسة، تسمى أبو-داراني-كيو Ubō-Darani-Kyō، أو "الكنز"، يجب أن تحرص على قراءتها كل ليلة في منزلك مَهمَا كَلّفَ الأمرُ... علاوة على ذلك، سأعطيك هذه الحزمة من الأوفودا(58) o-fuda والتي يجب عليك لصق واحدة منها على كل فتحة في منزلك - مهما كانت صغيرة. فإذا فعلت هذا فإن قوة النصوص المقدسة ستمنع الموتى من الدخول. ولكن – مهما حدث – لا تتوقف عن تلاوة السوترا أبدًا.

شكر شينزابورو كبير الكهنة بكل تواضع، وبعد ذلك، أخذ معه الصورة والسوترا وحزمة النصوص المقدسة، وأسرع من أجل الوصول إلى منزله قبل مغيب الشمس.

(8)

بفضل نصيحة يوساي ومساعدته، تمكن شينزابورو قبل حلول الظلام من تثبيت النصوص المقدسة على جميع فتحات مسكنه. وبعد إتمام ذلك عاد النينسومي إلى منزله وترك الشاب وحيدًا.

كانت ليلة دافئة والسماء صافية، حينما قام شينزابورو بإغلاق جميع الأبواب بقوة، وربط التميمة القيمة حول خصره. ومن ثم دخل ناموسيته، وعلى وضوء المصباح بدأ في تلاوة أبو-داراني-كيو. ظل لفترة طويلة يردد الكلمات دون أن يفهم سوى القليل من معانيها. ثم حاول الحصول على قسط من الراحة. لكن عقله كان لا يزال منزعجًا للغاية من الأحداث الغريبة التي وقعت في ذلك اليوم. مر منتصف الليل ولم يتمكن من النوم. وأخيرًا سمع صوت جرس معبد دينتسو-إن Dentsu-In العظيم يعلن عن أن الساعة بلغت الثامنة(59) .

حينما توقف صوت الجرس، سمع شينزابورو فجأة صوت خطوات جيتا يقترب من الاتجاه القديم - ولكن هذه المرة ببطء شديد: كاران-كورون، كاران-كورون! وعلى الفور بدأت جبهته تتصبب عرقًا باردًا. بيد مرتعشة فتح السوترا على عجل، وبدأ مرة أخرى في قراءتها بصوت عالٍ. اقتربت الخطوات أكثر فأكثر حتى وصلت إلى السياج الحي وعنده توقفت!

حدث أمر في منتهى الغرابة بعد ذلك، شعر شينزابورو بأنه غير قادر على البقاء تحت ناموسيته، شيء أقوى حتى من مخاوفه دفعه إلى إلقاء نظرة على مصدر ذلك الصوت، وبدلًا من الاستمرار في تلاوة أبو-داراني-كيو، اقترب بحماقة من مصراع النافذة، ومن خلال فتحة صغيرة أمعن النظر في الظلام الحالك. حينها رأى تسويو واقفة أمام المنزل، وأوني بجانبها تحمل فانوس الفاوانيا؛ كان كلاهما يحدقان في

النصوص البوذية الملصقة فوق المدخل. لم يسبق أن ظهرت تسويو بهذا الجمال من قبل، ولا حتى حينما كانت على قيد الحياة؛ عندئذٍ شعر شينزابورو بقلبه ينجذب نحوها بقوة تفوق قدرته على المقاومة. لكن رعب الموت والخوف من المجهول كبحا جماحه، واستمر في داخله صراع عنيف بين حبه وخوفه حتى أصبح كمن يعاني في جسده آلام جحيم شو-نيتسو(60) Shō-netsu. وفي الحال سمع صوت الخادمة تقول: "يا سيدتي، لا سبيل للدخول. لا بد أن قلب السيد هاغيوارا قد تبدل وتغير من ناحيتك. لأن الوعد الذي قطعه الليلة الماضية قام الليلة بنقضه، وتم إغلاق جميع الأبواب لإبقائنا في الخارج... لا يمكننا الدخول الليلة... سيكون من الحكمة بالنسبة لكِ أن تتخذي قرارك وتتوقفي عن التفكير فيه، لأن مشاعره تجاهك قد تغيرت بالتأكيد. ومن الواضح أنه لا يريد رؤيتك مرة أخرى. لذلك سيكون من الأفضل ألا تسببي لنفسك المزيد من المتاعب من أجل رجل غليظ قلب، عديم المشاعر".

لكن الفتاة أجابت وهي تبكي: "تبًا، أعتقد أن هذا يمكن أن يحدث رغم تلك التعهدات التي قطعناها على أنفسنا لبعضنا البعض! ... فكثيرًا ما قيل لي أن قلب الرجل يتبدل ويتغير بنفس سرعة تغير السماء في فصل الخريف، ومع ذلك، فإني على يقين أن قلب السيد هاغيوارا لا يمكن أن يكون قاسيًا لدرجة أنه يصر على استبعادي بتلك الطريقة! يا عزيزتي أوني، من فضلك ابحثي عن وسيلة ما لكي أصل إليه... وإذا لم تفعلي ذلك، فلن أعود إلى المنزل مرة أخرى أبدًا".

وهكذا واصلت التوسل إلى خادمتها بينما حرصت على تغطية وجهها بأكمامها الطويلة – لقد كانت تبدو جميلة للغاية، وعلامات التأثر البالغ بادية على صوتها، لكن الشعور بالخوف من الموت كان أقوى من أي أحاسيس أخرى بالنسبة إلى حبيبها.

أجابت أوني أخيرًا: "يا سيدتي، أنتِ ما زلتي في ريعان الشباب، فلماذا تشغلين بالك بشأن رجل يعاملك بمنتهى القسوة؟ ... حسنًا، دعينا نرى إن لم يكن هناك سبيل للدخول من الجزء الخلفي من المنزل، هلمي معي لنذهب إلى خلف المنزل!".

أخذت تسويو من يدها وانطلقا معًا بعيدًا نحو الجزء الخلفي من المنزل، وهناك اختفى الاثنان فجأة كما يختفي الضوء عندما تنطفئ شعلة المصباح.

(9)

ليلة تلو الأخرى، كانت تأتي الأشباح في ساعة الثور، وخلال كل ليلة كان يستمع شينزابورو إلى نحيب تسويو. ومع ذلك، كان يعتقد أنه بالفعل قد نجا، ولم يتخيل أن هلاكه قد تم تحديده بالفعل بسبب طبيعة شخصية خادميه.

لقد كان الخادم توموزو قد قدم وعدًا إلى السيد يوساي بعدم التحدث مطلقًا إلى أي شخص آخر - ولا حتى إلى زوجته ميني - عن الأحداث الغريبة التي كانت تحدث. لكن توموزو لم يكن ذا خبرة من قبل في التعامل مع الأشباح لكي يستطيع أن يرقد في سلام. وهكذا تمكنت أوني من الدخول إلى مسكنه على مدار عدة ليالي، وقامت بإيقاظه من نومهِ من أجل أن تطلب منه إزالة الأوفودا الموضوعة فوق نافذة صغيرة جدًا في الجزء الخلفي من منزل سيده. وبالفعل وعدها توموزو بدافع الخوف في كثير من المرات بأخذ الأوفودا قبل غروب شمس اليوم التالي، ولكنه لم يجرؤ بتاتًا على اتخاذ مثل هذا القرار والإقدام علىَ مثل هذا الفعل خلال النهار، معتقدًا أنه إذا ما قام بذلك فإن الشر سوف يلحق بسيده شينزابورو لا محالة.

ولكن في النهاية، وفي ليلة عاصفة، أفزعته أوني من نومه بصرخة لوم واستنكار، وانحنت فوق وسادته قائلة له: "يجب أن تنتبه إلى نفسك عندما تعبث معنا! إذا لم تقم بإزالة هذا النص بحلول ليلة الغد، فسوف تدرك حينها كيف يمكنني أن أصبح كريهة للغاية!". لقد حرصت حينما كانت تتحدث معه على أن يبدو وجهها مخيفًا جدًا إلى تلك الدرجة التي جعلت توموزو يكاد يموت من الرعب.

لم تكن ميني، زوجة توموزو، على علم بهذه الزيارات حتى ذلك الحين، حيث ظنت أن ما يحدث لزوجها هو مجرد أضغاث أحلام سيئة. ولكنها في تلكَ الليلة تحديدًا استيقظت فجأة وسمعت صوت امرأة تتحدث إلى توموزو. وفي نفس تلك

اللحظة تقريبًا توقف الحديث حينما بدأت ميني في النظر حولها على ضوء المصباح الليلي، ولكنها لم تتمكن من رؤية أي شخص آخر سوى زوجها، وقد أخذته رجفة شديدة وأصبح لونه شاحبًا من الخوف. لقد استنتجت أن تلك الشخصية الغريبة قد رحلت رغم أن الأبواب كانت مغلقة، ورغم أنه بدا لها استحالة اقتحامها من قبل أي شخص كان.

ومع ذلك فقد بدأت الغيرة تدب في قلب الزوجة؛ وشرعت في توبيخ توموزو واستجوابه بطريقة جعلته يعتقد أنه لا بد من البوح بذلك السر وشرح ذلك المأزق الرهيب الذي وُضع فيه.

في البداية استسلمت ميني لمشاعر الذعر والحيرة مما يحدث؛ ولكنها كانت امرأة ماهرة، لذلك وضعت على الفور خطة لإنقاذ زوجها عن طريق التضحية بسيدها. حيث قامت بإعطاء توموزو نصيحة ماكرة، تطلب منه أن يضع شروطًا للموتى حتى يقوم بتنفيذ ما يطلبونه منه.

حينما حلت الليلة التالية وفي ساعة الثور، اختبأت ميني عندما سمعت وقع أقدامهم: كاران-كورون، كاران-كورون! بينما خرج توموزو لمقابلة كلتا الفتاتين في الظلام، حينها وجد الشجاعة ليتحدث إليهما طبقاً للفكرة التي طرحتها زوجته: "من المؤكد أنني أستحق توبيخكما..."، وتابع موجهًا حديثه نحو أوني: "ولكني لم أرغب في إثارة غضبك. السبب وراء عدم إزالة الأوفودا هو أنني وزوجتي لن نتمكن من العيش إلا بمساعدة السيد هاغيوارا، وأننا لا نستطيع السماح بتعرضه لأي خطر دون جلب الشقاء لأنفسنا. ولكن إذا ما تمكنا من الحصول على مبلغ مائة ريو(61) ryō من الذهب، فسوف نكون قادرين على إرضائك وتنفيذ ما تطلبينه منا، لأننا لن نحتاج بعد ذلك إلى مساعدة من أي شخص. لذلك، إذا أعطيتنا مائة ريو، فيمكنني أن آخذ الأوفودا بعيدًا دون أن يساورنا القلق على فقدان مصدر دخلنا الوحيد".

بمجرد أن أنهى توموزو حديثه، نظرت أوني وتسويو إلى بعضهما البعض للحظة في صمت. ثم تحدثت أوني قائلة: "يا سيدتي، لقد أخبرتك أنه ليس من الصواب إزعاج هذا الرجل، إذ ليس لدينا أي سبب حتى نضمر له العداوة والضغينة. ولكن من المؤكد أنه من غير المجدي أن تشغلي بالك بشأن السيد هاغيوارا، لأن قلبه قد تغير تجاهك. الآن مرة أخرى، يا سيدتي الشابة العزيزة، اسمحي لي أن أطلب منكِ ألا تفكري فيه مرة أخرى!".

أجابت تسويو بينما كانت دموعها تسيل: "يا عزيزتي أوني، مهما حدث، لا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير فيه! ... أنت تعلمين أنه يمكنك دفع المائة ريو في مقابل إزالة تلك الأوفودا... مرة أخرى فقط، أتوسل إليك يا عزيزتي أوني! أريد أن تعطيني الفرصة حتى أقابل السيد هاغيوارا وجهًا لوجه مرة أخرى فقط، أتوسل إليك!". وأخفت وجهها بكمها، واستمرت في التضرع والتوسل إليها.

أردفت أوني قائلة: "تبًا! لماذا تطلبين مني أن أفعل مثل هذه الأشياء؟ أنت تدركين جيدًا أنني لا أملك ذلك المال. ولكن بما أنكِ تصرين على الرغم من كل ما قلته على الاستمرار في نزوتك تلك، فإني أفترض أنه يجب علي أن أحاول العثور على المال بطريقة ما، وإحضاره إلى هنا مساء الغد... "، ثم التفت إلى توموزو الخائن ووجهت إليه حديثها بعدم اكتراث: "يا توموزو، يجب أن أخبرك أن السيد هاغيوارا يرتدي في الوقت الحالي على جسده ماموري تُدعى كاي-أون-نيوراي، وأنه طالما أستمر بارتداء تلك التميمة فلا يمكننا الاقتراب منه بأي حال من الأحوال. لذا سيكون من الضروري إبعاد تلك الماموري عنه بطريقة أو بأخرى، وكذلك إزالة الأوفودا".

أجاب توموزو بينما ملامح الضعف والوهن تظهر على وجهه: "وهذا أيضًا يمكنني أن أفعله، إذا ما قطعتي وعدًا بأن تحضري لي المائة ريو".

قالت أوني: "حسنًا يا سيدتي، سوف تنتظرين - سواءً أرَدتِ أو أبَيتِ - حتى مساء الغد".

بدأت الفتاة تجهَش بالبُكاء وقالت: "تبًا، يا عزيزتي أوني! هل سوف أعود هذه الليلة أيضًا دون أن أرى السيد هاغيوارا؟ آه! إن هذا في منتهى القسوة!".

وبينما أستمر ظل الفتاة في نحيب وأنين مستمر، قام ظل الخادمة باقتياده بعيدًا عن المنزل.

(10)

أنقضى يوم آخر، وأتى ليل جديد ومعه جاء الموت. ولكن هذه المرة لم يُسمع أي نحيب خارج منزل هاغيوارا؛ لأن العبد الكافر وجد مكافأته في ساعة الثور، وأزال الأوفودا. علاوة على ذلك، فقد تمكن من سرقة الماموري الذهبي من علبته بينما كان سيده في الحمام، واستبداله بتمثال من النحاس، ودفن كاي-أون-نيوراي في حقل مقفر. وبالتالي لم يجد الزائرون ما يمنع دخولهم وقد قاموا بتغطية وجوههم بأكمام ملابسهم، فمروا كبخار ماء متدفق من خلال نافذة صغيرة كان قد تم تمزيق النص المقدس من فوقها. لكن ما حدث بعد ذلك داخل المنزل لم يعرفه توموزو مطلقًا.

كانت الشمس قد بدأت في الارتفاع قبل أن يغامر توموزو بالاقتراب من منزل سيده وطرق الأبواب المغلقة. ولأول مرة منذ عدة سنوات لم يتلقَ أي رد، لذلك أخافه ذلك الصمت والسكون الرهيب الذي كان يحيط بالمنزل. حاول مرارًا وتكرارًا ولم يتلق أي رد. ثم نجح، بمساعدة ميني، في دخول المنزل ومن ثم التوجه بمفرده إلى غرفة النوم، حيث حاول مرة أخرى أن ينادي على سيده دون جدوى. حينئذٍ أحدث جلبة عالية حينما قام بشد مصراعي النافذة إلى الخلف من أجل أن يسمح بدخول الضوء، ورغم ذلك لم يكن هناك أي حركة داخل الغرفة. وأخيرًا تجرأ على رفع زاوية من الناموسية. ولكن بمجرد أن نظر إلى الأسفل حتى هرب من المنزل وهو يصرخ من شدة الرعب.

كان شينزابورو ميتًا – ولكن من الواضح أنه مات ميتة بشعة؛ حيث كان وجهه ينم عن وجه شخص عانى من سكرات الموت نتيجة لتعرضه لحالة من الخوف المفرط. وبجانبه فوق السرير كانت تستقر جثة امرأة! عظام ذراعيها يلتف حول جسده، وعظام يديها يتشبث في رقبته بإحكام.

(11)

ذهب العراف هاكودو يوساي لرؤية رفات شينزابورو أثناء صلاة توموزو الخائن. كان الرجل العجوز مرعوبًا ومذهولًا من فداحة المشهد، لكنه نظر من حوله بعين حادة. وسرعان ما أدرك أن الأوفودا قد نزعت من مكانها على النافذة الصغيرة في الجزء الخلفي من المنزل بفعل فاعل. وعند تفحص جثة شينزابورو، اكتشف أن الماموري الذهبي قد أُخذ من غلافه، ووضعت مكانه صورة نحاسية لفودو. لقد ساورته الشكوك في كون توموزو هو من قام بالسرقة، لكن الحادث برمته كان غير مألوفًا وغريبًا للغاية لتلك الدرجة التي اعتقد معها أنه من الحكمة التشاور مع الراهب ريوسيكي قبل اتخاذ أي خطوة أخرى. لذلك، بعد إجراء فحص دقيق للمنزل، ذهب إلى معبد شين-بانزوي-إن، بأسرع ما يمكن أن تتحمله أطرافه الطاعنة في السن.

حينما رآه ريوسيكي دعاه على الفور إلى الذهاب إلى مسكنه الخاص، دون انتظار سماع الغرض من زيارة ذلك الرجل العجوز.

قال ريوسيكي: "أنت تعلم بالتأكيد أنك محل ترحيب على الدوام هنا. تفضل بالجلوس ... حسنًا، يؤسفني أن أخبرك أن السيد هاغيوارا قد مات".

صاح يوساي بتعجب: "نعم، لقد مات؛ ولكن كيف علمت بذلك؟".

أجاب الراهب: "عانى السيد هاغيوارا بالفعل من توابع الكارما الشريرة؛ بينما كان خادمه رجلًا سيئًا للغاية. ما حدث للسيد هاغيوارا أمر متوقع لا مفر منه؛ لقد تم تحديد ذلك المصير منذ زمن بعيد قبل ولادته الأخيرة. سيكون من الأفضل لك ألا تدع عقلك ينشغل بما حدث أو ينزعج منه".

قال يوساي: "لقد سمعت أنه إذا ما تمتع الكاهن بحياة نقية فقد يكتسب القدرة على رؤية المستقبل لمدة قد تبلغ المائة عام؛ ولكن في الحقيقة هذه هي المرة الأولى في حياتي التي أرى فيها الدليل على تلك القوة ... ومع ذلك، هناك أمر آخر أشعر بالانزعاج والقلق الشديد بشأنه...".

قاطعه ريوسيكي قائلًا: "تقصد سرقة الماموري المقدس، كاي-أون-نيوراي. ولكن يجب ألا يساورك القلق بشأن ذلك. لقد تم دفن التميمة المقدسة في أحد الحقول، وسيتم العثور عليها هناك وإعادتها إلي خلال الشهر الثامن من العام المقبل. لذا من فضلك لا تقلق بشأن ذلك".

اندهش النينسومي العجوز أكثر فأكثر، وغامر بإبداء الملاحظة التالية: "لقد درست علم الإن-يو(62) In-Yō وعلم العرافة والتكهن بالمستقبل، وأعيش من خلال إخبار الناس بما سوف يحدث في مستقبلهم. ولكنني لا أستطيع أن أفهم كيف يمكنك معرفة مثل تلك الأشياء".

أجاب ريوسيكي وإمارات الوقار والجدية تعلو وجهه: "لا تبالي في الوقت الراهن بالكيفية التي أتمكن بها من معرفة كل ذلك... أريد الآن أن أتحدث إليك عن جنازة هاغيوارا. توجد داخل منزل هاغيوارا مقبرة عائلية خاصة به بالطبع، ولكن دفنه هناك لن يكون مناسبًا. يجب أن يُدفن بجانب تسويو، السيدة إيجيما؛ لأن علاقة الكارما الخاصة التي كانت تربطه بها عميقة للغاية. ومن الصواب أن تشيد له قبرًا بجانبها على نفقتك الخاصة، لأنك كنت مدينًا له بالعديد من الخدمات".

وهكذا تم دفن شينزابورو بجانب تسويو، في مقبرة شين بانزوي إن، في ياناكا-نو-ساساكي.

هنا تنتهي قصة الأشباح في رومانسية فانوس الفاوانيا.

سألني صديقي إذا ما كانت القصة قد أثارت اهتمامي أم لا؛ حينها أجبته برغبتي في الذهاب إلى مقبرة شين-بانزوي-إن، حتى أتمكن من الإدراك والإحساس بشكل أكثر دقة على الطابع المحلي لأفكار ودراسات المؤلف.

قال: "سوف أذهب معك في الحال. ولكن ما رأيك في الشخصيات؟".

أجبت: "إذا ما نظرنا للقصة من منظور التفكير الغربي، فإن شينزابورو يعد مخلوق حقير. لقد كنت أقارنه في عقلي بالعشاق المخلصين في أدبنا القصصي القديم. لقد كانوا سعداء جدًا باقتفاء أثر حبيبهم المتوفي إلى القبر، رغم أن معتقداتهم تنص على كونهم كمسيحين ليس لديهم سوى حياة بشرية واحدة فقط من الأجل الاستمتاع بها في هذا العالم. لكن شينزابورو كان بوذيًا، وبالتالي لديه مليون حياة أخرى سوف يعيشها لاحقًا ومليون حياة أخرى عاشها من قبل؛ ولكنه كان في منتهى الأنانية إلى تلك الدرجة التي جعلته لم يتخلَّ ولو عن حياة بائسة واحدة من أجل الفتاة التي عادت إليه من الموت. ثم أصبح بالفعل شخصًا في منتهى الجبن أكثر من كونه مجرد شخصًا أنانيًا فقط. على الرغم من كونه يُعد ساموراي بالولادة والتدريب، إلا أنه قام بالتوسل إلى الكاهن من أجل إنقاذه من الأشباح. لقد أثبت أنه حقير بكل الطرق، ولقد فعلت تسويو الصواب حينما أقدمت على خنقه حتى الموت".

أجاب صديقي: " بالمثل، من وجهة النظر اليابانية يُعد شينزابورو شخص حقير إلى حد ما. لكن من ناحية أخرى فإن استخدام هذه الشخصية الضعيفة والجبانة قد ساهم بشكل ما في مساعدة المؤلف على تطوير الأحداث، والتي ربما لم يكن من السهل إدارتها بمثل هذه الفعالية لولا تلك الشخصية الأنانية. في رأيي، الشخصية الجذابة الوحيدة في القصة هي شخصية أوني، فهي نموذج للخادمة المخلصة والمحبة في الزمن القديم، ذكية، داهية، لا تنضب منها الحلول والأفكار - مخلصة ليس فقط حتى الموت، ولكن فيما بعد الموت كذلك ... حسنًا، دعنا نذهب إلى شين-بانزوي-إن".

لقد وجدنا الهيكل غير مثير للاهتمام، بينما المقبرة مجرد أطلال من الماضي. لقد تحولت المساحات التي كانت تشغلها القبور في السابق إلى رقع متناثرة من البطاطس المزروعة. مازالت توجد العديد من المقابر المتناثرة هنا وهناك والتي تميل في كافة الاتجاهات والزوايا خارج وضعها الطبيعي. بينما شواهد القبور غير مقروءة نتيجة لتآكلها بفعل عامل الزمن، القواعد فارغة، وخزانات المياه محطمة، وتماثيل بوذا بلا رؤوس أو أيادي.

لقد غمرت مياه الأمطار خلال الفترة الأخيرة التربة السوداء، تاركة بركًا صغيرة من الوحل موزعة هنا وهناك، بينما تقفز حولها أسراب الضفادع الصغيرة. يبدو أن كل شيء - باستثناء رقع البطاطس المزروعة - قد تم إهماله للعديد من سنوات. عندما لاحظنا وجود امرأة تقوم بالطبخ في سقيفة صغيرة داخل البوابة، بادر رفيقي إلى الاستفسار عما إذا كانت تعرف أي شيء عن المقابر التي تم التطرق إليها ضمن قصة فانوس الفاوانيا الرومانسية.

فأجابت مبتسمة: "حسنًا! مقابر تسويو وأوني؟ سوف تجدهم قرب نهاية الصف الأول في الجزء الخلفي من المعبد - بجوار تمثال الجيزو(63) Jizō".

لقد مررت بمثل تلك المفاجآت خلال ترحالي في أماكن أخرى من اليابان.

سلكنا طريقنا بين برك الأمطار وبين التلال الخضراء المغطاة بنباتات البطاطس الصغيرة - والتي كانت جذورها بلا شك تتغذى على رفات العديد من الأشخاص من أمثال تسويو وأوني وغيرهما؛ ووصلنا أخيرًا إلى مقبرتين تآكلتا بفعل الأشنة(64) ، وبدت نقوشهما وكأنها قد طُمِست إلى حد ما. وبجانب المقبرة الأكبر كان يوجد تمثال لجيزو بأنف مكسور.

قال صديقي: "ليس من السهل التعرف على أسماء الشخصيات الخاصة بتلك الشواهد، ولكن انتظرا!" ... عندئذٍ أخرج من جيبه ورقة بيضاء ناعمة، ووضعها فوق النقش، وبدأ يفرك الورقة بكتلة من الطين. وأثناء قيامه بذلك، ظهرت أسماء الشخصيات باللون الأبيض على السطح الأسود.

"اليوم الحادي عشر، الشهر الثالث - الفأر، الأخ الأكبر، النار - السنة السادسة من هوريكي Horéki [1756 بعد الميلاد]" ... يبدو أن هذا هو قبر أحد أصحاب نزل نيدزو Nedzu، المسمى كيتشيبي Kichibei. دعنا نرى ما هو موجود على النصب التذكاري الآخر.

وبورقة جديدة تمكن على الفور من اظهار نص كايميو خاص بشخص معين، وبدأ في القراءة: "إن-ميو-إن، هو-يو-أي-تي-كين-شي، هو-ني": "راهب القانون، لامع، نقي القلب والإرادة، مشهور في-القانون - يسكن قصر – يلقي المواعظ البديعة"... "قبر بعض الراهبات البوذيات".

صحت قائلًا: "يا له من هراء مطلق! تلك المرأة كانت تسخر منا ليس إلا".

أجاب صديقي معترضًا على قولي: "في الوقت الراهن أنت تظلم تلك المرأة! أتيت إلى هنا لأنك أردت أن تشعر بالإثارة؛ ولقد بذلت قصارى جهدها من أجل إرضائك. ولكنك لم تفترض أن قصة الأشباح كانت حقيقية، أليس كذلك؟".

إنغوا باناشي Ingwa-Banashi

قصة إنغوا

حينما بدأت زوجة الداي-ميو(65) daimyō تشعر بسكرات الموت كانت تدرك بالفعل أن تلك هي لحظاتها الأخيرة. حيث أنها لم تتمكن من مغادرة مضجعها منذ أوائل الخريف العاشر في الفترة التي يطلق عليها حقبة بونسي(66) Bunsei. بينما الشهر الحالي هو الشهر الرابع من العام الثاني عشر من حقبة بونسي والذي يوافق عام 1829 طبقًا للتقويم الميلادي الغربي؛ وقد حان أوان تفتح زهور أشجار الكرز.

بدأ عقلها حينها ينشغل بأشجار الكرز التي في حديقتها، وفي بهجة الربيع. أخذت تفكر في أطفالها. وفي العديد من خليلات زوجها المتباينات في العمر والطبع، وخاصة السيدة يوكيكو Yukiko، والتي تبلغ من العمر تسعة عشر عامًا فقط.

قال الداي-ميو: "لقد عانيت كثيرًا يا زوجتي العزيزة طوال السنوات الثلاث الأخيرة. لقد بذلنا كل ما في وسعنا من أجل إتمام شفائك — كنا نسهر بجانبك ونبذل قصارى جهدنا حتى نقوم على رعايتك ليل نهار، كنا نصلي ونصوم كثيرًا من أجلك. ولكن على الرغم من رعايتنا لك واهتمامنا بك بكل محبة وعطف، وعلى الرغم من مهارة أفضل أطبائنا، إلا أنه يبدو الآن أن النهاية ليست ببعيدة. ربما سنحزن أكثر مما ستحزنين أنت بسبب اضطرارك إلى مغادرة ما أطلق عليه بوذا: "البيت المحترق(67) في هذا العالم". وبغض النظر عن التكلفة سوف آمر بأداء كل طقوس دينية يمكن أن تخدمك فيما يتعلق بولادتك الجديدة القادمة، وسوف نصلي جميعًا من أجلك بلا انقطاع، حتى لا تضطر روحك إلى التنقل بلا هدف في الفراغ الأسود، وحتى تدخلين الجنة بسرعة وتحققين الانتقال إلى البوذية".

تحدث بمنتهى الحنان بينما كان يداعبها، وأجابته وجفونها مغلقة بصوت رقيق كصوت حشرة صغيرة: "إني ممتنة – بل ممتنة للغاية – من أجل كلماتك الطيبة... نعم، لقد أصبت عين الحقيقة في كل ما ذكرته، أنني كنت مريضة منذ ثلاث سنوات طويلة، وقد تلقيت كل رعاية ومودة ممكنة... ولكن في الواقع لماذا يجب أن أبتعد عن المسار الصحيح الوحيد في لحظة وفاتي؟ ... لعل التفكير في الأمور الدنيوية في مثل هذا الوقت لا يُعد أمرًا صائبًا؛ ولكن لدي طلب أخير – إنه طلب واحد فقط ... هل يُمكن أن تحضر السيدة يوكيكو إلى هنا؟ أنت تعلم أنني أحبها مثل أختي. أريد أن أتحدث معها عن شؤون هذه الأسرة".

جاءت يوكيكو بناءً على دعوة سيدها، وركعت بجانب الأريكة امتثالًا لإشارة منه. فتحت زوجة الداي-ميو عينيها ونظرت إلى يوكيكو وتحدثت: "حسنًا، ها أنتِ هنا يا يوكيكو! ... أنا سعيدة للغاية برؤيتك! اقتربي قليلًا حتى تتمكنين من سماعي جيدًا، فأنا غير قادرة عَلى التحدث بصوت عالٍ... سوف أموت قريبًا يا يوكيكو وأتمنى أن تظلي على اخلاصك المعهود لسيدنا العزيز في كل شيء، لأنني أريد ذلك. عليك أن تأخذي مكاني عندما أرحل... أتمنى أن تكوني محبوبته طوال وقت وعلى الدوام – نعم، حتى أكثر مني بمئات المرات، وأن تتم ترقيتك قريبًا جدًا إلى رتبة أعلى، وتصبحين حبيبته وزوجته المحترمة... وأتوسل إليك دائمًا أن تعتني وتدللي سيدنا العزيز، وألا تسمحين أبدًا لامرأة أخرى أن تستولي على عواطفه... هذا ما أردت أن أقوله لك، يا عزيزتي يوكيكو... هل تمكنت من إدراك وفهم ما أود أن أقوله لكي؟"

أجابت يوكيكو مبدية اعتراضها على حديث سيدتها: "عذرًا يا سيدتي العزيزة، لا تقولي لي مثل هذه الأمور الغريبة! أنت تعلمين جيدًا أنني من طبقة اجتماعية فقيرة ووضيعة، فكيف يمكنني أن أجرؤ على التطلع إلى أن أصبح زوجة سيدنا!".

ردت الزوجة بصوت أجش: "كلا، كلا!" هذا ليس وقت الكلمات الرنانة والنظر إلى مثل تلك الشكليات، دعينا نتحدث فقط بمنتهى الصدق لبعضنا البعض. بعد وفاتي، سيتم ترقيتك بالتأكيد إلى مكانة أعلى؛ والآن أؤكد لك مرة أخرى أنني أتمنى أن

تصبحين زوجة سيدنا. نعم، أتمنى ذلك يا يوكيكو، حتى أكثر مما أتمنى أن أصبح بوذا! ... حسنًا، لقد كدت أن أنسى أمرًا آخرا – أريدك أن تفعلي شيئًا من أجلي. أنتِ تعلمين أنه يوجد في الحديقة نبتة ياي زاكورا(68) yaé-zakura! والتي تم إحضارها إلى هنا في العام قبل الماضي من جبل يوشينو Yoshino في ياماتو Yamato. لقد قيل لي أنها الآن في طور التفتح والازهار الكامل؛ ولدي رغبة شديدة في رؤيتها وهي في مرحلة الزهرة! سوف أموت خلال فترة قصيرة. ويجب أن أرى تلك الشجرة قبل أن أموت. والآن أتمنى أن تحمليني على الفور يا يوكيكو إلى الحديقة حتى أتمكن من رؤيتها... نعم، على ظهرك، يا يوكيكو؛ احمليني على ظهرك".

أصبح صوتها واضحًا وقويًا تدريجيًا أثناء سؤالها الأخير هذا، كما لو أن تلك الرغبة
Telegram:@mbooks90
الشديدة قد أعطتها قوة جديدة من حيث لا تدري، ثم انفجرت فجأة في البكاء. ركعت يوكيكو بلا حراك، ولم تكن تعرف ماذا تفعل؛ لكن سيدها أومأ إليها بالموافقة.

قال: "إنها أمنيتها الأخيرة في عالمنا هذا لقد كانت تحب زهور الكرز دائمًا؛ وأنا أعلم أنها أرادت بشدة أن ترى شجرة ياماتو وهي تتفتح وتزهر. تعالي يا عزيزتي يوكيكو، دعينا نحقق لها أمنيتها الأخيرة".

كما تدير الممرضة ظهرها إلى الطفل، حتى يتمكن من التشبث بها، عرضت يوكيكو كتفيها على الزوجة، وقالت: " أنا على أتم استعداد يا سيدتي، من فضلك أخبريني إذا كان من الممكن مساعدتك بشكل أفضل".

أجابت المرأة المحتضرة وهي تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن ترفع نفسها عن طريق التشبث بكتفي يوكيكو: "ولماذا بهذه الطريقة!". ولكن عندما وقفت منتصبة، أدخلت يديها النحيلتين بسرعة باتجاه كتيفيها من تحت رداءها، وتمكنت من الامساك بصدر الفتاة، وحينها انفجرت في ضحكة شريرة.

صاحت قائلة: "لقد حققت رغبتي! كان لدي أمنية في أن ألمس أزهار الكرز(69) ؟ ولكن ليس أزهار الكرز التي في الحديقة! ... لم أستطع أن أموت قبل أن أحصل على رغبتي تلك. والآن لقد حققتها! - يا لها من سعادة غامرة! وأثناء ترديدها لتلك الكلمات سقطت على الفتاة المنحنية وفارقت الحياة.

حاول الحاضرون على الفور رفع الجثة عن جسد يوكيكو ووضعها على السرير. لكن من الغريب أن ما يبدو في منتهى السهولة أصبح من المحال القيام به. لقد التصقت الأيدي الباردة بصدر الفتاة بطريقة غير قابلة للتفسير، وبدا أنها نمت لتصبح جزءً من اللحم الحي. حينها فقدت يوكيكو وعيها بسبب الخوف والألم.

تم استدعاء العديد من الأطباء، والذين لم يتمكنوا بدورهم من فهم ما حدث. لم يكن من الممكن بأي طريقة عادية فصل يدي المرأة المتوفية عن جسد ضحيتها؛ لقد تشبثتا بمنتهى القوة لدرجة أن بذل أي جهد من أجل إزالتهما كان يؤدي إلى جلب المزيد من الدماء. لم يكن ذلك بسبب تشابك الأصابع، بل لكون لحم راحة اليدين قد اتحد بطريقة لا يمكن تفسيرها بلحم الثديين!

في ذلك الوقت، كان الطبيب الذي يعد الأكثر مهارة في ييدو Yedo أجنبيًا، وهو جراح هولندي. لذا تم اتخاذ القرار باستدعائه. وبعد فحص دقيق، قال إنه لا يستطيع فهم هذه الحالة الغريبة، ولكن من أجل راحة يوكيكو الفورية، لم يكن هناك ما يمكن فعله سوى قطع اليدين وفصلهما عن الجثة. وأعلن أنه سيكون من الخطير محاولة فصلهما عن الثديين. وهكذا تم قبول نصيحته على مضض. وتم بتر اليدين من الرسغين، ولكنهم ظلا ملتصقين بالثديين. وبمجرد أن تم فصلهما عن الجسد تحولا إلى اللون القاتم وجفتا، مثل يدي شخص مات منذ زمن بعيد.

ومع ذلك، لم يكن ذلك الموقف سوى بداية الرعب.

وعلى الرغم من أن تلك الأيدي كانت ذابلة وباردة، إلا أنهما لم تكونا ميتة. فعلى فترات متقطعة، كانتا تتحركان خلسة، مثل العناكب الرمادية الكبيرة. ومنذ تلك الليلة وفيما بعدها كانتا تقومان بالإمساك بصدر الفتاة بقوة والضغط عليه وتعذيبها بدءً من ساعة الثور(70) ، ولا يتوقف الألم حتى حلول ساعة النمر.

قامت يوكيكو بقص شعرها، وأصبحت راهبة متسولة تعيش على الصدقات، وأخذت الاسم الديني داسيتسو Dassetsu. لقد صنعت إيهاي(71) ihai (لوح جنائزي) يحمل الاسم الديني لسيدتها المتوفاة: "ميا-كي-إن-دن شيزان-ريو-فو دايشي"؛ وهكذا أصبحت تحمله معها خلال جميع تنقلاتها.

كما أنها واظبت كل يوم على طلب العفو من الموتى بتواضع، وكذلك حرصت على تأدية خدمة بوذية حتى تجد الروح الغيورة راحتها. لكن الكارما الشريرة التي جعلت مثل هذا البلاء ممكنًا لا يمكن أن تنهك أو تستنفذ بسهولة وبالتالي لم تتوقف عما تفعل. كل ليلة في ساعة الثور، لم تتوقف الأيدي عن تعذيبها، طوال أكثر من سبعة عشر عامًا، وفقًا لشهادة الأشخاص الذين روت لهم قصتها آخر مرة، عندما توقفت ذات مساء في منزل نوغوتشي دينغوزايمون Noguchi Dengozayémon. في قرية تاناكا Tanaka بمنطقة كاواتشي Kawachi التي تنتمي إلى مقاطعة شيموتسوكي Shimotsuké. كان هذا في السنة الثالثة من حكم كوكوا Kōkwa (عام 1846 من الميلاد). وبعد ذلك لم يصل إلى مسامعنا أي شيء آخر عنها.

راكب الجثة

كان الجسد باردًا كالثلج، فلقد توقف القلب عن النبض منذ فترة طويلة، ومع ذلك لم تكن هناك علامات أخرى للموت. ولم يبادر أحد بالتحدث حتى عن القيام بدفن الجثة. لقد ماتت من الحزن والغضب بسبب هجران زوجها لها. لم يجرؤ أحد على دفنها حيث أن القيام بذلك يُعد أمرًا غير المجدي ويُشكل جهداً مهدوراً، وذلك لأنه عندما تكون الرغبة الأخيرة الأبدية لشخص يحتضر هي الانتقام فإن ذلك يمكن أن يدمر أي قبر ويحرك أثقل حجر في المقبرة من مكانه. غادر الأشخاص الذين كانوا يقيمون بالقرب من المنزل الذي ترقد به خوفًا منها تاركين منازلهم خاوية. حيث أدرك الجميع أنها في انتظار عودة الرجل الذي هجرها.

كان طليقها على سفر حينما لقت حتفها. وعندما عاد ونما إلى علمه ما حدث، سيطر عليه الرعب والخوف. وقال محدثًا نفسه: "إذا لم أجد من يقدم لي يد المساعدة قبل حلول الظلام، فسوف تقوم بتمزيقي إربًا". وعلى الرغم من علمه أنها ساعة التنين(72) ، إلا أنه أدرك عدم امتلاكه للوقت الكافي حتى يهدره.

لذا ذهب على الفور إلى إنيوشي(73) inyōshi من أجل طلب المساعدة. عرف الإنيوشي قصة المرأة الميتة؛ وقال للرجل الذي يتطلع إلى مساعدته حينما رأى الجثة: "إن هناك خطرًا عظيمًا يهددك ويمكن أن يلحق بك الأذى. لذا سوف أحاول أن أنقذك. ولكن عليك أن تعدني بأن تفعل كل ما أطلبه منك بدون تردد. هناك طريقة واحدة فقط يمكنك من خلالها إنقاذ نفسك. ولكن يجب أن تدرك أنها طريقة صعبة ومخيفة. وإذا لم تجد الشجاعة لمحاولة القيام بها، فإنها سوف تمزقك إربًا إربًا وتحولك إلى أشلاء. إذا كنت تستطيع أن تكون مقدامًا وشجاعًا، تعال إلي مرة أخرى في المساء قبل غروب الشمس". ورغم أن الرجل بدأ يرتجف من الرعب؛ إلا أنه وعد الإنيوشي بأن يفعل كل ما يطلبه منه.

عند غروب الشمس، ذهب الإنيوشي معه إلى المنزل الذي كانت الجثة ملقاة فيه. حيث قام بفتح الأبواب المنزلقة وطلب من الرجل الدخول. بدأ الظلام يحل سريعًا على المكان. قال الرجل بينما كان يلهث ويرتجف من رأسه إلى أخمص قدميه: "لا أجرؤ! أنا لا أجرؤ حتى على النظر إليها!". أجابه الإنيوشي: "سيتعين عليك أن تفعل أكثر بكثير من مجرد النظر إليها؛ ولقد وعدتني بالالتزام والطاعة. هيا أدخل!". حينها قام بإجبار الرجل المرتجف على الدخول إلى المنزل وقاده إلى حيث كانت الجثة ملقاة.

حينما دخلا وجدا المرأة الميتة مستلقية على وجهها. قال الإنيوشي: "الآن عليك أن تركب عليها، وتجلس بثبات على ظهرها، كما لو كنت تركب حصانًا... تعال! يجب عليك أن تفعل ذلك!".

بدأ الرجل يرتجف مما دفع الإنيوشي إلى القيام بمد يد المساعدة له، كان يرتجف بشكل رهيب؛ ولكنه أمتثل للأمر في النهاية. قال الإنيوشي بلهجة آمرة: "الآن، خذ شعرها بين كفيك، نصفه في اليد اليمنى، ونصفه في اليسرى، يجب أن تمسك به مثل اللجام. قم بثني شعرها حول يديك – كلتا اليدين – وقم ببرمه بإحكام حول يديك. هذه هي الطريقة! ... استمع إلي! يجب أن تبقى هكذا حتى الصباح. سوف يكون لديك جميع المبررات حتى تشعر بالخوف خلال الليل، سوف تحدث الكثير من الأمور التي ستدفعك للإحساس بالرعب. ولكن مهما حدث، لا تترك شعرها أبدًا. إذا تركته ولو لثانية واحدة، فسوف تمزقك إلى قطع من اللحم!".

ثم همس الإنيوشي ببعض الكلمات الغامضة في أذن الجسد الملقى بلا حراك، وقال لراكبه: "الآن، سوف أذهب لمتابعة مهامي الخاصة، يجب أن أتركك وحدك معها... ابق كما أنت! ... قبل كل شيء، تذكر أنه يجب ألا تترك شعرها مهما حدث". وأنصرف بعيدًا مغلقًا الأبواب خلفه.

كانت تمر ساعة تلو الأخرى والرجل رابض على الجثة في خوف شديد؛ حيث أحاطه سكون الليل وامتد من حوله حتى شمل كل شيء، حينها صرخ بعلو صوته لعله يكسر ذلك الصمت الرهيب. وعلى الفور قفز الجسد من تحته، كما لو أنه أراد الاطاحة به بعيدًا، وصرخت المرأة الميتة بصوت عالٍ: "تبًا، كم هو ثقيل! يجب أن اتخلص من هذا الشخص الآن!".

ثم نهضت منتصبة، مندفعة في اتجاه الأبواب، حيث قامت بفتحها، واسرعت بالخروج في ظلمة الليل وهي تحمل على ظهرها ثقل ذلك الرجل. وعلى الرغم من خوفه الشديد إلا أنه لم يتأوه أو يتذمر على الاطلاق وقام على الفور بأغلاق عينيه، والامساك بشعرها الطويل بإحكام شديد مستخدمًا كلتا يديه. إلى أي مدى ذهبت؟ لم يكن يعلم أبدًا. لم ترَ عينيه شيئًا ولم تسمع أذنيه سوى صوت قدميها العاريتين في الظلام، وفحيح أنفاسها وهي تجري.

وأخيرًا، استدارت، وركضت عائدة إلى المنزل، واستلقت على الأرض تمامًا كما كانت رابضة في البداية. استمرت لبرهة من الزمن تلهث وتئن تحت ثقل الرجل حتى بدأت الديوك بالصياح. بعد ذلك تمددت ساكنة.

لم يتزحزح الرجل من فوقها قيد أنملة رغم تخبط أسنانه ببعضها البعض من الرعب، حتى جاء الإنيوشي عند شروق الشمس. قال الإنيوشي بينما كانت علامات السرور مرسومة على وجهه: "من الواضح أنك لم تترك شعرها أبدًا! هذا جيد... الآن يمكنك الوقوف". وهمس مرة أخرى في أذن الجثة، ثم قال للرجل: "لا بد أنك قضيت ليلة مخيفة؛ ولكن لا يوجد شيء ما في إمكانه ان ينقذك سوى ذلك الأمر. وفي في النهاية قد تشعر الآن بأنك في مأمن من انتقامها".

في اعتقادي لا أظن أن خاتمة هذه القصة وما يمكن أن يُستنبط منها مرضي بالنسبة لي من المنظور الأخلاقي. فلم يتم تسجيل أن الشخص الذي اعتلى الجثة قد أصبح مجنونًا، أو أن شعره تحول إلى اللون الأبيض، ذُكر فقط أنه سارع بتقديم

الثناء والامتنان للإنيوشي.

وهناك ملاحظة مُلحقة للسرد مخيبة للآمال بنفس القدر. يقول المؤلف الياباني: "حفيد الرجل [الذي ركب الجثة] لا يزال على قيد الحياة، وأن حفيد الإنيوشي يعيش حاليًا في قرية تسمى أوتوكونوي مورا Otokunoi-mura".

ولكن مع الأسف اسم تلك القرية لا يظهر في أي دليل ياباني في وقتنا الحاضر. حيث أن أسماء العديد من المدن والقرى قد تغيرت منذ كتابة القصة السابقة.

امتنان سامبيتو Samébito

كان هناك رجل يدعى تاوارايا توتارو Tawaraya Tōtarō، يعيش في مقاطعة أومي Ōmi. يقع منزله على شاطئ بحيرة بيوا Biwa مباشرة، ليس بعيدًا عن معبد شهير يسمى إيشيامادیرا Ishiyamadera. كان لديه العديد من الممتلكات الخاصة، والتي تجعله يعيش حياة كريمة؛ ورغم أنه قد بلغ التاسعة والعشرين من عمره إلا أنه مازال أعزبًا. حيث كان لديه رغبة كبيرة في الزواج من امرأة في غاية الجمال؛ ولم يتمكن من العثور على تلك الفتاة التي تنال اعجابه.

يوم ما وأثناء مروره فوق جسر سيتا(74) Séta الطويل، رأى كائنًا غريبًا رابضًا بالقرب من سور الجسر. كان جسد هذا الكائن يشبه جسد الإنسان، ولكنه أسود مائل للزرقة كمداد الحبر؛ بينما وجهه كان كوجه الشيطان. عيناه خضراء كلون الزمرد ولحيته كلحية التنين. أخذت الدهشة الشديدة توتارو في البداية، ولكنه بعد لحظة من التردد وتحت تأثير تلك العيون الخضراء التي رمقته بنظرة لطيفة للغاية، غامر بالتحدث إلى ذلك المخلوق مستفسرًا منه عن كينونته. فأجابه قائلًا: "أنا سامبيتو(75) Samébito، رجل القرش؛ وحتى وقت قصير كنت في خدمة ملوك التنانين الثمانية العظماء Hachi-Dai-Ryū-[Ō] كضابط تابع في قصر التنين [ريوغين Ryūgū](76) . ولكن بسبب خطأ صغير ارتكبته، تم طردي من قصر التنين، ونفيي أيضًا من البحر. منذ ذلك الحين وأنا أتجول هنا، غير قادر على الحصول على أي طعام، أو حتى مكان للاستلقاء. إذا كنت تشعر بأي شفقة تجاهي، أتوسل إليك، ساعدني في العثور على مأوى، واسمح لي أن أحصل على شيء آكله!".

ألقى الرجل القرش كلماته بنبرة حزينة وبطريقة متواضعة جدًا، حتى أن تلك الكلمات لمست قلب توتارو وتأثر بها. فأجابه قائلًا: "تعال معي، توجد في حديقتي بركة كبيرة وعميقة يمكنك أن تعيش فيها ما شئت؛ وسأعطيك الكثير من الطعام

لتأكله".

تبع سامبيتو توتارو إلى منزله، وبدا مسرورًا للغاية بتلك البركة العميقة.

وهكذا سكن هذا الضيف الغريب في البركة لمدة بلغت نصف عام تقريبًا، حيث كان يزوده توتارو كل يوم بأطعمة من المخلوقات البحرية.

[من هذه النقطة في السرد الأصلي، سوف يُشار إلى الرجل القرش، ليس كوحش، بل كشخص حساس من الذكور].

كان موسم رحلة حج الإناث (نيونين مودي nyonin-mōdé) إلى المعبد البوذي الكبير المسمى مي ديرا Miidera، في بلدة أوتسو Ōtsu المجاورة يقع في الشهر السابع من نفس العام؛ ولقد ذهب توتارو إلى أوتسو من أجل حضور المهرجان.

من بين العديد من النساء والفتيات المتواجدات هناك، لاحظ فتاة تتمتع بجمال نادر وغير مألوف. بدت في السادسة عشرة من عمرها تقريبًا؛ وجهها جميلًا ونقيًا كالثلج. بينما جمال شفتيها يأسر الناظرين ويجعلهم يعتقدون أن كل ما يخرج من تلك الشفاه سوف يكون عذبًا مثل صوت بلبل يغني فوق شجرة برقوق. وقع توتارو في حبها بمجرد رؤيتها. عندما غادرت المعبد تبعها تاركًا مسافة معقولة بينهما حتى لا تشعر به، واكتشف أنها تقيم برفقة والدتها لبضعة أيام في منزل ما في قرية سيتا Séta المجاورة. ومن خلال توجيهه لبعض الأسئلة لعدد من أهل القرية، تمكن أيضًا من معرفة أن اسمها تمانا Tamana؛ وأنها لم تتزوج بعد. أدرك أن عائلتها غير راغبة في زواجها من رجل ذي رتبة أو وضع اجتماعي عادي لأنهم طلبوا كهدية خطوبة صندوق يحتوي على عشرة آلاف قطعة من الجواهر.

عاد توتارو إلى منازله وقد تملكه الخوف من تلك المعلومات التي حصل عليها. وكلما فكر في هدية الخطبة الغريبة التي يطلبها والدا الفتاة، كلما شعر أنه لن يتمكن

أبدًا من الحصول عليها وتقديمها لهم من أجل أن تصبح زوجته. حتى لو افترضنا أن هناك ما يصل إلى عشرة آلاف جوهرة في البلاد بأكملها، فإن أمير عظيم فقط هو من يمكنه أن يأمل في الحصول عليها.

ولكنه لم يتمكن من محو ذكرى ذلك الكائن الجميل من ذهنه ولو لساعة واحدة. لقد طاردته صورتها حتى أنه توقف عن تناول الطعام والخلود إلى النوم؛ وأصبح تأثير ذلك الأمر أكثر وضوحًا مع مرور الأيام. وفي النهاية أصيب بمرض شديد لدرجة أنه لم يتمكن من رفع رأسه عن الوسادة. وهكذا أضطر توتارو أن يرسل في طلب الطبيب.

وبعد أن أجرى الطبيب فحصًا دقيقًا، أطلق صيحة تعجب وقال: "تقريبًا جميع أنواع الأمراض يمكن علاجها باستخدام العقاقير والعلاج الطبي المناسب، باستثناء مرض الحب. من الواضح أن مرضك هو مرض الحب. ولا يوجد علاج له. في العصور القديمة مات رويا-أو هاكويو Rōya-Ō Hakuyo بسبب هذا المرض. وعليك أن تعد نفسك للموت كما مات". وبمجرد أن قال الطبيب ذلك أنصرف دون أن يصف له أي دواء.

بحلول ذلك الوقت، سمع رجل القرش الذي كان يعيش في بركة الحديقة بمرض سيده، فجاء إلى المنزل ليخدم توتارو. وبدأ يعتني به بكل محبة وإخلاص ليل نهار. لكنه لم يعرف سبب المرض أو خطورته إلا بعد مرور أسبوع تقريبًا، عندما نطق توتارو، الذي بدأ يعتقد أنه على وشك الموت، بكلمات الوداع التالية:

"إنني أفترض أنني قد حظيت بشرف الاعتناء بك على هذا النحو، لفترة طويلة، بسبب علاقة نشأت بيننا في حالة وجود أو حياة سابقة. ولكنني الآن مريض بالفعل، وكل يوم يتفاقم مرضي؛ وحياتي مثل ندى الصبح الذي يزول قبل غروب الشمس. فمن أجلك، أنا في حيرة من أمري ولا أدري ماذا أفعل. لقد اعتمد وجودك على رعايتي وعنايتي بك؛ وأخشى ألا يكون هناك من يهتم بك ويطعمك عندما أموت...

يا صديقي المسكين! وحاسرتاه! إن آمالنا وأمنياتنا دائمًا مَا تذهب هباءً ولا نستطيع تحقيقها في هذا العالم التعيس!".

ما إن نطق توتارو بهذه الكلمات حتى أطلق السامبيتو صرخة ألم جامحة غريبة، وبدأ في البكاء بمرارة. تدفقت دموع كبيرة من الدم من عينيه الخضراوين بينما كان يبكي وتدحرجت على خديه الأسودين وتجمعت في قطرات على الأرض. حينما انهمرت تلك الدموع كانت دمًا بالفعل ولكن بعد أن سقطت، أصبحت صلبة ومشرقة وجميلة، لقد تحولت إلى جواهر لا تقدر بثمن، ياقوتة رائعة ذات لون قرمزي قاني. لأنه عندما يبكي أهل البحر، تصير دموعهم حجارة كريمة.

اندهش توتارو للغاية حينما شاهد تلك الأعجوبة، وشعر بسعادة غامرة لدرجة أنه أستعاد قوته في لحظات معدودة. قفز من سريره، وبدأ يلتقط ويحصي دموع رجل القرش، ويصرخ في تلك الأثناء: "لقد شُفيت واستعدت صحتي! سوف أعيش! سوف أعيش!".

حينها اندهش رجل القرش بشدة، وتوقف عن البكاء، وطلب من توتارو أن يشرح له عن ماهية العلاج الرائع؛ فأخبره توتارو عن الشابة التي شاهدها في مي ديرا، وعن هدية الزواج الغريبة التي تطلبها عائلتها. أضاف توتارو: "بما أنني على يقين من عدم مقدرتي على تحقيق طلبهم والحصول على عشرة آلاف جوهرة أبدًا، فقد افترضت أن أمنيتي في الزواج من الفتاة الوحيدة الملائمة لي لن يتحقق أبدًا وأنه أمر ميؤوس منه. وهكذا أصبحت تعيسًا للغاية، وفي النهاية تمكن المرض مني. ولكن الآن، وبسبب بكاءك الكريم، أصبح لديّ الكثير من الحجارة الكريمة؛ وأعتقد أنني سوف أتمكن من الزواج من تلك الفتاة. ولكن ليس هناك ما يكفي من الحجارة بعد؛ لذلك أتوسل إليك أن تكون شخصًا طيبًا بما يكفي لتبكي أكثر قليلًا، حتى نتمكن معًا من جمع العدد الكامل المطلوب".

ولكن عند هذا الطلب هز السامبيتو رأسه وأجاب بنبرة تملؤها الدهشة والعتاب:

"هل تظن أنني مثل العاهرة، قادرة على البكاء متى شئت؟ تبًا لا! العاهرات يذرفن الدموع لخداع الرجال؛ لكن كائنات البحر لا يمكنها أن تبكي دون أن تشعر بحزن حقيقي، لقد بكيت عليك بسبب حزن حقيقي شعرت به في أعماق قلبي وتمكن مني الأسى حينما تخيلت أنك سوف تموت. ولكن الآن لا أستطيع أن أبكي عليك، لأنك أخبرتني أن شفيت واستعدت صحتك".

سأل توتارو وعلامات الحزن العميق تعتلي قسمات وجهه: "إذن ماذا علي أن أفعل؟ إذا لم أتمكن من الحصول على عشرة آلاف جوهرة، فلن أستطيع الزواج من تلك الفتاة!".

بقي السامبيتو صامتًا لبعض الوقت بينما كان ذهنه شاردًا وقد بدا أنه يفكر في حل لتلك المعضلة. ثم قال: "استمع إلي! بالتأكيد لن أستطيع اليوم البكاء أكثر من ذلك. لكن دعنا نذهب غدًا معًا إلى جسر سيتا الطويل، ونأخذ معنا بعض النبيذ وبعض الأسماك. يمكننا أن نرتاح هناك لبعض الوقت على الجسر؛ وبينما نحن نشرب الخمر ونأكل السمك، سأنظر في اتجاه قصر التنين، وأحاول أن أتذكر تلك الأيام السعيدة التي قضيتها هناك، وأن أرغم نفسي على أشعر بالحنين إلى الوطن، لعلي أتمكن في النهاية من البكاء".

وافق توتارو وهو يشعر بالأمل والسعادة تملأ روحه.

في صباح اليوم التالي، ذهب الاثنان، يحملان الكثير من النبيذ والسمك، إلى جسر سيتا، واستراحا هناك، ومن ثم تناولا وليمة دسمة. وبعد أن شربا كمية كبيرة من النبيذ، بدأ سامبيتو بالتحديق في اتجاه مملكة التنين، والتفكير في الماضي. تدريجيًا تحت تأثير النبيذ المخفف، بدأت ذكرى الأيام السعيدة تملأ قلبه بالحزن، ويحل به ألم الحنين إلى الوطن، حتى تمكن في النهاية من البكاء بغزارة. وسقطت الدموع الحمراء الكبيرة التي ذرفها على الجسر متحولة إلى وابل من أحجار الياقوت؛ فقام توتارو بجمعهم بينما كانوا يتساقطون، ووضعهم في صندوق كبير وبدأ في عدهم

حتى أحصى العدد الكامل للعشرة آلاف. عندئذٍ أطلق صيحة فرح وسعادة غامرة.

في نفس اللحظة تقريبًا، ومن بعيد فوق البحيرة، تلقت أذانهم صوت موسيقى مبهج؛ ورأوا في الأفق قصر بلون الشمس حينما تهبط نحو المغيب، يرتفع ببطء من المياه، مثل نسيج من السحب.

في ذلك الحين قفز سامبيتو على حاجز الجسر ونظر في الأفق وحينها بدأ يضحك من شدة السعادة. ثم التفت إلى توتارو، وقال: "لابد أنه كان هناك عفو عام تم الاعلان عنه للتو في عالم التنين؛ إذ أن الملوك يدعونني. لذلك يجب أن أقول لك وداعًا. انا سعيد للغاية لأنني تمكنت من الحصول على مثل تلك الفرصة حتى أتمكن من مساعدتك مقابل طيبتك معي".

بمجرد أن أنهى كلماته تلك قفز من فوق الجسر. ولم يره أحد مرة أخرى. بينما سارع توتارو بالرحيل من أجل تقديم الصندوق المليء بالجواهر الحمراء إلى والدي تامانا، حتى يتمكن من الزواج منها في النهاية.

عن الوفاء بالوعد

"سوف أعود في أوائل الخريف"، هكذا قال أكانا سويمون Akana Soyëmon عندما كان يودع أخيه الصغير بالتبني هاسيبه سامون Hasébé Samon منذ عدة مئات من السنين. وقعت تلك الأحداث خلال فصل الربيع في قرية كاتو Kato التابعة لمقاطعة هاريما Harima. أراد أكانا زيارة مسقط رأسه حيث كان يُعد في الأصل من ساموراي إيزومو Izumo.

قال هاسيه: "إن بلدة إيزومو الخاصة بك - بلدة السحب الثمانية المتصاعدة(77) - بعيدة للغاية. وربما سوف يكون من الصعوبة بأية حال أن تُلزم نفسك بالعودة في تاريخ أو يوم محدد. ولكن بالطبع سوف يكون من دواعي سرورنا أن نحدد لنا تاريخ عودتك بدقة. حيث يمكننا حينها إعداد وليمة من أجل الترحيب بك؛ كما يمكننا أن ننتظرك عند البوابة من أجل استقبالك حينما تعود إلينا".

أجاب أكانا: "لماذا تقول ذلك؟ لقد اعتدت الترحال كثيرًا لتلك الدرجة التي تمكنني في معظم الأحيان من تحديد الوقت الذي سوف أستغرقه من أجل الوصول إلى مكان ما؛ ويمكنني أن أعدك بثقة بأنني سوف أكون هنا في تاريخ محدد. دعنا نتفق على يوم مهرجان تشويو Chōyō؟".

قال هاسيبه: "إن هذا التاريخ يوافق اليوم التاسع من الشهر التاسع، حينها سوف تتفتح أزهار الأقحوان، ويمكننا أن نذهب معًا من أجل رؤيتها. كم يُعد هذا الأمر لطيفًا للغاية! ... إذن هل تعدني بالعودة في اليوم التاسع من الشهر التاسع؟".

كرر أكانا نفس الكلمات بينما ابتسامة الوداع ترتسم على شفتيه: "في اليوم التاسع من الشهر التاسع". ومن ثم رحل مبتعدًا عن قرية كاتو في مقاطعة هاريما. بينما كان

هاسيبه سامون ووالدته يتابعانه بأعينهما اللاتي تفيض بالدموع.

هناك مثل ياباني قديم يقول: "لا الشمس ولا القمر يتوقفان أبدًا في رحلتهما الأبدية". مرت الأشهر حثيثة؛ وجاء الخريف على جناح السرعة وأحضر معه موسم الأقحوان. في وقت مبكر من صباح اليوم التاسع من الشهر التاسع استعد هاسيبه لاستقبال أخيه بالتبني. لقد قام بإعداد وليمة من الأطعمة اللذيذة، واشترى النبيذ الفاخر، وقام بتزيين غرفة الضيوف، وملأ المزهريات المتواجدة على الكوّة(78) بزهور الأقحوان من لونين مختلفين. قالت والدته بينما كانت تراقبه منذ الصباح: " يا ابني إن مقاطعة إيزومو، تبعد أكثر من مائة ري(79) ri عن هذا المكان، والرحلة من هناك بخلاف كونها بعيدة للغاية فإنها تمر عبر جبال صعبة ومرهقة؛ ولا يمكننا التأكد من قدرة أكانا على الوفاء بوعده والحضور اليوم تحديدًا. أليس من الأفضل، قبل أن تتحمل كل هذه المتاعب، أن تنتظر مجيئه؟". أجاب هاسيبه: "كلا يا أمي! لقد وعدني أكانا بأنه سوف يأتي هنا اليوم، وهو لم يستطع أن يخلف وعدًا أبدًا من قبل! وإذا ما رآنا وقد بدأنا في الاستعداد لاستقباله بعد الوصول، فسيعلم أنه قد ساورتنا الشكوك في صدق كلمته، وحينها يجب أن نشعر بالخجل من أنفسنا".

كان يومًا جميلًا، والسماء صافية بلا سحب تحجب أشعة الشمس الساطعة، بينما كان الهواء نقي للغاية لدرجة أن العالم بدا أوسع من المعتاد بألف ميل. مر عبر القرية في ذلك الصباح العديد من المسافرين، وكان بعضهم بالفعل من الساموراي. حرص هاسيبه على مراقبة كل شخص يمر عبر القرية، حتى أنه بدأ يتخيل رؤية أكانا يقترب منه أكثر من مرة. وظل على حاله هكذا حتى دقت أجراس الهيكل معلنة انتصاف النهار، ولم يظهر أكانا بعد. خلال فترة ما بعد الظهر، أستمر هاسيبه في مراقبة المسافرين منتظرًا قدوم أخيه دون جدوى. حتى دنا وقت غرب الشمس وما زالت لا توجد أي علامة على عودة أكانا.

ومع ذلك، بقي هاسيبه عند البوابة محدقًا في الطريق. لاحقًا ذهبت إليه أمه

وقالت له: "عقل الرجل يا بني، كما يُقال في المثل، قد يتغير بسرعة مثل سماء الخريف. لكن زهور الأقحوان الخاصة بك ستظل نضرة في الغد. يا بني من الأفضل أن تخلد إلى النوم الآن؛ وفي صباح الغد، يمكنك القدوم إلى هنا مرة أخرى وانتظار أكانا، إذا ما كنت ترغب في ذلك". أجابها الفتى: "ولكنني ما زلت أؤمن بقدومه وأنه لن يخلف وعده وسوف يأتي". وهكذا انصرفت الأم إلى غرفتها الخاصة؛ بينما بقي هاسيبه عند البوابة.

كان الليل صافيًا كما النهار، والسماء تضج كلها بالنجوم؛ وتألق "نهر الجنة الأبيض(80) " برونق غير عادي، بينما خلدت القرية كلها إلى النوم. ولم يكسر الصمت سوى ضجيج جدول صغير، ونباح كلاب الفلاحين تأتي من بعيد. ظل هاسيبه ينتظر، انتظر حتى رأى القمر الرقيق يغرق خلف التلال المجاورة. ثم أخيرًا بدأ الشك والخوف يتسرب إلى قلبه. وبينما كان على وشك العودة إلى المنزل، رأى من بعيد رجلًا طويل القامة يقترب بخفة شديدة وبسرعة؛ وفي خلال لحظات معدودة كان قد تعرف على أخيه أكانا.

صاح هاسيبه وهو ينطلق مسرعًا لمقابلته: "تبًا، لقد كنت أنتظرك هنا منذ الصباح حتى هذه اللحظة! ... لقد وفيت حقًا بوعدك رغم كل شيء ... لا بد أنك في غاية التعب أيها الأخ المسكين! - ادخل؛ لقد قمت بتجهيز كل شيء من أجلك". أرشد أخيه إلى المكان المخصص لاستقباله في غرفة الضيوف، وأسرع لإطفاء الأضواء التي كانت مشتعلة على نحو منخفض. ومن ثم تابع هاسيبه حديثه: "شعرت أمي بالتعب قليلًا هذا المساء، ولقد ذهبت بالفعل إلى الفراش؛ ولكنني سأوقظها في الحال".

هز أكانا رأسه بإشارة صغيرة بعدم الموافقة على ايقاظ والدته. قال هاسيبه: "كما تريد يا أخي؛ وسارع بوضع الطعام الدافئ والنبيذ أمام المسافر. ولكن لم يلمس أكانا الطعام أو النبيذ، بل ظل ساكنًا وصامتًا لفترة قصيرة. ثم قال هامسًا، كما لو كان خائفًا من إيقاظ الأم: "الآن يجب أن أخبرك عن السبب الذي حال بيني وبين حضوري

إليك مبكرًا. عندما عدت إلى إيزومو، وجدت أن معظم الناس تقريبًا قد نسوا طيبة سيدنا السابق، الحاكم الصالح إنيا Enya، وأصبحوا يسعون للحصول على رضاء المغتصب تسونيهيسا Tsunéhisa، الذي استولى على قلعة توندا Tonda. من ناحية أخرى كان عليّ الانتظار حتى أتمكن من زيارة ابن عمي، أكانا تانجي Akana Tanji ، على الرغم من أنه قبل الخدمة تحت قيادة تسونيهيسا، حيث أصبح يعيش هناك كحارس داخل أراضي القلعة. حاول مرارًا وتكرارًا إقناعي بالمثول أمام تسونيهيسا، ولقد استسلمت في النهاية بالفعل خصيصًا من أجل أن أراقب وأفهم شخصية ذلك الحاكم الجديد الذي لم أرَ وجهه من قبل. لقد وجدت إنه جندي ماهر وشجاع للغاية، ولكنه ماكر وقاس. حينها أدركت أنه من الضروري والحتمي القيام بإخباره بعدم إمكانية دخولي في خدمته مطلقًا. ولكن بمجرد أن غادرت مجلسه غدر بي وأمر ابن عمي باحتجازي وإبقائي محبوسًا داخل المنزل. اعترضت على ذلك واخبرتهم أنني قد قطعت وعدًا بالعودة إلى هاريما في اليوم التاسع من الشهر التاسع وأنه يجب أن أذهب في الحال؛ ولكن تم رفض السماح لي بالذهاب. كم تمنيت وفكرت في كيفية الهروب من القلعة ليلًا؛ ولكنني كنت تحت المراقبة باستمرار؛ وحتى صباح اليوم لم أجد سبيلًا للوفاء بوعدي".

صاح هاسيبه في حيرة: "حتى اليوم! ولكن كيف فالقلعة تقع على بعد أكثر من مائة ري من هنا!"

رد أكانا: "نعم، ولا يمكن لأي رجل حي أن يسافر سيرًا على الأقدام مائة ري في يوم واحد. لكني شعرت أنه إذا لم أفِ بوعدي، فلن تُحسن الظن بي أبدًا؛ حينها تذكرت المثل القديم: *"يمكن لروح الرجل أن تسافر ألف ري في اليوم الواحد"*. لحسن الحظ أنه سُمح لي بالاحتفاظ بسيفي، وهكذا فقط تمكنت من المجيء إليك... كن فتى صالحًا مع والدتنا".

عند هذه الكلمات توقف عن الحديث، واختفى في نفس اللحظة.

وهكذا أدرك هاسيبه أن أكانا قتل نفسه من أجل الوفاء بالوعد الذي قطعه على نفسه.

مع اقتراب حلول الفجر، انطلق هاسيبه سامون إلى قلعة توندا، في مقاطعة إيزومو. وعند وصوله إلى ماتسوي Matsué، علم أنه في ليلة اليوم التاسع من الشهر التاسع، قام أكانا سويمون بأداء الهرا كيري(81) harakiri في منزل أكانا تانجي، ضمن أراضي القلعة.

على إثر ذلك ذهب هاسيبه إلى منزل أكانا تانجي، وقام بتوبيخه وتوجيه اللوم إليه على خيانته، ومن ثم ذبحه وسط عائلته، وهرب دون أن يصاب بأذى. وعندما سمع الحاكم تسونيهيسا القصة، أصدر أوامره بعدم ملاحقة هاسيبه. لأنه على الرغم من أن الحاكم تسونيهيسا هو نفسه رجل منعدم الضمير وقاس، إلا أنه كان لايزال يحترم ويقدر الصدق مع النفس عند الآخرين. كذلك أبدى إعجابه بشجاعة هاسيبه سامون وتقديره لعمق الصداقة والأخوة بينه وبين أكانا سويمون.

عن نقد العهد
(1)

قالت الزوجة المحتضرة: "هدئ من روعك يا زوجي العزيز فلست أخاف من الموت، ولكن هناك أمر ما يزعجني في الوقت الحالي. إن لدي رغبة حقيقية في معرفة من سوف تأخذ مكاني في هذا المنزل".

أجاب الزوج المكلوم: «يا عزيزتي، لن يأخذ أحد مكانك في منزلي أبدًا، يجب أن تثقي وتتأكدي أنني لن أتزوج مرة أخرى مهما حدث".

لقد تحدث حينها من قلبه بالفعل؛ لأنه أحب تلك المرأة التي كان على وشك أن يخسرها.

سألته وابتسامة ضعيفة تعلو شفتيها: "هل تعدني على شرف الساموراي؟".

أجاب وهو يمسح على الوجه النحيل الشاحب: "أعدك على شرف الساموراي".

قالت: "إذن يا عزيزي، سوف توافق على أن يتم دفني في الحديقة... أليس كذلك؟ - بالقرب من أشجار البرقوق التي زرعناها معًا في الطرف الآخر؟ لقد راودتني تلك الفكرة من قبل وأردت أن أحدثك بها منذ زمن بعيد؛ ولكنني اعتقدت أنك إذا ما تزوجت مرة أخرى، فلن ترغب في أن يكون قبري قريبًا منك. وبما أنك قدمت لي وعدًا الآن بأنه لن تأخذ مكاني زوجة أخرى في المستقبل؛ فلا يوجد مبرر للتردد في الحديث عن أمنيتي معك... أريد حقًا أن يتم دفني في الحديقة! أعتقد أنني سوف أتمكن في بعض الأحيان من سماع صوتك بالقرب مني، وأنني سأظل قادرةً على رؤية الزهور في الربيع".

أجابها: "سوف تسير الأمور كما تريدين، لكن لا تتحدثي الآن عن الدفن وما سوف يحدث لاحقًا، فانتي لست مريضة لتلك الدرجة التي تجعلنا نفقد الآمل تمامًا في شفائك".

عادت تقول له: "يا زوجي العزيز سوف أموت هذا الصباح لذا يجب عليّ أن أتحدث في ذلك الموضوع... هل بالفعل سوف تدفنني في الحديقة؟"

أجابها: "نعم، تحت ظل شجر البرقوق الذي غرسناه سويًا، سوف يكون لك هناك قبرًا جميلًا".

قالت له: "وهل ستعطيني جرسًا صغيرًا؟".

رد عليها مستفسرًا: "جرس ...؟".

أجابته: "نعم، أريدك أن تضع جرسًا صغيرًا في التابوت، مثل الجرس الصغير الذي يحمله الحجاج البوذيون. هل سوف تسمح لي بالحصول على ذلك الجرس؟".

قال: "بالتأكيد، سوف أن يكون لديك جرسًا صغيرًا، وأي شيء آخر ترغبين فيه".

حينها ختمت حديثها قائلة: "لا أرغب في أي شيء آخر يا عزيزي، دائمًا ما كنت في غاية الطيبة معي. الآن أستطيع أن أموت وانا مرتاحة وسعيدة".

ولم تمر سوى لحظات معدودة على كلماتها الأخيرة حتى كانت قد أغمضت عينيها وفارقت الحياة، بنفس السهولة التي ينام بها طفل متعب. كانت تبدو حينها جميلة للغاية؛ وابتسامة رقيقة تعلو وجهها.

وبالفعل تم دفنها في الحديقة، تحت ظل الأشجار التي أحبتها؛ كما دُفن معها جرسًا صغيرًا مثلما أرادت. وشُيد فوق القبر نصب تذكاري جميل، مزين بشعار العائلة، ويحمل كايميو(82) kaimyō: "الأخت البكر الرائعة؛ الظل المتألق لزهرة البرقوق المضيئة، تسكن في قصر بحر الرحمة العظيم".

ولكن، في غضون اثني عشر شهرًا فقط بعد وفاة الزوجة، بادر أقارب وأصدقاء الساموراي بطرح فكرة زواجه من امرأة أخرى، بل وأصبحوا يصرون عليها في معظم الأحيان. حيث بدأوا يقولون له: "أنت لا تزال شابًا وابنًا وحيدًا لأبيك؛ وليس لديك أطفال. ومن واجب الساموراي أن يتزوج. إذا ما توفيت ولبس لديك أطفال، فمن سوف يقدم القرابين باسم العائلة ويذكر الأجداد؟". وبالفعل اقتنع الشاب أخيرًا بحتمية الزواج مرة أخرى من خلال العديد من تلك الأمثلة والافتراضات.

كانت العروس الجديدة في السابعة عشرة من عمرها فقط؛ وهكذا بدأ يفكر في الأمر ووجد أنه من الممكن أن يشعر بعاطفة حقيقية نحوها، بِصَرْفِ النَّظَرِ عن تأنيب الضمير ولوم النفس الصامت الذي يشعر به كلما لمح ذلك القبر المتواجد في الحديقة.

(2)

لم يحدث أي شيء يعكر صفو حياة الزوجة الشابة أو يقتنص من سعادتها حتى كان اليوم السابع بعد الزفاف، حينما تلقى زوجها أمرًا بالتواجد في القلعة ليلًا من أجل القيام ببعض المهام المنوطة به. شعرت بعدم الارتياح على نحو لم تتمكن من تفسيره خلال الليلة الأولى التي قضتها بمفردها بعد رحيل زوجها مضطرًا إلى القلعة، لقد تمكن منها القلق بشكل غامض لم تجد له مبررًا أو سببًا معقول. وعندما ذهبت إلى السرير لم تستطع النوم. كانت تشعر بوطأة حمل غريب في الهواء المحيط بها، ثقل لا يمكن تحديده مثل ذلك الذي يسبق أحيانًا قدوم العاصفة.

وعندما حلت مساءً ساعة الثور نما إلى مسامعها في الخارج قرع جرس، مثل تلك الأجراس التي يحملها الحجاج البوذيين؛ وتساءلت حينها عن كينونة ذلك الحاج الذي يمكن أن يمر عبر حي الساموراي في مثل هذا الوقت. ولكن لم تمضِ سوى دقائق معدودة كان قد توقف الصوت خلالها لبرهة من الوقت، حتى بدأ الجرس يدق مرة أخرى ولكن على مسافة أقرب بكثير. من الواضح أن الحاج كان يقترب من المنزل؛ ولكن لماذا وكيف يقترب من الخلف حيث لم يكن هناك طريق يمكن أن يعبر من خلاله...؟

وفجأة بدأت الكلاب في النباح والعواء بطريقة غير عادية ومفزعة؛ عندئذٍ شعرت بخوفٍ شديد وكأنها تعيش كابوسًا فظيعًا لا يمكنها الاستيقاظ منه، لقد كان ذلك الجرس بالتأكيد في الحديقة ... عندما حاولت النهوض من أجل إيقاظ الخادم وجدت نفسها خائرة القوى ولا تستطيع الوقوف، ولا تستطيع التحرك، ولا تستطيع التواصل مع الخدم... وأستمر رنين الجرس في الاقتراب أكثر فأكثر؛ تبًا! ما هذا العواء الغريب الذي يصدر من الكلاب! وفجأة اقتحمت الغرفة امرأة بمنتهى السهولة التي يتسلل بها الشبح عبر الأبواب المغلقة بإحكام، والتي لم يتم تحريكها أو حتى محاولة

فتحها. امرأة ترتدي كفنها وتحمل جرس حاج بوذي صغير، بلا أعين حيث أنها قد فارقت الحياة منذ زمن بعيد، شعرها الطويل المرتخي ينسدل على جبهتها ويغطي وجهها؛ تنظر إليها من خلف أطراف شعرها المتشابك بلا عيون، وحينما بدأت في الحديث تحركت شفاهها بلا لسان: "ليس في هذا البيت، لن تقيمين في هذا البيت! ما زلت انا سيدة هذا المكان. يجب عليكِ أن تغادري في الحال؛ ولا تخبري أحدًا أيًا من كان عن سبب رحيلك. سوف أمزقكِ إربًا إذا ما أقدمتِ على اخباره!".

حينما أتمت الزائرة المرعبة تلك الجمل اختفت من حيث أتت. حينها فقدت العروس الاحساس والنطق من جراء الرعب والخوف الذي أحاط بها، وبقيت هكذا حتى مطلع الفجر.

إلا أنه مع إشراقة نهار مبهج جديد، بدأ الشك يتسرب إلى قلبها في حقيقة ما رأته وسمعته خلال الليلة الماضية. ظلت ذكرى ذلك التهديد تثقل كاهلها لدرجة أنها لم تجرؤ على التحدث عن تلك الهلوسة أو التخيل، لا لزوجها ولا لأي شخص آخر؛ لكنها كانت بالكاد قادرة على إقناع نفسها بأنها لم ترَ سوى حلم أو بالأصح كابوس قبيح، والذي تسبب في مرضها. ومع ذلك، في الليلة التالية، لم يتسرب الشك إلى قلبها هذه المرة كما حدث من قبل، بل أيقنت أن ما يحدث ليس مجرد كابوس مرعب.

مجددًا في ساعة الثور، بدأت الكلاب تعوي وتئن؛ ومرة أخرى بدأ صوت قرع الجرس يقترب منها ببطء من خلال الحديقة؛ ومرة أخرى سعت العروس عبثًا إلى النهوض والتواصل مع أي شخص كان ولكن بدون فائدة؛ ومرة أخرى اقتحمت الجثة الغرفة وهي تهمس قائلة: " يجب عليكِ أن تغادري في الحال؛ ولا تخبري أحدًا أيًا من كان عن السبب الذي دفعك إلى مغادرة هذا المنزل. سوف أمزقكِ إربًا إذا ما أقدمتِ على اخباره ولو حتى همسًا!".

هذه المرة اقتربت الزائرة من مضجع العروس، وانحنت فوقها وهي تزمجر وتصدر همهمات مرعبة ...

في صباح اليوم التالي، عندما عاد الساموراي من القلعة، سجدت زوجته الشابة أمامه متضرعة: "أطلب منك أن العفو والمغفرة لفظاظتي ووقاحتي الكبيرة في مخاطبتي لك بهذه الطريقة، ولكني أريد العودة إلى منزل والدي الآن؛ أريد أن أرحل من هنا في الحال".

حينئذٍ سألها بنية صافية وقد سيطرت عليه المفاجأة: "ألست سعيدة معي هنا؟ هل تجرأ أي شخص على معاملتك بقسوة أثناء غيابي؟".

أجابت وهي تبكي: "ليس هذا هو السبب، لقد كان الجميع طيبين معي هنا للغاية... لكن لا يمكنني الاستمرار في هذا الزواج؛ يجب أن أرحل بعيدًا".

صاح وقد ارتسمت على وجهه علامات الدهشة الشديدة: "يا عزيزتي، من المؤلم للغاية معرفة أن الحياة في هذا المنزل تسبب لك مثل تلك التعاسة. لكنني لا أستطيع حتى أن أتخيل سبب رغبتك في الرحيل، إلا إذا كان شخص ما قد أساء إليك بشدة... بالتأكيد لن تخبريني أنك ترغبين كذلك في الطلاق؟".

فأجابت وهي ترتعد وتبكي: "إن لم تطلقني فسوف أموت".

بقي صامتًا لبرهة من الوقت، في محاولة عابثة منه لإيجاد مبرر أو سبب وراء هذا الطلب المحير الغريب. ثم أجاب دون أن يظهر أي عاطفة أو انفعال: "إن إعادتك الآن إلى عشيرتك بهذه الطريقة، وبدون أن تقدمي على فعل أي خطأ ما أو القيام بأي أمر يسوئك، سيبدو عملًا مشينًا من جانبي. ولكن إذا أما تمكنت من إخباري بسبب وجيه لرغبتك تلك، أي سبب ما فإن ذلك سيمكنني من توضيح الأمور بصدق وشرف وحينما سوف أتمكن كذلك من منحك الطلاق. ولكن ما لم تعطيني سببًا، وسببًا وجيهًا بالفعل، فلن أطلقك، لأن شرفنا وشرف هذا المنزل يجب أن يصان ويبقى فوق أي تطاول".

حينئذٍ شعرت العروس بأنه لا مفر أمامها سوى اخباره بالحقيقة؛ لذلك قصت عليه كل ما حدث، وأضافت وهي تتعذب من شدة الرعب: "الآن بعد أن أخبرتك بذلك، سوف تأتي وتقتلني! هي سوف تقتلني!"

على الرغم من كونه رجلًا شجاعًا ولا يميل إلى التصديق في وجود الأشباح، إلا أن الساموراي ظل مصدومًا لبعض الوقت. ولكن سرعان ما تبادر إلى ذهنه تفسير بسيط وطبيعي للأمور.

حينها قال: "يا عزيزتي، أنت الآن متوترة للغاية؛ وأخشى أن يكون أحدهم قد أخبرك بقصص حمقاء. لا أستطيع أن أمنحك الطلاق لمجرد أنك حلمت حلمًا سيئًا في هذا المنزل. ولكنني أعتذر لك بشدة عما مررت به وعما عانيت أثناء غيابي. يجب أن أكون في القلعة هذه الليلة أيضًا؛ ولكن لا تقلقي فلن أتركك بمفردك. سوف أكلف اثنين من الخدم بمراقبة غرفتك؛ وهكذا سوف يكون بمقدورك الخلود إلى النوم بسلام. إنهم رجال صالحون وأشداء. وسوف يعتنون بك بكل الطرق الممكنة حتى لا يصيبك أي مكروه".

ثم تحدث معها بمودة وعطف شديد لدرجة أنها أصبحت تخجل من رعبها بعض الشيء، واتخذت قرارها بالبقاء في المنزل.

(3)

لقد كان الخادمان المكلفان برعاية الزوجة الشابة رجلين كبيرين وشجاعين وطيبي القلب بالفعل، ذوي خبرة في رعاية وحماية النساء والأطفال. لقد قاموا بسرد العديد من القصص الممتعة للعروس من أجل إبقائها مبتهجة. كما أنها تحدثت معهم لفترة طويلة، وضحكت لضحكهم ومرحهم وروح الدعابة التي يملكونها، وكادت أن تنسى مخاوفها.

عندما استلقت أخيرًا من أجل أن تنام، أخذ الرجال المسلحون أماكنهم في أحد أركان الغرفة خلف الستار، وبدأوا في ممارسة لعبة الغو(83) go على سبيل التسلية - لا يتكلمون إلا همسًا حتى لا يقلقوا راحتها، حيث كانت تنام كالطفل الرضيع.

ولكن مرة أخرى وفي ساعة الثور تحديدًا، استيقظت وهي تئن من الرعب، وذلك لأنها سمعت صوت الجرس! ... لقد كان قريبًا بالفعل، وظل يقترب أكثر فأكثر. انطلقت وقد تملك منها الفزع وبدأت تصرخ وتصرخ؛ ورغم ذلك لم يكن في الغرفة أية ضجة، فقط صمت مثل الموت - صمت متزايد - صمت كثيف. اندفعت نحو الرجال المسلحين، جلسوا أمام رقعة اللعبة - بلا حراك - يحدق كل منهم في الآخر بأعين ثابتة. صرخت بهم، هزتهم، ولكنهم ظلوا بدون حراك وبدون ابداء أي ردة فعل، كما لو كانوا متجمدين.

لاحقًا حينما تم استجوابهم عما حدث، أفادوا إنهم سمعوا الجرس بالفعل وسمعوا أيضًا صرخة العروس، بل وشعروا بها وهي تحاول هزهم حتى يستيقظوا؛ ومع ذلك، لم يتمكنوا من الحركة أو التحدث. ومنذ تلك اللحظة نفسها توقفوا عن الاستماع أو الرؤية، كما لو أنه قد استولى عليهم سبات شرير مشؤوم.

عندما دخل الساموراي غرفة عروسه عند حلول الفجر، رأى على ضوء مصباح خافت يحتضر جثة زوجته الشابة مقطوعة الرأس، وملقاة في بركة من الدماء. كان الحارسان لا يزالان جاثمين في وضع القرفصاء أمام مباراة غو غير مكتملة، وقد دخلوا في سبات عميق. ولم يخرجهم من ذلك السبات سوى صرخة سيدهم الرهيبة، حينها لم يتمكنوا من فعل أي شيء سوى التحديق ببلاهة في ذلك الرعب الملقى على الأرض.

لم يكن الرأس ملقى في أي مكان يمكن رؤيته أو العثور عليه داخل الغرفة. وأظهر الجرح البشع أنه لم يُقطع بل أنتزع من مكانه نزعًا، وخلف أثرًا من الدم بدأ من الغرفة واستمر حتى زاوية الرواق الخارجي، حيث بدا عندها أن الأبواب الخارجية(84) قد تم تمزيقها أيضًا بمنتهى العنف.

قام الرجال الثلاثة باتباع مسار الدم إلى الحديقة عبر مساحات من العشب ومن ثم فوق مساحات من الرمال بمحاذاة ضفة بركة صغيرة تحدها زهور السوسن على الجانبين تحت ظلال كثيفة من أشجار الأرز والخيزران.

وفجأة، وجدوا أنفسهم وجهًا لوجه مع كابوس مخيف هائج ومتقلب مثل الخفاش، صورة المرأة المدفونة منذ فترة طويلة، منتصبة أمام قبرها، تمسك الجرس بيد واحدة، واليد الأخرى تتشبث بالرأس المنزوعة بينما تسيل منها الدماء... للحظة فقد الرجال الثلاثة النطق وتسمروا في أماكنهم مذهولين. ثم قام أحد الرجال المسلحون، بينما كان يهمس بدعاء بوذي، بجذب ذلك الشكل وضربه. حينها انهار على الفور فوق التربة، مخلفًا بقايا متناثرة من ملابس بالية، عظام، شعر؛ ودوى جرس متدحرج ينم عن التعاسة والهلاك.

وعلى الرغم من انفصال اليد اليمنى الخالية من اللحم عن الرسغ إلا أنها ظلت تتلوى؛ وأصابعها ما تزال قابضة على الرأس الممزقة والمشوهة، بينما تقطر دمًا بدون

توقف، كما تتشبث مخالب السلطعون الأصفر بالفاكهة المتساقطة بمنتهى القوة والاصرار...

[قلت لصديقي الذي روى لي تلك القصة: "هذه قصة شريرة، إن انتقام الموتى إذا ما تم أخذه على محمل الجد بشكل مطلق، فإنه كان ينبغي أن يقع الانتقام على الرجل وليس على زوجته الشابة".

أجاب صديقي: "الرجال يعتقدون ذلك ويفكرون بتلك الطريقة، ولكن هذه ليست الطريقة التي تشعر بها المرأة".

لقد كان محقًا!

أمام المحكمة العليا

يقول الكاهن البوذي العظيم مونغاكو شونين(85) Mongaku Shōnin في كتابه كيو-جيو شين-شو Kyō-gyō Shin-shō: "إن العديد من الآلهة التي يعبدها الكثير من الناس هي آلهة ظالمة [جاجين(86) jajin]: لذلك لا يعبد مثل هذه الآلهة الأشخاص الذين يقدسون الجواهر البوذية الثلاث(87) ! وحتى هؤلاء الأشخاص الذين ينالون نعمًا مختلفة ومنحًا من تلك الآلهة استجابة لصلواتهم، عادة ما تسبب لهم هذه العطايا سوء الحظ في المستقبل القريب". هذه الحقيقة تتجسد بصورة جلية للغاية في تلك القصة التي وردت في كتاب نيهون-ري-إيكي Nihon-Rei-Iki.

في عهد الإمبراطور شومو(88) Shōmu، كان يعيش في منطقة تدعى ياماداغوري Yamadagori، في مقاطعة سانوكي Sanuki، رجل يُدعى فوشيكي نو شين Fushiki no Shin. لم يكن لديه سوى أبنة واحدة تدعى كينومي(89) Kinumé. كانت كينومي فتاة جميلة حسنة المظهر وقوية للغاية، ولكن لم يمر سوى وقت قصير بعد بلوغها عامها الثامن عشر حتى بدأ يتفشى مرض خطير في ذلك الجزء من البلاد، ورغم قوتها إلا أنها أصيبت بذلك المرض. لاحقًا لم يكن بوسع والديها وأصدقائها سوى تقديم القرابين نيابةً عنها إلى إله وباء معين، وقدموا تضحيات كبيرة تكريمًا لذلك الإله، متوسلين إليه أن ينقذها.

بعد أن ظلت الفتاة المريضة في حالة غيبوبة وفقدان للوعي لعدة أيام، عادت ذات مساء إلى وعيها وأخبرت والديها بذلك الحلم الغريب الذي حلمت به خلال الأيام الماضية.

لقد حلمت بظهور إله الوباء لها وتحدثه إليها قائلًا: "لقد كان أهلك يصلون لي

طوال الوقت من أجلك، وكانوا يعبدونني بإخلاص شديد، لدرجة أنني أرغب حقًا في إنقاذك. ولكني لا أستطيع أن أفعل ذلك إلا من خلال إعطائك حياة شخص آخر. هل تعرفين أي فتاة أخرى تحمل نفس اسمك؟". أجابته كينومي: "أذكر أنه توجد في أوتاريغوري Utarigori فتاة تحمل نفس اسمي". قال الإله وهو يلمس الفتاة النائمة: "دليني عليها". ومع تلك اللمسة ارتفعت الفتاة معه في الهواء؛ وفي أقل من ثانية، كان الاثنان أمام منزل كينومي الأخرى، في أوتاريغوري. ورغم أن الليل قد أنتصف إلا أن الأسرة لم تكن قد ذهبت إلى الفراش بعد، بينما كانت الابنة تغسل شيئًا ما في المطبخ. قالت الفتاة القادمة من ياماداغوري: "هذه هي الفتاة". حينها أخرج إله الوباء من كيس قرمزي يتدلى من حزامه أداة حادة طويلة على شكل إزميل؛ وبمجرد أن دخل المنزل قام بالتوجه نحو الفتاة الأخرى واضعًا الآلة الحادة في جبهتها. وفي الحال سقطت فتاة أوتاريغوري على الأرض وهي تعاني من ألم شديد؛ بينما استيقظت كينومي في ياماداغوري وروت الحلم.

إلا أنها بمجرد أن قامت برواية تلك الحادثة مباشرة سقطت مغشيًا عليها ودخلت في غيبوبة مرة أخرى. وبقيت ثلاثة أيام دون أن تدرك ما يحدث حولها حتى بدأ والداها يشعران باليأس من شفائها.

بعد ذلك وإذ فجأة وبدون سابق إنذار فوجئ الجميع بها تفتح عينيها مرة أخرى. ولكن ما إن بدأت في تحريك شفتيها كي تقول شيئًا ما، إذ بعلامات الحيرة والدهشة تظهر على ملامحها وفي خلال لحظات معدودة نهضت من مضجعها مذعورة تنظر حولها بعنف وصدمة، تتفحص أرجاء الغرفة الغريبة، ومن ثم تندفع خارجة من المنزل وهي تصرخ: "هذا ليس بيتي! هذا ليس بيتي! وأنتم لستم أسرتي!".

لقد حدث بالفعل شيء غريب للغاية.

لقد فارقت الفتاة التي تدعى كينومي والتي تقيم في أوتاريغوري الحياة بعد أن ضربها إله الوباء. وحزن لموتها والداها كثيرًا. وأدى لها كهنة المعبد الخاص بهم

الطقوس البوذية؛ وقاموا بإحراق جثتها في حقل خارج القرية. ومن ثم هبطت روحها إلى ميدو Meido، عالم الموتى، وتم استدعاؤها إلى محكمة إيما-داي-أو Emma-Dai-Ō ملك الأرواح وقاضيها. ولكن ما إن نظر إليها القاضي حتى صاح: "هذه الفتاة هي كينومي من أوتاريغوري، وما كان ينبغي إحضارها إلى هنا بهذه السرعة! أرسلوها مرة أخرى إلى عالم شابا(90) Shaba-world وأحضروا لي كينومي الأخرى، فتاة ياماداغوري!".

خلال ذلك بدأت روح فتاة أوتاريغوري في التأوه والبكاء أمام الملك إيما، واشتكت قائلة: "يا إلهي، لقد أنقضى أكثر من ثلاثة أيام منذ وفاتي؛ وبحلول هذا الوقت لا بد أن جسدي قد تم حرقه؛ وإذا أرسلتني الآن إلى عالم شابا، فماذا أفعل؟ لقد تحول جسدي إلى رماد ودخان. لن يكون لي جسد!".

أجاب الملك الرهيب: "لا تقلقي، سوف أمنحك جسد كينومي التي تقطن في ياماداغوري، لأنه يجب إحضار روحها إلي هنا في الحال. كما أنه لا داعي للقلق بشأن حرق جثتك، ستجدين جسد كينومي الآخر أفضل بكثير". وما أن انتهى من حديثه حتى بعثت روح فتاة أوتاريغوري في جسد فتاة ياماداغوري.

لقد تخيل والدا كينومي، فناة ياماداغوري، أن ابنتهما المريضة قد أصابها الجنون حينما شاهدها تريد الهروب وتستمر في الصراخ قائلة: "هذا ليس بيتي!" بمجرد نهوضها من غيبوبتها.

لذلك ركضوا خلفها وهم يصرخون: "إلى أين أنت ذاهبة يا كينومي؟ انتظري لحظة أيتها الطفلة! أنتِ مريضة للغاية ولن تستطيعي الاستمرار في الركض بهذه الطريقة!"، ولكنها في النهاية تمكنت من الفرار منهم.

استمرت في الركض بدون توقف، حتى وصلت إلى أوتاريغوري، وإلى منزل عائلة

القتيلة كينومي تحديدًا. وحينما دخلت ووجدت والديها المسنين بادرت بالصياح قائلة: "تيًا، كم هو جميل أن أعود إلى المنزل مرة أخرى! ... هل أنتما بخير يا والدي الأعزاء؟".

بالطبع لم يتعرفوا عليها منذ الوهلة الأولى، وظنوا أنها مجنونة؛ ولكن تحدثت معها الأم بلطف وسألتها: "من أين أتيت يا طفلتي؟".

أجابت كينومي: "لقد أتيت من ميدو، فأنا طفلتك، كينومي، التي عادت إليك من بين الأموات. لكنني أمتلك الآن جسدًا آخر يا أمي". وبدأت في رواية كل ما حدث؛ حينها أصبح الوالدان في حيرة من أمرهما ولم يدركا في ذلك الوقت أين تكمن الحقيقة وهل من المفترض أن يصدقوا مثل هذا الكلام.

بعد ذلك وفي وقت لاحق، قدما والدا كينومي الأخرى من ياماداغوري أيضًا إلى منزل الفتاة بحثًا عن ابنتهما؛ ومن ثم تشاور كلا الوالدان والوالدتان معًا، وجعلوا الفتاة تكرر سرد قصتها عدة مرات، وقاموا باستجوابها مرارًا وتكرارًا. لكن أسلوب أجابتها على جميع الأسئلة كان يؤكد ويبرهن صدقها بما لا يدع مجالًا للشك في صحة أقوالها.

أخيرًا، قالت والدة فتاة ياماداغوري، بعد أن روت الحلم الغريب الذي حلمت به ابنتها المريضة لوالدي فتاة أوتاريغوري: "نحن مقتنعون بأن روح هذه الفتاة هي روح أبنتكم. لكنكم تعلمون أن جسدها هو جسد أبنتنا؛ ونحن نعتقد أنه ينبغي أن يكون لكلا العائلتين نصيب فيها. لذا نطلب منك الموافقة على اعتبارها من الآن فصاعدًا ابنة لكلتا العائلتين".

وافق والدا فتاة أوتاريغوري على هذا الاقتراح بسعادة؛ وتم تسجيل أنه في وقت لاحق ورثت كينومي ممتلكات كلا الأسرتين.

يذكر المؤلف الياباني لكتاب بوكيو-هياكوا-زينشو Bukkyō-Hyakkwa-Zenchō في كتابه: "يمكن العثور على هذه القصة على الجانب الأيسر من اللوح الثاني عشر من المجلد الأول من كتاب نيهون-ري-إيكي".

قصة كواشين كوجي

خلال حقبة تينشو(91) Tenshō، كان يعيش في إحدى الأحياء الشمالية في كيوتو Kyōto، رجل عجوز أطلق عليه الناس اسم كواشين كوجي Kwashin Koji. كان ذا لحية طويلة بيضاء، يرتدي دائمًا زي كاهن الشنتو Shintō؛ ويكسب رزق يومه من خلال عرض الصور البوذية وتقديم المواعظ وشرع تعاليم ومبادئ البوذية.

كان يذهب خلال الأيام الصافية ذات الطقس المعتدل إلى أراضي معبد جيون(92) Gion، وهناك يقوم بتعليق كاكيمونو kakémono كبيرة على إحدى الأشجار تصور العقوبات المختلفة لكافة أشكال الجحيم. تم رسم هذا الكاكيمونو بشكل رائع لدرجة أن كل الأشياء الممثلة فيه بدت حقيقية للغاية؛ وفي كل مرة كان الرجل العجوز يخطب في الحشود المتواجدة ويحثهم من أجل رؤيته، ويشرح لهم قانون الأسباب والنتائج(93) ، ويشير بالعصا البوذية [نيوي nyoi]، التي كان يحملها دائمًا، إلى كل تفاصيل العذابات المختلفة، ويحث الجميع على اتباع تعاليم بوذا. اجتمعت الحشود من حوله من أجل رؤية تلك الصورة والاستماع إلى الرجل العجوز وهو يتحدث عنها ويعظ الجموع الغفيرة؛ وفي بعض الأحيان، كانت الحصيرة التي يبسطها أمامه لتلقي التبرعات، تختفي عن الأنظار بسبب تكدس العملات المعدنية الملقاة عليها.

كان أودا نوبوناغا Oda Nobunaga في ذلك الوقت حاكمًا لكيوتو والمقاطعات المحيطة بها. وصادف أن أحد العاملين لديه، ويُدعى أراكاوا Arakawa، قد شاهد الصورة المعروضة أثناء إحدى زياراته لمعبد جيون؛ وذكرها لاحقًا خلال معرض حديثه بالقصر، بل وأسهب في وصفها، حاز ذلك الوصف اهتمام نوبوناغا البالغ ورغب في رؤيتها بشدة، فأرسل في طلب كواشين كوجي وأصدر أوامره لكي يأتي

على الفور إلى القصر ويحضر معه تلك اللوحة.

عندما رأى نوبوناغا الكاكيمونو، لم يتمكن من إخفاء دهشته من حيوية العمل، فالشياطين والأرواح المعذبة بدت في الواقع وكأنها تتحرك أمام عينيه؛ وسمع أصوات البكاء تصدر من اللوحة. وبدا أن الدم المتواجد في الكاكيمونو يتدفق بالفعل منها، لدرجة أنه لم يتمالك نفسه وقام برفع إصبعه ووضعه على اللوحة حتى يشعر إذا ما كانت اللوحة مبللة بالفعل أم لا. ولكن ظل الإصبع جافًا ولم يُلطخ بأي دماء، حيث أن الورق كان جافًا تمامًا. وتساءل نوبوناغا الذي تملكته الدهشة بصورة غريبة عمن قام برسم هذه المخطوطة الرائعة. أجاب كواشين كوجي بأن اللوحة قد رسمها أوغوري سوتان(94) Oguri Sōtan الشهير، بعد أن أدى طقوس تطهير الذات كل يوم ولمدة مائة يوم، وقدم تضحيات كبيرة، وأدى صلواته بمنتهى الإخلاص والصدق إلى كوانون Kwannon في معبد كيوميدزو Kiyomidzu من أجل الحصول على الإلهام.

بعد أن أبدى نوبوناغا رغبته الواضحة في امتلاك الكاكيمونو، بادر أراكاوا بسؤال كواشين كوجي عما إذا كان من الممكن أن "يقدمها" كهدية لحاكمنا العظيم. لكن الرجل العجوز أجاب بجرأة: "هذه اللوحة هي الشيء الوحيد ذو القيمة الذي أملكه من حطام الدنيا؛ والذي يمنحني القدرة على جني القليل من المال من خلال عرضها على الناس. وإذا ما قمت بإهداء هذه اللوحة إلى اللورد، فسوف أحرم نفسي من الوسيلة الوحيدة التي أملكها لكسب قوت يومي. ومع ذلك، إذا كان الحاكم يرغب بشدة في امتلاكها، فليدفع لي مقابلها مبلغ وقدره مائة ريو ryō من الذهب. فمن المفترض أن أكون قادرًا بهذا المبلغ من المال على الانخراط في بعض الأعمال المربحة، وإلا فإنه من الحكمة أن أرفض التخلي عن الصورة".

لم يبدو حينئذٍ أن نوبوناغا كان مسرورًا بهذا الرد؛ لذا التزم الصمت. وعلى الفور همس أراكاوا بشيء ما في أذن سيده، الذي أومأ برأسه بالموافقة؛ ومن ثم تم صرف

كواشين كوجي من القصر مع هدية صغيرة من المال.

ولكن بمجرد مغادرة الرجل العجوز للقصر، تبعه أراكاوا سرًا، وذلك من أجل اقتناص الفرصة والحصول على اللوحة بوسائل منحطة بغيضة حيث أتضح أنه كان يضمر سوء النية منذ البداية.

لقد سنحت له تلك الفرصة بالفعل حين سلك كواشين كوجي مصادفة طريقًا يؤدي مباشرة إلى المرتفعات الواقعة خارج المدينة. وحينما تحول الطريق فجأة عند مكان منعزل بالقرب من سفح التلال، أمسك به أراكاوا وقال له: "لماذا تماديت في الطمع والجشع إلى تلك الدرجة التي جعلتك تطلب مائة ريو من الذهب مقابل تلك الصورة؟ بدلًا من مائة ريو من الذهب، سوف أعطيك الآن قطعة واحدة من الحديد طولها ثلاثة أقدام". ثم استل أراكاوا سيفه، وقتل الرجل العجوز، والتقط الصورة.

في اليوم التالي، قام أراكاوا بتقديم الكاكيمونو إلى أودا نوبوناغا، والتي كانت لا تزال ملفوفةً بإحكام كما لفها كواشين كوجي قبل مغادرة القصر، حينها أمر الحاكم بتعليقها على الفور. ولكن، عندما تم فتحها، تملكت الدهشة من نوبوناغا ومساعده حينما اكتشفوا اختفاء تلك الصورة، لا شيء سوى لوح فارغ. لم يتمكن أراكاوا من تقديم التبرير المقنع لاختفاء اللوحة الأصلية، وهكذا أصبح مذنبًا ومتهمًا بخداع سيده، سواء عن طيب خاطر أو عن غير قصد، لذا فقد تم اتخاذ القرار بضرورة معاقبته. وبناء على ذلك، حُكم عليه بالبقاء في الحبس لفترة طويلة.

لم يكد أراكاوا يكمل فترة سجنه، حتى وصلت إليه الأنباء بأن كواشين كوجي كان يعرض الصورة الشهيرة في أراضي معبد كيتانو Kitano. في البداية لم يصدق أراكاوا أذنيه؛ لكن تلك الأنباء أيقظت بداخله أملًا ضئيلًا في أنه قد يتمكن، بطريقة أو بأخرى، من الحصول على الكاكيمونو، وبالتالي تعويض خطأه الأخير. فجمع سريعًا بعضًا من أتباعه وأسرع إلى المعبد؛ ولكن تم إبلاغه عندما وصل إليه بأن كواشين كوجي قد رحل بالفعل. بعد عدة أيام، نما إلى علم أراكاوا خبر مفاده أن كواشين

كوجي يعرض الصورة في معبد كيوميدزو، ويلقي وعظًا عنها أمام حشد هائل. حث أراكاوا خطاه سريعًا إلى كيوميدزو Kiyomidzu؛ لكنه وصل إلى هناك بعد فوات الأوان حيث لم يرَ سوى الحشود وهي تتفرق، لأن كواشين كوجي كان قد اختفى مرة أخرى.

في يوم آخر، رأى أراكاوا بشكل غير متوقع كواشين كوجي في متجر للنبيذ، وهناك تمكن من القبض عليه. حينها ضحك الرجل العجوز بسخرية ومرح غريبين عندما وجد نفسه مقيدًا، وقال: "سأذهب معك؛ ولكن من فضلك انتظر حتى أشرب القليل من النبيذ"، ولم يعترض أراكاوا على هذا الطلب؛ وبالفعل شرب كواشين كوجي هناك اثني عشر وعاء من النبيذ مما أثار دهشة الحاضرين. وبعد أن شرب الكوب الثانية عشرة أعلن رضاه؛ وقام أراكاوا بتقييده بحبل ونقله إلى منزل نوبوناغا.

بمجرد مثول كواشين كوجي أمام محكمة القصر، تم استجوابه على الفور من قبل كبير الضباط، وتم توجيه اللوم إليه وتوبيخه بصرامة شديدة. ولكن أخيرًا، قال له كبير الضباط: "من الواضح أنك كنت تخدع الناس بممارسات سحرية؛ وبناء على هذه الجريمة بمفردها فإنك تستحق عقوبة شديدة. ومع ذلك، إذا قدمت الآن تلك اللوحة بكل احترام إلى الحاكم نوبوناغا، فسوف نتغاضى عن خطئك هذه المرة. وإلا فلسوف تلقى من العقاب والعذاب ما تستحقه".

ما كان من كواشين كوجي كرد فعل لذلك التهديد إلا أن ضحك بطريقة محيرة للغاية، وصاح قائلًا: "لست أنا من يُفترض توجيه التهمة إليه بتضليل الناس". ثم التفت إلى أراكاوا، وصرخ: "أنت هو الشخص المخادع والخائن! لقد أردت تملق سيدك بإعطائه تلك الصورة؛ وحاولت قتلي من أجل سرقتها. بالتأكيد، إذا كان هناك ما يُمكن أن يُطلق عليه لفظ الجريمة، فهي تلك الجريمة! ومن حسن حظي أنك لم تنجح في قتلي؛ ولكن ما الذي كان بإمكانك أن تقدمه كعذر على مثل هذا الفعل الغادر لو كنت نجحت في قتلي كما أردت؟ ورغم كل ذلك فإنك قد تمكنت

في النهاية من سرقة الصورة الأصلية، حيث أن الصورة التي أملكها الآن هي مجرد نسخة. وهنا تكمن الحقيقة الغائبة عن الجميع وهي ما قمت بفعله بعد سرقة اللوحة الأصلية، لقد غيرت رأيك بشأن إعطائها للحاكم نوبوناغا؛ ووضعت خطة للاحتفاظ بها لنفسك. لذا فقد أعطيت لوحة فارغةً للورد نوبوناغا، ومن أجل إخفاء تصرفك الخبيث وأهدافك السرية، تظاهرت بأنني خدعتك عن طريق استبدال كاكيمونو فارغة بالكاكيمونو الأصلية. أين الصورة الحقيقية الآن. أنا لا أعرف. ولكن ربما تعرف أنت".

عند هذه الكلمات، غضب أراكاوا بشدة لدرجة أنه اندفع نحو السجين، وكاد أن يوسعه ضربًا لولا تدخل الحرس. ألقت فورة الغضب المفاجئة تلك بذور الشك لدى كبير الضباط، وبدأ يفكر في كون أراكاوا مذنبًا بالفعل أو أنه على الأقل ليس بريئًا بصورة تامة. حينها أمر بنقل كواشين كوجي إلى السجن مؤقتًا؛ ثم شرع في استجواب أراكاوا بدقة وتمحيص شديدين. ولكون أراكاوا شخصًا بطيئًا في الكلام بطبيعته، ولأنه كان ممتعضًا ومثارًا للغاية في تلك اللحظة، فإنه لم يتمكن من التحدث بطريقة سليمة على الإطلاق؛ وبدأ يتلعثم ويناقض نفسه مظهرًا كل علامات الذنب. وهكذا أمر كبير الضباط بضرب أراكاوا بالعصا حتى يقول الحقيقة. ورغم ذلك لم يبدُ له أنه يقول الحقيقة. لذا أمر بضربه بالخيزران حتى فقد رشده، وهوى كمن فارقته الحياة.

حينما تم إخبار كواشين كوجي في السجن بما حدث لأراكاوا ضحك. ولكن بعد مرور بعضًا من الوقت تحدث إلى السجان قائلًا: "استمع إلي! لقد تصرف ذلك المدعو أراكاوا حقًا كشخص وغد وشرير؛ ولقد تعمدت أن أجلب له هذه العقوبة من أجل تصحيح ميوله الشريرة. ولكن من فضلك أذهب لرئيس الضباط في الحال وأخبره أن أراكاوا يجهل الحقيقة، وأنني سأشرح له الأمر برمته على نحو مرضي".

بمجرد أن تم نقل كواشين كوجي مرة أخرى وعرضه أمام كبير الضباط حتى بادر بالحديث قائلًا: "في أي لوحة للتجلي الصافي لا بد أن يكون هناك شبح؛ وهذه

اللوحة تتمتع بإرادة خاصة بها، وبالتالي ترفض الانفصال عن الشخص الذي منحها الحياة، أو حتى عن مالكها الشرعي. هناك العديد من الروايات التي تثبت أن الأعمال الرائعة لها أرواح. ومن المعروف أن بعض العصافير التي رسمها هوجين ينشين Hōgen Yenshin على الألواح المنزلقة [فوسوما(95) fuswma]، طارت ذات مرة بعيدًا، تاركة المساحات التي كانت تشغلها على سطح اللوحة فارغة. ومن المعروف أيضًا أن الحصان المرسوم على نوع معين من الكاكيمونو كان يخرج ليلًا ليقتات على العشب. بينما في وقتنا الحالي وفي هذه الحالة تحديدًا أعتقد أن الحقيقة تكمن في أن الحاكم نوبوناغا لم يكن مطلقًا هو المالك الشرعي للكاكيمونو الخاصة بي، لذلك اختفت الصورة بمحض إرادتها من الورقة عندما تم فتحها في حضوره. لكن إذا أعطيتني السعر الذي طلبته في بادئ الأمر وهو مائة ريو ذهبًا فأعتقد أن اللوحة ستعود للظهور بعد ذلك من تلقاء نفسها على الورقة الفارغة. في جميع الأحوال، دعونا نحاول! فلا يوجد ما أخاطر به لأنه إذا لم تظهر الصورة مرة أخرى فسأعيد المال على الفور".

عندما سمع نوبوناغا بهذه الاعترافات الغريبة، أمر بدفع المائة ريو، وجاء بنفسه لكي يراقب النتيجة. وهكذا تم الكشف عن الكاكيمونو أمامه ولدهشة جميع الحاضرين عادت اللوحة إلى الظهور بكل تفاصيلها. ولكن يبدو أن الألوان قد أصبحت باهتة قليلًا؛ ولم تكن الارواح والشياطين تبدو حية بِكُلّ مَعْنَى الكَلِمَة كما كانت من قبل. وتوجسًا من هذا الاختلاف، طلب الحاكم من كواشين كوجي أن يشرح سبب ذلك؛ حينها أجاب كواشين كوجي: "إن قيمة اللوحة، كما رأيتها لول مرة، كانت تفوق كل الأسعار. لكن قيمة اللوحة، كما تراها الآن، تمثل بالضبط ما دفعته مقابلها وهو ما يعادل مائة ريو من الذهب، فكيف يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك؟". عند سماع هذه الإجابة، شعر جميع الحاضرين أنه سوف يكون من الأسوأ الاستمرار في معارضة ذلك الرجل العجوز أكثر من ذلك. لذا تم إطلاق سراحه على الفور. وتم تحرير أراكاوا أيضًا لأنه كفر عما ارتكبه من أخطاء بالعقوبة التي تعرض لها.

كان لدى أراكاوا أخ أصغر يدعى بويتشي Buichi وهو يعمل أيضًا في خدمة نوبوناغا. ذلك اليوم شعر بويتشي بالغضب الشديد لما تعرض له أخيه من ضرب وحبس. ولذلك عقد العزم على قتل كواشين كوجي. لم يكد كواشين كوجي ينال حريته مرة أخرى حتى ذهب مباشرة إلى متجر الخمور وطلب النبيذ. وهكذا اندفع بويتشي وراءه إلى المتجر وضربه حتى أسقطه أرضًا ثم قطع رأسه. بعد ذلك، أخذ المائة ريو التي كان قد تم دفعها لكواشين، وقام بتغليف الرأس والذهب معًا بقطعة قماش، وأسرع إلى المنزل ليريهم لأخيه أراكاوا. ولكن عندما فك القماش وجد، بدلًا من الرأس، فقط يقطينة نبيذ فارغة، وقطعة من الفضلات بدلًا من الذهب... وسرعان ما زادت حيرة الإخوة عندما نما إلى علمهم أن الجسد مقطوع الرأس قد اختفى من متجر النبيذ ولا أحد يستطيع أن يقول كيف ومتى.

لم يُسمع أي شيء عن كواشين كوجي إلا بعد مرور شهر تقريبًا، عندما تم العثور على رجل مخمور ذات مساء نائمًا عند بوابة قصر الحاكم نوبوناغا، ويصدر غطيطًا بصوت مرتفع للغاية إلى تلك الدرجة التي يبدو معها أن كل شخير هو هزيم رعد قادم من بعيد. اكتشف أحد الخدم أن الشخص السكير هو كواشين كوجي بعينه. وبسبب هذه الجريمة الوقحة، تم القبض على الرجل العجوز على الفور وإلقائه في السجن. لكنه لم يستيقظ واستمر في النوم داخل محبسه دون انقطاع لمدة عشرة أيام وعشر ليال، وكان يصدر صوت ذلك الشخير طوال الوقت حتى أنه كان من الممكن سماع الصوت على مسافة بعيدة.

في ذلك الوقت، لقى الحاكم نوبوناغا حتفه بسبب خيانة أحد قادته، والذي يدعى أكيشي ميتسوهيدي Akéchi Mitsuhidé، وذلك من أجل أن يستولي على الحكم من بعده. ولكن قوة ميتسوهيدي لم تصمد سوى لمدة اثني عشر يومًا.

عندما أصبح ميتسوهيدي حاكمًا على كيتو، تم إخباره بقضية كواشين كوجي؛ وحينها أمر بمثول السجين أمامه. وبناءً على ذلك تم استدعاء كواشين كوجي لمجلس الحاكم الجديد.

تحدث معه الحاكم بلطف، وعامله كضيف، وأمر بتقديم وجبة عشاء جيدة له. بعدما تناول الرجل العجوز طعامه، بادره ميتسوهيدي بالسؤال: "لقد سمعت أنك مغرم جدًا بالنبيذ؛ ما هي كمية النبيذ التي يمكنك تجرعها خلال جلسة واحدة؟".

أجاب كواشين كوجي: "لا يمكنني معرفة ذلك بالتحديد؛ عادة ما أتوقف عن الشرب فقط عندما أشعر باقترابي من مرحلة الثمالة".

أمر الحاكم بوضع كأسا(96) كبيرًا من النبيذ أمام كواشين كوجي، وطلب من الخادم أن يملأ الكأس كلما رغب الرجل العجوز في ذلك. حينها قام كواشين كوجي بإفراغ الكأس الكبيرة في جوفه على مدار عشر مرات متتالية، بل وطلب المزيد؛ لكن الخادم أجاب بأن إناء النبيذ قد نفذ مما أثار دهشة جميع الحاضرين.

حينها سأل الحاكم كواشين كوجي: "ألست راضيًا بعد يا سيدي؟".

أجاب كواشين كوجي: "حسنًا، نعم، أنا راضٍ إلى حدٍ ما؛ والآن، سوف أعرض عليك جزءً من فني في مقابل لطفك وكرمك العظيم. ومن أجل ذلك راقب تلك اللوحة جيدًا". وأشار إلى لوحة كبيرة مكونة من ثماني طيات تم تصوير المناظر الثمانية الجميلة لبحيرة أومي Ōmi (أومي-هاكي Ōmi-Hakkei) عليها، وبناءً على ذلك وجه الجميع أبصارهم نحو اللوحة. في إحدى المناظر التي صورها الفنان، بعيدًا على سطح البحيرة، كان يظهر رجل يجدف بقارب، حيث كان يشغل ذلك القارب مساحة طولها أقل من بوصة واحدة على سطح اللوحة. وإذ فجأة حينما لوح كواشين كوجي بيده في اتجاه القارب، رأى الجميع أن القارب بدأ في الاستدارة ومن ثم في التحرك نحو مقدمة الصورة.

لقد كان ينمو بسرعة أكبر وأكبر مع اقترابه حتى أصبحت ملامح وجه ذلك الملاح

في تلك اللحظة واضحة المعالم تمامًا. ومع ذلك، أستمر القارب في الاقتراب، وازداد حجمه حتى بدا وكأنه أصبح على بعد خطوات قليلة من الجميع. وفجأة، بدا أن مياه البحيرة تفيض خارج اللوحة إلى الغرفة حتى غمرت الغرفة. حينها رفع المتفرجون ثيابهم على عجل تفاديًا لتلك المياه التي ارتفعت فوق مستوى ركبهم. وفي اللحظة نفسها، بدا القارب وكأنه ينزلق خارج اللوحة، لقد كان قارب صيد حقيقي؛ حيث يمكنك سماع صرير المجذاف الخاص به. استمر فيضان الماء في الغرفة في الارتفاع حتى وصل إلى أحزمة الحضور.

أستمر القارب في الاقتراب من كواشين كوجي حتى تمكن من الصعود عليه، حينها تراجع الملاح وبدأ في التجديف بعيدًا بسرعة شديدة. ومع انحسار القارب، بدأت المياه في الغرفة في الانخفاض بسرعة، وبدا أنها تنحسر مرة أخرى إلى اللوحة. وما إن تجاوز القارب مقدمة الصورة الظاهرة حتى جفت الغرفة مرة أخرى! ولكن أستمر القارب في التحرك فوق الماء المطلي داخل اللوحة متراجعًا نحو الخلف أكثر فأكثر في تلك المسافة الفارغة بينما يصغر حجمه باستمرار حتى تضاءل أخيرًا وأصبح مجرد نقطة صغيرة في الأفق، وفي لحظة اختفى تمامًا. واختفى معه كواشين كوجي. الذي لم تتم رؤيته مرة أخرى في اليابان أبدًا.

بداخل كوب الشاي

هل سبق لك أن حاولت صعود درج برج قديم، يرتفع لولبيًا عبر الظلام، وفجأة وأنت في قلب ذلك الظلام تجد نفسك وقد بلغت حافة النهاية عند شبكة عنكبوت هزيلة من العدم؟ أو هل اتبعت طريقًا ساحليًا طويلًا ينتهي بمنحدر صخري عميق، لتجد نفسك عند المنعطف وقد أصبحت على حافة الهاوية. إن القيمة العاطفية لمثل هذه التجربة - من وجهة النظر الأدبية - يتم إثباتها من خلال قوة الأحاسيس والمشاعر التي يتم إثارتها، ومقدار الحيوية والوضوح التي يتم تذكرها به.

في وقتنا الحالي، يتم إعادة احياء تلك التجربة بدقة غريبة حين تجد ضمن كتب القصص اليابانيةِ القديمة أجزاء معينة من الكتابات الخيالية والتي تتسبب في مرورك بتجربة عاطفية مماثلة تقريبًا... ربما كان الكاتب كسولًا. أو ربما كانت لديه خلافات مع الناشر؛ ربما تم استدعاؤه فجأة بعيدًا عن مكتبه الصغير ولم يعد أبدًا؛ أو ربما أوقف الموت ريشة الكتابة في منتصف الجملة.

وفي النهاية لا يمكن لأي إنسان أن يخبرنا فعليًا لماذا تُركت هذه الأشياء غير مكتملة... ولقد قمت باختيار نموذجًا فريدًا لما سبق.

في اليوم الرابع من الشهر الأول من العام الثالث في فترة تنوا(97) Tenwa، أي منذ حوالي مائتين وعشرين عامًا، توقف الحاكم ناكاغاوا سادو Nakagawa Sado بقطاره في محطة بيت الشاي في هاكوسان Hakusan بينما كان في طريقه للقيام بزيارة في منطقة هونغو Hongō ضمن مقاطعة ييدو Yedo بمناسبة رأس السنة الجديدة. وبينما كانت المجموعة المرافقة له تأخذ قسطًا من الراحة هناك، شعر أحد المرافقين للحاكم وكان من الواكاتو(98) wakatō ويُدعى سيكيناي Sekinai بالعطش الشديد، فملأ لنفسه كوبًا كبيرًا من الشاي. وما كاد أن يرفع الكوب

إلى شفتيه حتى رأى فجأة، في المنقوع الأصفر الشفاف، صورة أو انعكاسًا لوجه ليس بوجهه. حينها نظر حوله مندهشًا، لكنه لم يتمكن من رؤية أحد بالقرب منه. بدا الوجه الموجود في الشاي، من أسلوب تصفيف شعره، وكأنه وجه شاب من الساموراي، لقد كان مميزًا بشكل غريب، ووسيمًا للغاية، ورقيقًا مثل وجه فتاة. بدا وكنه انعكاسًا لوجه ينبض بالحياة، لأن العيون والشفاه كانتا تموجان بالحركة.

وبينما هو في حيرة من أمره بسبب هذا الطيف الغامض، ألقى سيكيناي الشاي بعيدًا، وتفحص الكوب بعناية. لقد تأكد من كونه كوب ماء رخيص جدًا، ولا يحتوي على أي أدوات أو تجهيزات فنية مبتكرة من أي نوع. ولكن عندما وجد كوبًا آخر وملأه ظهر نفس الوجه الغريب في الشاي مرة أخرى. لذلك طلب اعداد شاي طازج له وإعادة ملء الكوب؛ ومرة أخرى ظهر الوجه الغريب، ولكن هذه المرة ارتسمت على ذلك الوجه ابتسامة ساخرة.

لم يسمح سكيناي للخوف بأن يتسرب إلى نفسه. وتمتم قائلًا: "أيًا كنت، فلن تخدعني بعد الآن!"، ثم ابتلع الشاي والوجه وكل شيء، ومضى في طريقه وهو يتساءل عما إذا كان قد ابتلع للتو شبحًا.

في وقت متأخر من مساء اليوم ذاته، وبينما كان سيكيناي يقوم بمهامه في المراقبة بقصر الحاكم ناكاغاوا، إذ فجأة وبدون حدوث أي جلبة وجد أمامه شخص غريب داخل الغرفة. وعلى الفور جلس هذا الغريب مباشرة أمام سيكيناي، حيث كان يدل مظهره وملابسه الأنيقة على أنه ينتمي إلى طبقة الساموراي.

ألقى الشاب الغريب التحية على الواكاتو بانحناءة خفيفة، وقال: "أنا شيكيبو هيناي Shikibu Heinai، التقيت بك اليوم للمرة الأولى، يبدو أنك لا تعرفني".

كان يتحدث بصوت منخفض للغاية ولكنه قادر على التغلغل بداخلك والاستحواذ على انتباهك بسهولة. اندهش سيكيناي عندما وجد أمامه نفس الوجه الشرير

الوسيم الذي رآه وابتلعه في كوب الشاي. كان حينها يبتسم، كما ابتسم الشبح في ذلك الكوب؛ لكن نظرة العيون الثابتة فوق الشفاه المبتسمة كانت بمثابة تحدي لسيكيناي وإهانة في الوقت ذاته.

تحرر سيكيناي من أفكاره تلك وعاد إلى أرض الواقع وبدأ يتحدث بمنتهى الهدوء كاظمًا غيظه: "لا، لست أعرفك، وربما سيكون من الأفضل أن تخبرني كيف تمكنت من الدخول إلى هذه الغرفة؟".

[في العصور الإقطاعية كان مقر إقامة الحاكم يخضع لحراسة مشددة في جميع الأوقات؛ ولا يمكن لأحد أن يدخل دون سابق إنذار، إلا من خلال بعض الإهمال الذي لا يغتفر من جانب الحراسة المسلحة.]

صاح الزائر بنبرة ساخرة وهو يقترب قليلًا بينما كان يتحدث: "حسنًا، أنت لا تعرفني! لا، أنت لا تعرفني! ومع ذلك فقد أخذت على عاتقك هذا الصباح أن تلحق بي إصابة مميتة! ...".

أستل سيكيناي على الفور التانتو(99) tantō المعلق في حزامه. وقام بتوجيه ضربة قوية نحو رقبة الرجل. لكن يبدو أن النصل لم يلمس أي جسم أو مادة صلبة. في الوقت نفسه، وبصوتٍ غير مسموع، قفز الدخيل جانبًا نحو جدار الغرفة، ونفذ من خلاله! ... لم يظهر على الحائط أي أثر لخروجه. لقد اجتازه فقط كما يمر ضوء الشمعة عبر زجاج المصباح.

عندما حاول سيكيناي تقديم تقرير عن الحادثة، اندهش الجميع عند سماع تلك القصة وظهرت علامات الحيرة والذهول على ملامح الحرس. إذ أكد الجميع أنه لم يُشاهد أي شخص غريب يدخل القصر أو يغادره ساعة وقوع الحادث؛ ولم يعرف أحد من المتواجدين في حراسة أو خدمة الحاكم ناكاغاوا ذلك الشخص الذي يدعى

شيكيبو هيناي.

كان سيكيناي خارج الخدمة في الليلة التالية مفضلًا البقاء في المنزل مع والديه. وفي وقت متأخر نوعًا ما، تم ابلاغه أن بعض الغرباء قد قدموا إلى المنزل، ويرغبون في التحدث معه للحظة. حينها أخذ سيفه، وذهب إلى المدخل، وهناك وجد ثلاثة رجال مسلحين ينتظرونه أمام عتبة الباب بينما تبدو هيئتهم أنهم من الخدم.

انحنى الثلاثة باحترام لسيكيناي؛ وقال أحدهم: "أسماءنا هي ماتسوكا بونغو Matsuoka Bungō، وتسوشيباشي بونغو Bungō Tsuchibashi، وأوكامورا هيروكو Okamura Heiroku. نحن خدم النبيل شيكيبو هيناي. عندما تكرم سيدنا الليلة الماضية بزيارتك، بادرته بضربة من سيفك، ولقد أصيب على أثرها بجروح بالغة، مما اضطره ذلك للذهاب إلى الينابيع الساخنة، حيث تتم الآن معالجة جراحه. ولكن في اليوم السادس عشر من الشهر القادم سوف يعود. وسوف ينتقم منك بعد ذلك بشكل مناسب ولائق عن الضرر الذي لحق به..."

دون انتظار سماع المزيد، قفز سيكيناي إلى الخارج شاهرًا سيفه في يده، وطاح به يمينًا ويسارًا باتجاه الغرباء. لكن الرجال الثلاثة قفزوا إلى جدار المبنى المجاور، وطاروا على الحائط مثل الظلال، و ...

هنا ينقطع السرد القديم؛ ولم يتمكن أحدل من معرفة نهاية القصة، حيث أنها ليست موجودة سوى في ذاكرة دماغ ما قد تحولت إلى رفات وغبار منذ قرن من الزمان.

لدي المقدرة على تخيل عدة نهايات محتملة؛ لكن أيًا منها لن يرضي خيال القارئ الغربي. لذا أفضل أن أترك القارئ يتخيل بنفسه النتيجة المحتملة لابتلاع الأرواح.

قصة تتشوغورو Chūgorō

منذ زمن بعيد، كان يعيش في حي كويشيكاوا Koishikawa في ييدو Yedo، هاتاموتو يُدعى سوزوكي Suzuki، وكان محل الإقامة أو الياشيكي yashiki الخاص به يقع على ضفة نهر يدوغاوا Yedogawa، ليس ببعيد عن الجسر المسمى ناكا-نو-هاشي Naka-no-hashi. ومن بين خدم سوزوكي كان هناك أشيغارو(100) ashigaru شاب يدعى تتشوغورو. كان تشوغورو فتى وسيمًا. ودود للغاية وذكي، ويحظى بإعجاب رفاقه جميعًا.

حرص تشوغورو على تأدية جميع مهامه بشكل جيد طوال تلك السنوات التي قضاها في خدمة سوزوكي لدرجة أنه لم يصدر منه أي هفوة أو خطأ يذكر. حتى جاء ذلك اليوم الذي اكتشف فيه الأشيغارو الآخرين أن تشوغورو إعتاد على مغادرة الياشيكي كل ليلة عن طريق الحديقة، والبقاء بالخارج حتى مطلع الفجر. في البداية لم يتم مناقشته أو الاستفسار منه عن الدافع من وراء ذلك السلوك الغريب، لأن غيابه لم يكن يتعارض مع أي واجب عادي، حيث أعتقد الجميع أن سبب ذلك التصرف هو وجود علاقة حب تربطه بفتاة ما. ولكن بعد مرور فترة من الزمن بدأ الجميع في ملاحظة العديد من التغيرات الغريبة والتي طرأت عليه مؤخرًا، حيث أصبح شاحبًا وضعيفًا. حينها اشتبه رفاقه في تورطه في حماقة خطيرة قد تجلب له المتاعب لذا اتخذوا قرارهم بضرورة التدخل. وبالفعل في أحد الأمسيات، وبينما كان على وشك التسلل من المنزل، استدعاه أحد العاملين المسنين جانبًا، وقال:

"يا تشوغورو يا ولدي، نعلم أنك تخرج كل ليلة وتظل بالخارج حتى الصباح الباكر؛ ولقد لاحظنا أنك لا تبدو بصحة جيدة. فنحن نخشى عليك من صحبة السوء أو مما قد يلحق الأذى بصحتك. وما لم تتمكن من تقديم سبب وجيه لسلوكك الغريب، فإننا نعتقد أنه من واجبنا إبلاغ كبير الضباط بهذا الأمر. على أية حال، بما أننا رفاقك

وأصدقاؤك، فمن الصواب أن نطلع على سبب خروجك ليلًا، خلافًا للعادات المتبعة في هذا المكان".

بدا أن هذه الكلمات قد سببت إحراجًا شديدًا وأذى لتشوغورو. ولكن بعد فترة صمت قصيرة، أخذ تشوغورو رفيقه وخرجا معًا إلى الحديقة، ولم يتوقفا إلا حينما وجد نفسه بعيدًا عن مسامع الآخرين، عندها شرع في الحديث قائلًا: "سأخبرك الآن بكل شيء؛ لكن يجب أن أتوسل إليك أن تحافظ على سري ولا تبوح به لأي كائن من كان. لأنك إذا كررت ما أقوله لك فقد تضيبني مصيبة كبيرة تلحق بي ضررًا بالغًا".

تابع حديثه قائلًا: "بدأ الأمر في أوائل الربيع الماضي منذ حوالي خمسة أشهر، حين بدأت بالخروج ليلًا لأول مرة من أجل إقامة علاقة غرامية. ولكن ذات مساء، عندما كنت عائدًا الى الياشيكي بعد أن قمت بزيارة لوالدي، لمحت امرأة تقف على ضفة النهر، ليس بعيدًا عن البوابة الرئيسية. ملابسها كانت تدل على أنها شخصية رفيعة المستوى، حينها اعتقدت أنه من الغريب أن تقف امرأة ترتدي تلك الملابس الأنيقة هناك بمفردها في مثل هذه الساعة، لكنني ظننت أنه ليس لدي الحق في استجوابها أو سؤالها عما تفعل هنا. وبينما كنت على وشك المرور بها، دون أن أنبس ببنت شفة، فوجئت بها تتقدم إلى الأمام وتسحبني من كمي. حينما دنوت منها اكتشفت أنها فتاة صغيرة جدًا وجميلة للغاية. بادرتني قائلة: "ألا تمشي معي حتى الجسر؟، أريد أن أخبرك أمرًا ما". كان صوتها ناعمًا وممتعًا جدًا؛ مع ابتسامة رقيقة تعلو وجهها حينما تتحدث. وحيث أنه من الصعب للغاية مقاومة تلك الابتسامة، فلقد مضيت معها سائرًا نحو الجسر. وفي الطريق أفصحت لي عما يختلج في صدرها من مشاعر واعجاب شديد، وأنها كثيرًا ما حرصت على متابعتي بينما كنت أدخل وأخرج من الياشيكي. وأردفت قائلة: "أتمنى أن تصبح زوجًا لي، وإذا ما تحركت مشاعرك اتجاهي وتمكن الحب من قلبك، فسوف يتمكن كل واحد منا من اسعاد الآخر وبث البهجة والسرور في حياته". لم أعرف حينها كيف أجيبها؛ لكنني اعتقدت أنها ساحرة للغاية. عندما اقتربنا من الجسر، سحبت كمي مرة أخرى، وقادتني إلى أسفل الضفة حتى حافة النهر. وهمست: "تعال معي"، سحبتني نحو الماء. وكما تعلم فإنه عميق

للغاية هناك، لذا أصابني حينها الذعر منها على الفور، وحاولت العودة.

ولكنها بادرتني بابتسامتها الرقيقة وأمسكت بمعصمي وقالت: "تبًا، لا يجب أن تخف مني أبدًا!". وبطريقة ما، وبلمسة من يدها، أصبحت عاجزًا مثل الطفل الرضيع. شعرت وكأنني مجرد شخص في وسط حلم غريب يحاول الفرار من شيء ما ولكنه لم يتمكن من تحريك يديه أو قدميه.

تقدمت نحو المياه العميقة، وسحبتني معها؛ وفي خلال لحظة لم أعد أرى ولا أسمع ولا أشعر بأي شيء حتى وجدت نفسي أسير بجانبها عبر ما بدا وكأنه قصر عظيم، مملوء بالنور. لم أكن مبتلًا ولم أشعر بالبرودة، بل على النقيض كان كل شيء من حولي جافًا ودافئًا وجميلًا. لم أستطع أن أفهم أين كنت، ولا كيف أتيت إلى ذلك المكان.

قادتني المرأة من يدي، مررنا عبر غرفة تلو الأخرى، العديد من الغرف الفارغة والجميلة للغاية، حتى دخلنا إلى غرفة ضيوف بها ألف سجادة. وفي الطرف الآخر من الغرفة أمام تجويف كبير، تم وضع الكثير من الوسائد تحت الأضواء المشتعلة كما لو كانت هناك احتفالية كبيرة يتم التجهيز من أجلها؛ لكنني لم أرَ أي ضيوف.

أخذتني الفتاة من يدي نحو صدر البيت عند التجويف، ومن ثم جلست أمامي وقالت: "هذا منزلي، هل تعتقد أنه في الإمكان أن تكون سعيدًا هنا معي؟"، طرحت ذلك السؤال بينما تلك الابتسامة مازالت ترتسم على شفتيها؛ حينها اعتقدت أن ابتسامتها أجمل من أي شيء آخر في العالم؛ وأجبتها من قلبي: "نعم..." وفي نفس اللحظة خطرت على بالي قصة أوراشيما Urashima؛ إذ تخيلت أنها قد تكون ابنة إله، لكنني خشيت أن أسألها أية أسئلة... حينئذٍ دخلت الخادمات، يحملن نبيذ الأرز والعديد من الأطباق التي وضعنها أمامنا، ثم قالت وهي تجلس أمامي: "الليلة تحديدًا سوف تكون ليلة زفافنا، وذلك لأنك بالفعل تحبني، وتلك الاحتفالية الكبيرة التي تراها الآن ما هي إلا حفل زفافنا".

وعلى الفور قدمنا عهودنا لبعضنا البعض لمدة سبعة أرواح متتالية؛ وبعد المأدبة تم نقلنا إلى غرفة الزفاف التي تم إعدادها خصيصًا لنا.

كان الوقت لا يزال مبكرًا في الصباح عندما أيقظتني وقالت: "يا عزيزي، أنت الآن زوجي بالفعل. ولكن لأسباب لا أستطيع أن أخبرك بها الآن، ولا يجب عليك أن تسأل عنها، من الضروري أن يظل زواجنا سرًا. إن إبقائك هنا حتى طلوع النهار سيكلفنا حياتنا. لذلك أتوسل إليك ألا تشعر بالاستياء لأنني يجب أن أعيدك الآن إلى منزل سيدك. يمكنك أن تأتي إلي الليلة مرة أخرى، بل وكل ليلة تليها، في نفس الساعة التي التقينا فيها لأول مرة. انتظرني دائمًا عند الجسر؛ ولا تقلق فلن تضطر إلى الانتظار طويلًا. لكن قبل كل شيء يجب عليك أن تتذكر أن زواجنا من المفترض أن يظل سرًا، وفي حالة تحدثك عنه مع أي شخص، فمن المحتمل أن ننفصل إلى الأبد".

لقد وعدتها بأن أطيعها في كل شيء، متذكرًا ما آل إليه مصير أوراشيما، قادتني مرة أخرى عبر العديد من الغرف الفارغة والجميلة حتى المدخل. هناك أخذتني من معصمي مرة أخرى، وفجأة أصبح كل شيء مظلمًا، ولم أرى أو أدرك أي شيء من حولي حتى وجدت نفسي أقف بمفردي على ضفة النهر، بالقرب من ناكا-نو-هاشي. حينها عدت إلى الياشيكي، بينما لم تكن أجراس المعبد قد بدأت بالرنين بعد.

في المساء حينما ذهبت مرة أخرى إلى الجسر في الساعة التي حددتها وجدتها تنتظرني. أخذتني من يدي كما حدث في الليلة السابقة نحو المياه العميقة، وتحديدًا إلى ذلك المكان الرائع الذي قضينا فيه ليلة زفافنا. منذ ذلك الحين وفي كل ليلة، كنت ألتقي بها وأفترق عنها بنفس الطريقة. من المؤكد أنها ستكون في انتظاري الليلة، وأفضل الموت على أن أخيب ظنها، لذلك يجب أن أذهب... ولكن دعني أتوسل إليك مرة أخرى، يا صديقي، ألا تتحدث أبدًا إلى أي شخص عما قلته لك".

تفاجأ الأشيغارو الأكبر بهذه القصة بل وانزعج منها للغاية. لقد شعر أن تشوغورو

قد أخبره بالحقيقة؛ لكن الحقيقة تشير إلى عدة احتمالات، وجميعها مزعجة وغير سارة. من المحتمل أن التجربة برمتها كانت مجرد وهم، وهم صنعته قوة شريرة ما لتحقيق نهاية خبيثة. ومع ذلك، إذا كان الصبي مسحورًا حقًا، فمن الأفضل أن يُشفق عليه بدلًا من أن يلقي عليه اللوم؛ ومن المرجح أن يؤدي أي تدخل بالقوة أو إلزامه بأمر ما إلى الحاق الأذى به.

أجابه الأشيغارو بلطف: "لن أتحدث أبدًا عما أخبرتني به، أبدًا، على الأقل، ما دمت على قيد الحياة وبصحة جيدة. اذهب وقابل المرأة، ولكن خذ حذرك منها! أخشى أن تكون قد خدعت من قبل بعض الأرواح الشريرة".

ابتسم تشوغورو فقط من أجل تحذير الرجل العجوز، وأسرع مبتعدًا. وبعد عدة ساعات، دخل مرة أخرى إلى الياشيكي، بينما تعلو وجهه نظرة كئيبة بشكل غريب.

همس رفيقه في أذنيه: "هل قابلتها؟". أجاب تشوغورو: "لا، هي لم تكن هناك. ولأول مرة، لم تكن هناك. أعتقد أنها لن تأتي ولن تقابلني مرة أخرى. لقد أخطأت حينما قمت بإخبارك؛ لقد كنت في غاية الغباء لعدم الوفاء بوعدي...". عندئذٍ عبثًا حاول رفيقه تهدئته ولكن بدون فائدة.

ذهب تشوغورو لكي يستلقي، ولم ينطق بكلمة واحدة أكثر من ذلك. كان يرتجف من قمة رأسه إلى أخمص قدمه، كما لو أنه قد أصيب بقشعريرة.

عندما أعلنت أجراس المعبد عن قدوم ساعة الفجر، حاول تشوغورو النهوض، ولكنه سقط مغشيًا عليه. كان من الواضح للجميع أنه أصبح مريضًا، مريضًا إلى حد الموت. لذلك تم استدعاء طبيب صيني للكشف عليه.

صرخ الطبيب بعد أن قام بإجراء فحص دقيق: "ما الذي يحدث؟ ليس لدى الرجل أي نقطة دم تجري في عروقه! ليس هناك سوى الماء في تلك العروق! سيكون من

الصعب للغاية إنقاذه... أي شر هذا؟"

لقد حاول الجميع بذل كل السبل والوسائل الممكنة من أجل إنقاذ حياة تشوغورو، ولكن دون جدوى. وهكذا لقى حتفه عند غروب الشمس.

حينما روى رفيقه القصة كاملة صاح الطبيب: "تبًا! كنت أشك في ذلك كثيرًا! لم يكن من الممكن أن تنقذه أي قوة مهما كانت. لم يكن هو الشخص الأول الذي قامت بتدميره فلقد سبق وأن قامت بذلك".

سأل الأشيغارو: "من هي؟ أو ما هي؟ امرأة ثعلبية؟"

أجاب الطبب: "لا؛ لقد كانت تمارس الصيد عند هذا النهر منذ العصور القديمة. إنها تحب دماء الشباب، بل تعشقها ...".

تابع الأشيغارو طرح أسئلته: "امرأة الأفعى؟ - امرأة تنينية؟".

أجابه الطبيب: "لا لا! لو رأيتها تحت ذلك الجسر في وضح النهار، لبدت لك مخلوقًا كريهًا للغاية".

سأل الرجل العجوز: "ولكن أي نوع من المخلوقات؟".

قال الطبيب: "مجرد ضفدع – ضفدع ضخم وقبيح!".

قصة ميمي-ناشي-هويتشي
Mimi-nashi-Hōichi

منذ أكثر من سبعمائة عام، دارت المعركة الأخيرة ضمن النزاع الطويل في دان-نو-أورا(101) Dan-no-ura، في مضايق شيمونوسيكي Shimonoséki، بين الهايكه Heiké، أو جيش تايرا Taira، والغينجي Genji، أو جيش مينا موتو Minamoto. خلال تلك المعركة أُبيدت قبيلة الهايكه بالكامل، مع نسائهم وأطفالهم، حتى إمبراطورهم الرضيع - الذي يُذكر الآن باسم أنتوكو تينو Antoku Tenō.

منذ ذلك الحين، منذ سبعمائة عام سكنت أرواحهم البحر والشاطئ ... لقد أخبرتكم في موقع آخر عن السرطانات الغريبة الموجودة هناك، والتي تسمى سرطانات الهايكه، والتي لها وجوه كوجوه البشر نقشت على ظهورها، ويقال إنها أرواح محاربي الهايكه.

كما يحدث هناك العديد من الأشياء الغريبة التي يمكن رؤيتها وسماعها على طول هذا الساحل. في الليالي المظلمة، تحوم الآلاف من أطياف النيران حول الشاطئ، أو ترفرف وتتنقل من مكان إلى آخر فوق الأمواج أضواء باهتة يسميها الصيادون أوني-بي Oni-bi، أو نيران الشيطان؛ وكلما اشتدت الرياح، تأتي أصوات صرخات شديدة من ذلك البحر كأنها صليل المعركة.

في السنوات الأولى التي تلت المعركة، كان الهايكه أكثر قلقًا واضطرابًا مما هم عليه الآن. كانوا يصعدون فوق السفن المارة خلال الليل ويحاولون إغراقها. ويقومون طوال الوقت بمراقبة السباحين حتى يتم سحبهم نحو القاع.

وهكذا تم بناء معبد أميداجي Amidaji البوذي في أكاماغاسيكي(102) Akamagaséki من أجل تهدئة أرواح الموتى، كما تم إنشاء مقبرة بالقرب من الشاطئ؛ وأقيمت بداخلها شواهد لقبور محفور عليها أسماء الإمبراطور الغريق وأتباعه العظماء لتخليد ذكراهم. كما حُرص على تأدية الطقوس والصلوات البوذية بانتظام هناك نيابة عنهم. أسفر بناء المعبد، وإقامة المقابر عن تهدئة أرواح الهايكه نسبيًا، وتسببوا في مشاكل أقل من ذي قبل؛ لكنهم استمروا في القيام بأشياء غريبة على فترات زمنية متفاوتة، حيث أن أرواحهم لم تجد السلام التام حتى الآن.

منذ بضعة قرون، كان يعيش في أكاماغاسيكي رجل أعمى يُدعى هويتشي Hōichi، اشتهر بمهارته في الإنشاد والغناء وكذلك العزف على آلة البيوا(103) biwa.

تدرب منذ طفولته على الإنشاد والعزف؛ حتى أنه تفوق على معلميه بينما كان لا يزال غلامًا في مقتبل العمر. ذاع صيته بصفته بيوا-هوشي biwa-hōshi محترفًا، وبشكل رئيسي من خلال إنشاده تاريخ الهايكه والغينجي؛ ويقال أنه "حتى العفاريت [كيجين kijin] لم تستطع الامتناع عن البكاء" عندما يغنى تلك الأغنية التي تروي قصة معركة دان-نو-أورا.

في بداية حياته المهنية، كان هويتشي فقيرًا لا يجد قوت يومه؛ لكنه وجد صديقا طيبًا والذي قام بدوره بتقديم يد المساعدة لهويتشي. ذلك الصديق لم يكن سوى كاهن معبد أميداجي والذي كان مولعًا بالشعر والموسيقى. وكثيرًا ما قام بدعوة هويتشي إلى المعبد ليعزف وينشد ويروي القصص.

أعجب الكاهن كثيرًا بمهارات الصبي المذهلة والرائعة، فاقترح عليه أن يقيم بالمعبد ويتخذه مقرًا له؛ وقد قبل هويتشي هذا العرض بمنتهى الامتنان والعرفان. وبالتالي تم منحه غرفة في مبنى المعبد. وفي مقابل الطعام والمأوى، لم يكن

مطلوبًا منه سوى إرضاء الكاهن بتقديم أداء موسيقي متميز في أمسيات معينة، حينما يكون متفرغًا وغير منشغلًا بأمور أخرى.

في إحدى ليالي الصيف، تم استدعاء الكاهن لأداء الطقوس البوذية في منزل أحد أبناء الرعية المتوفي حديثًا؛ وهكذا ذهب الكاهن هناك برفقة مساعده تاركًا هويتشي وحيدًا في المعبد.

كان الطقس حارًا في تلك الليلة. لذا سعى الأعمى للحصول على بعض البرودة في الشرفة الأرضية الكائنة أمام غرفة نومه، والتي تطل على حديقة صغيرة في الجزء الخلفي من معبد أميداجي. وبينما كان ينتظر عودة الكاهن حاول التخفيف على نفسه والتغلب على وحدته عبر التدرب على آلة البيوا الخاصة به.

مر منتصف الليل بدون أن يظهر أي أثر للكاهن. كان الطقس ما يزال حارًا للغاية جاعلًا المرء يشعر بعدم الراحة ضمن الأبواب المغلقة، لذا ظل هويتشي بالخارج.

وأخيرًا سمع وقع أقدام تقترب من البوابة الخلفية. ومن ثم عبر شخص ما الحديقة، وتقدم نحو الشرفة، وتوقف أمامه مباشرة ... فجأة وبدون تكلف أو احترام، على طريقة الساموراي الذي يستدعي شخصًا ما أدنى منه منزلة، صدر صوت عميق ينادي باسم الرجل الأعمى والذي بالتأكيد لم يكن صوت الكاهن: "يا هويتشي".

سيطر الخوف والرعب على هويتشي وألجم لسانه لدرجة أنه لم يتمكن من الرد؛ وحينها نادى الصوت مرة أخرى بنبرة آمرة تحمل شيئًا من القسوة: "يا هويتشي".

أجاب الرجل الأعمى، وقد تملكه الفزع من نبرة التهديد التي في ذلك الصوت: "مرحبًا، أنا شخص أعمى! لا أستطيع أن أعرف أو أميز الشخص الذي يناديني!".

صاح الغريب، متحدثًا بشيء من اللطف: "ليس هناك ما يدعو للخوف، لقد توقفت

بالقرب من هذا الهيكل، حيث أني أحمل إليك رسالة. إن سيدي الحالي، وهو شخص ذو منزلة اجتماعية عالية للغاية، يقيم الآن في أكاماغاسيكي Akamagaséki، مع العديد من مرافقيه وضيوفه النبلاء. وحيث أنه يرغب في استرجاع مشاهد معركة دان-نو-أورا؛ فلقد قام اليوم بزيارة ذلك المكان. وبعد أن سمع بمهارتك في رواية قصة تلك المعركة، فإنه يرغب الآن في الاستماع إلى أدائك، لذا ستأخذ البيوا الخاصة بك وتأتي معي على الفور إلى المقر الذي ينتظرنا به الجمع الموقر".

في تلك الأوقات، لم يكن من الممكن عصيان أوامر الساموراي بسهولة. لذا ارتدى هويتشي نعليه، وأخذ البيوا الخاص به، وذهب مع الغريب، الذي قام بالإمساك بيده بقبضة من حديد وقاده عبر الطريق بمنتهى البراعة، لكنه أجبره على السير بسرعة كبيرة.. وأكد صوت صلصلة خطوات المحارب أنه مسلح بالكامل - ربما كان أحد حراس القصر المكلفين بأداء مهمة ما.

بعد أن تراجعت مشاعر القلق والرهبة الأولى لدى هويتشي بدأ يتخيل نفسه شخصًا محظوظًا؛ لأنه أعتقد عندما تذكر تأكيدات الرسول بشأن "شخص ذو منزلة اجتماعية عالية للغاية" أن السيد الذي يرغب في سماع الإنشاد لا يمكن أن يكون أقل من داي-ميو daimyō من المرتبة الأولى.

حينما توقف الساموراي فجأة أدرك هويتشي أنهما قد وصلا بالفعل إلى بوابة ضخمة؛ ولكنه تعجب كثيرًا حينها لأنه لم يستطع أن يتذكر وجود أي بوابة ضخمة في ذلك الجزء من المدينة، باستثناء البوابة الرئيسية لمعبد أميداجي.

نادى الساموراي: "كايمون(104) Kaimon!"، وبعدها أنصت الرجل الأعمى إلى صوت حركة مزلاج ضخم وصرير بوابة تفتح، ومن ثم مضى الاثنان في طريقهما إلى الداخل. وتوقفا مرة أخرى قبل مدخل ما بعد أن عبرا مساحة من الحديقة. حينها صاح الحارس بصوت عالٍ: "هاهنا، لقد أحضرت هويتشي!".

بعدها تناهى إلى سمعه أصوات أقدام تتسارع، وستائر تنزلق، وأبواب تفتح، ونساء يتحدثن، ومن خلال لكنة هؤلاء النساء أستنتج هويتشي أنهن خادمات في منزل نبيل ما، لكنه لم يستطع أن يتخيل ذلك المكان الذي تم اقتياده إليه. لم يتح له سوى القليل من الوقت من أجل التخمين حتى شعر بمن يمد يده إليه من أجل مساعدته في صعود عدة درجات حجرية، وحينما بلغ آخرها طُلب منه أن يخلع صندله ويتركه عندها.

بعد ذلك مباشرة أرشدته يد امرأة خلال ممرات لا نهاية لها من الألواح الخشبية المصقولة، انعطفا حول أعمدة مستديرة لا يمكن حصرها، مرا عبر مساحات مدهشة من أرضيات مكسوة بالحصير والسجاد – حتى وصلوا إلى منتصف غرفة واسعة.

في ذلك المكان تصور أن العديد من الأشخاص العظماء مجتمعون، حيث كان صوت حفيف الحرير مثل صوت احتكاك أوراق الشجر ببعضها البعض في الغابة. كما بلغت مسامعه أيضًا أصوات همهمات العديد من الأشخاص الذين كانوا يتحدثون بنغمات خافتة؛ لاحظ حينها أن الخطاب مماثل لخطاب المجالس العليا أو المحاكم.

طُلب من هويتشي أن يأخذ راحته ويجلس، حيث وجد وسادة أعدت له خصيصًا ليتكئ عليها. وبعد أن أتخذ مكانه، وقام بضبط آلته، خاطبه صوت امرأة - التي توقع أنها الروجو Rōjo أو السيدة المسؤولة عن الخدمة بالمنزل - قائلة: "من المفترض بك الآن أن تقوم بسرد تاريخ الهايكه على أنغام آلة البيوا".

ولكون سرد تاريخ الهايكه قد يستغرق عدة ليالٍ كاملة، فلقد غامر هويتشي بطرح السؤال التالي: "بما أن القصة بأكملها قد تأخذ الكثير من الوقت ولن أتمكن من إنهائها سريعًا، فما هو الجزء الذي ترغبون في الاستماع إليه بشده حتى أقوم بإنشاده الآن؟"

أستمع إلى صوت المرأة وهي تجيبه: "قم بإنشاد قصة المعركة في دان-نو-أورا،

لأن مشاعر الشفقة والرثاء على ما حدث في تلك المعركة هي الأعمق والأصدق".

رفع هويتشي صوته، وأنشد ترنيمة القتال في البحر المرير – بطريقة عجيبة وأسلوب رائع تمكن من جعل آلة البيوا الخاصة به تصدر نغمات وأصوات تماثل تمامًا أصوات دفع المجاديف في الماء، واندفاع السفن فوق سطح البحر، وأزيز وهسهسة السهام بينما تخترق الهواء، وصيحات الرجال ووطء أقدامهم على الأرض، وتكسير السيوف فوق الخوذات، وغرق القتلى بين الأمواج.

خلال لحظات توقفه عن العزف، كان يصل إلى أذنيه سواءً من جهة يساره أو يمينه أصواتًا وهمهمات تهمس بالثناء: "كم هو فنان رائع!" - "لم يُسمع عزف مثل هذا في مقاطعتنا أبدًا!" – "لا يوجد في جميع أنحاء الإمبراطورية مغني مثل هويتشي!".

ثم أتته الشجاعة من جديد، فعزف وغنى على نحو أفضل من ذي قبل؛ حينها بدأ الحاضرون في الاستماع إليه في صمت وسكون عجيب. حتى إذا ما جاء أخيرًا ليروي مصير الجميلات العاجزات – الهلاك المثير للشفقة للنساء والأطفال – وقفزة الموت لنيي-نو-أما Nii-no-Ama، برفقة الفتى الإمبراطوري بين ذراعيها – أطلق جميع المستمعون معًا صرخة ألم طويلة ومرتعشة؛ وبعد ذلك بكوا وبدأوا في العويل والنواح بصوت عالٍ ووحشي لدرجة أن الرجل الأعمى خاف من حالة الحماسة والحزن التي خلقها. لفترة طويلة استمر البكاء والنحيب، لكن في النهاية بدأت أصوات الرثاء في التلاشي تدريجيًا. ومرة أخرى، سمع هويتشي صوت المرأة التي أفترض أنها الروجو يكسر ذلك السكون المهيب الذي أعقب تلك المناحة.

قالت: "على الرغم من أنه قد نما إلى علمنا من قبل أنك شخص ماهر للغاية في العزف على آلة البيوا، وليس لك نظير في الإلقاء، إلا أننا لم نكن ندرك أنه يوجد شخص بمثل تلك المهارة التي أثبتها بنفسك الليلة. لقد كان من دواعي سرور سيدنا أن يبلغك بنيته منحك مكافأة سخية في مقابل أدائك الرائع بشرط أن تنشد أمامه

مرة واحدة كل ليلة طوال الليالي الست القادمة - وبعد ذلك من المحتمل أن يقوم برحلة العودة المهيبة. لذا عليك أن تأتي إلى هنا في نفس الموعد ليلة الغد. سيتم إرسال نفس الشخص الذي جاء بك الليلة من أجل أن يقوم بإحضارك غدًا ... وهناك أمر آخر قد أمرت بإبلاغك إياه. من المفترض ألا تتحدث إلى أي شخص أيًا كان عن زياراتك إلى هنا خلال فترة إقامة سيدنا المؤقتة في أكاماغاسيكي. وحيث أنه يسافر متخفيًا، لذا فلقد أصدر أوامره بعدم ذكر جميع تلك الأمور التي تحدث هنا. أنت الآن حر في العودة إلى المعبد الخاص بك".

بعد أن أعرب هويتشي عن شكره على النحو الواجب، قادته يد امرأة إلى مدخل القصر، حيث كان نفس الفارس، الذي أرشده سابقًا، ينتظره من أجل أن يأخذه إلى منزله. قاده الفارس إلى الشرفة في الجزء الخلفي من الهيكل، وهناك قام بتوديعه.

كانت تباشير الفجر قد بدأت في الظهور حينما عاد هويتشي؛ لم يُلاحظ أحد غيابه عن المعبد هذه المرة، إذ عاد الكاهن في ساعة متأخرة للغاية وأفترض أنه نائم. خلال النهار تمكن هويتشي من أخذ قسط من الراحة. ولم يذكر شيئًا عن مغامرته الغريبة.

في منتصف الليلة التالية، جاء الساموراي من أجله مرة أخرى، وقاده إلى نفس الاجتماع المهيب، حيث قام بإنشاد القصة مرة أخرى بنفس النجاح الذي شهده أدائه السابق. ولكن خلال هذه الزيارة الثانية تم اكتشاف غيابه عن المعبد بالصدفة؛ وبعد عودته في الصباح، تم استدعاؤه للمثول أمام الكاهن، والذي قال له بلهجة تحمل بعضًا من التوبيخ ولكن بأسلوب لطيف: " أيها الصديق هويتشي لقد كنا قلقين عليك للغاية. إن خروجك بمفردك وأنت شخص أعمى في تلك الساعة المتأخرة من الليل يُعد أمرًا في منتهى الخطورة. لماذا ذهبت دون أن تخبرنا؟ كان بإمكاني أن أخصص لك خادمًا حتى يقوم بمرافقتك إلى حيثما تشاء. ولكن إلى أين ذهبت؟"

أجاب هويتشي بأسلوب متحفظ يحمل قدرًا من المراوغة: "عفوًا، أيها الصديق

الطيب! كان عليّ أن أهتم ببعض شؤوني الخاصة؛ ولم أتمكن من ترتيب الأمور في أي ساعة أخرى".

وبدلًا من الاستياء من إجابات هويتشي المتحفظة تملكت الدهشة والذهول من القس، حيث شعر أن هويتشي غير طبيعي، واشتبه في وجود خطأ ما. كان يخشى أن يكون الرجل الأعمى قد تم سحره أو خداعه من قبل بعض الأرواح الشريرة. لم يطرح أي أسئلة أخرى، لكنه أصدر تعليماته سرًا إلى خدام المعبد بمراقبة تحركات هويتشي، ومتابعته في حالة مغادرته المعبد مرة أخرى بعد حلول الظلام.

في وقت متأخر من الليلة التالية، شوهد هويتشي وهو يغادر المعبد؛ وعلى الفور أضاء الخدام فوانيسهم، وتبعوه. لقد كانت ليلة ممطرة، ومظلمة للغاية؛ وقبل أن يتمكن خدام المعبد من الوصول إلى قارعة الطريق كان هويتشي قد اختفى بالفعل. من الواضح أنه كان يسير بسرعة كبيرة، وهو أمر غريب بالنظر إلى إصابته بالعمى؛ حيث أن الطريق كان في حالة سيئة جدًا.

أسرع الرجال ينتشرون في الطرقات، وقاموا بالتحقق في كل منزل أو مكان اعتاد هويتشي زيارته؛ ولكن لم يستطِع أحد أن يفيدهم أو يدلهم على أي شيء. وأخيرًا، بينما كانوا يسلكون طريق الشاطئ عائدين إلى المعبد، أذهلهم صوت آلة بيوا يتم العزف عليها بمنتهى القوة في مقبرة أميداجي.

باستثناء بعض النيران الشبحية الباهتة - والتي كانت تطوف هناك عادةً في تلك الليالي المظلمة - غطت الظلمة على كل شيء في تلك الناحية. لكن الرجال سارعوا على الفور نحو المقبرة، وتمكنوا هناك بمساعدة فوانيسهم من اكتشاف موقع هويتشي - جالسًا وحيدًا تحت المطر أمام النصب التذكاري الخاص بأنتوكو تينو، مما جعل صوت آلة البيوا يتردد صداه في أرجاء المكان، وتتردد معه ترنيمة معركة دان-نو-أورا بصوت عالٍ. ومن خلفه ومن حوله، وفي كل مكان فوق القبور، كانت نيران الموتى مشتعلة مثل الشموع. لم يحدث من قبل أن ظهر مثل هذا الحشد الكبير من

أوني-بي على مرأى من الإنسان الفاني.

صاح الخدم: "يا سيد هويتشي! ... يا سيد هويتشي! أنت مسحورا! ... يا سيد هويتشي!".

ولكن يبدو أن الرجل الأعمى لم يكن يستمع إلى أي شيء. وبقوة جعل آلة البيوا تهتز وتطلق المزيد والمزيد من النغمات؛ مرددًا بعنف وبطريقة بها بعض الجنون أنشودة معركة دان-نو-أورا. أمسكوا به وصرخوا في أذنه: "يا سيد هويتشي! ... يا سيد هويتشي! ... عد معنا إلى المنزل في الحال!".

حينها خاطبهم موبخًا: "يجب أن تعلموا أن مقاطعتي بهذه الطريقة أمام هذا المجلس الموقر لن يمر مرور الكرام".

ورغم غرابة الموقف إلا أن الخدم لم يتمكنوا من السيطرة على أنفسهم والتوقف عن الضحك. حيث تأكدوا من كونه مسحورًا، وبالتالي قبضوا عليه، وأوقفوه على قدميه، واقتادوه بالقوة إلى المعبد - حيث تم على الفور خلع ملابسه المبللة، بأمر من الكاهن.

بعد ذلك أصر الكاهن على أن يقوم صديقه الأعمى بتقديم تفسيرًا وافيًا لتصرفاته الغريبة. تردد هويتشي لفترة من الوقت وأمتنع عن الكلام. ولكن أخيرًا قرر التخلي عن تحفظه عندما وجد أن سلوكه قد أثار قلق الكاهن الصالح وأغضبه، وروى كل ما حدث منذ أول زيارة للساموراي.

قال الكاهن: " يا صديقي المسكين هويتشي، أنت الآن في خطر كبير! كم يؤسفني أنك لم تخبرني بكل تلك الأمور من قبل! لقد جلبت لك مهارتك الرائعة في الموسيقى مشكلة غريبة بالفعل. بحلول هذا الوقت، يجب أن تكون مدركًا كونك لم تقم في الواقع بزيارة أي قصر على الإطلاق، ولكنك كنت تقضي لياليك في المقبرة، بين

مقابر الهايكه؛ وتحديدًا أمام نصب أنتوكو تينو التذكاري حيث وجدك رجالنا الليلة جالسًا تحت المطر. كل ما كنت تتخيله كان مجرد وهم – ما عدى استدعاء الموتى لك. وبإطاعتهم مرة واحدة، تكون قد وضعت نفسك تحت سلطتهم. فإن أطعتهم مرة أخرى بعد ما حدث اليوم فسوف يمزقونك إربًا. لكنهم كانوا سيدمرونك، عاجلًا أم آجلًا، مهما حدث... مع الأسف لن أتمكن من البقاء معك الليلة أيضًا، فلقد تم استدعائي لأداء طقوس الجنازة مرة أخرى. ولكن، قبل أن أذهب، سيكون من الضروري تحصين جسدك عن طريق كتابة النصوص المقدسة عليه".

قبل غروب الشمس، جرد الكاهن ومساعده هويتشي من ملابسه، ثم رسموا بفرشاة الكتابة على صدره وظهره، ورأسه ووجهه ورقبته، وأطرافه ويديه وقدميه، حتى على باطن قدميه، وعلى جميع أجزاء جسده نص السوترا المقدسة المسمى هانيا-شين-كيو(105) Hannya-Shin-Kyo.

بعدما تم ذلك، بدأ الكاهن في وضع تعليمات واضحة ودقيقة لهويتشي من أجل إتباعها: "الليلة، بمجرد أن أذهب بعيدًا، يجب أن تجلس على الشرفة، وتنتظر حيث سيتم التواصل معك. ولكن، مهما حدث، لا تجيب، ولا تتحرك. أصمت ولا تقل شيئًا، اجلس ساكنًا، كما لو كنت تتأمل. إذا بادرت بالقيام بأية حركة أو إصدار أي جلبة أو صراخ، فسوف يتم تمزيقك إربًا. لا تخف؛ ولا تفكر في طلب المساعدة – لأنه لا يوجد من يستطيع أن ينقذك. إذا اما اتبعت تلك التعليمات بدقة وفعلت ما أقوله لك، فإن الخطر سوف يزول، ولن يكون لديك ما تخشاه بعد الآن".

بعد حلول الظلام، رحل الكاهن ومساعده؛ وجلس هويتشي على الشرفة طبقًا للتعليمات التي أمليت عليه. وضع آلة البيوا الخاصة به على لوح خشبي بجانبه، واتخذ وضعية التأمل، وظل ساكنًا تمامًا إلى تلك الدرجة التي جعلته يحرص على عدم السعال أو التنفس بصوت مسموع.

ظل هكذا لساعات حتى أنصت فجأة إلى وقع خطوات قادمة من الطريق الرئيسي، والتي لم تمر سوى لحظات حتى عبرت البوابة، ثم عبرت الحديقة، واقتربت من الشرفة، وتوقفت أمامه مباشرة.

ناداه صوت عميق: "يا هويتشي!". ما كان من الأعمى حينها إلا أن حبس أنفاسه وجلس بلا حراك.

نادى الصوت مرة أخرى ولكن بشراسة وقوة: "يا هويتشي!".

ثم مرة ثالثة بوحشية: "يا هويتشي!".

ظل هويتشي ساكنًا كالحجر.

حينها بدأ الصوت في التذمر قائلًا: "لماذا لا أتلقى أية اجابة! - هذا لن يجدي نفعًا! ... يجب أن أرى أين هو ذلك الشخص ولماذا لم ينتظرني في الشرفة".

بعدها سمع هويتشي وقع أقدام ثقيلة تصعد على الشرفة. اقتربت منه الأقدام بتؤدة، وتوقفت بجانبه. لدقائق طويلة ظل الصمت المميت يحيط بالمكان كله، ولم يشعر خلالها هويتشي سوى بجسده كله ينتفض ويهتز بسبب نبضات قلبه.

أخيرًا تمتم الصوت الأجش بالقرب منه وقال: "ها هي البيوا؛ ولكني لا أرى من عازف البيوا سوى الأذنين فقط! ... وهذا يفسر لماذا لم يجب على نداءاتي، لم يكن لديه فم ليجيب به، لم يبقَ منه سوى أذنيه. والآن سوف آخذ إلى سيدي هاتين الأذنين، كدليل على أني قد أطعت أوامره الجليلة قدر المستطاع".

في تلك اللحظة، شعر هويتشي بأصابع من حديد تقبض على أذنيه، وتمزقها! وعلى الرغم من أن الألم كان مميتًا، إلا أنه لم يُصدر أي صرخة.

تراجع وقع الأقدام الثقيلة على طول الشرفة، ثم نزلت إلى الحديقة، ثم انتقلت إلى الطريق. شعر الأعمى بقطرات دافئة كثيفة تسيل من جانبي رأسه؛ لكنه لم يجرؤ على رفع يديه.

أسرع الكاهن بمجرد عودته قبل شروق الشمس مباشرة إلى الشرفة الخلفية، حيث كاد ينزلق عندما فوجئ بقدميه تخطو فوق شيء لزج، وحينما رأى على ضوء فانوسه أن تلك اللزوجة لم تكن سوى دمًا أطلق صرخة رعب.

صاح الكاهن وهو في حالة ذهول عندما رأى هويتشي جالسًا هناك في وضع التأمل والدم لا يزال ينزف من جروحه: "يا هويتشي المسكين! ما هذا؟ ... "لقد تأذيت بالفعل".

شعر الأعمى بالأمان عند سماع صوت صديقه. وانفجر في البكاء، وأخبره بالدموع عما حدث تلك الليلة.

صاح الكاهن: "يا لسوء حظك، إنك حقًا لمسكين وتعيس يا هويتشي، كل هذا خطأي! لقد أخطأت خطأ جسيمًا بالفعل! ... حيث أنني قمت بنفسي بكتابة النصوص المقدسة على كل موضع من جسدك - باستثناء أذنيك! لقد وثقت بمساعدي للقيام بهذا الجزء من العمل؛ ولكني أخطأت خطًا جسيمًا حينما لم أقم بالتأكد بنفسي من إتمامه لذلك الأمر! ... حسنًا، لا يوجد ما يمكن فعله الآن لتدارك ذلك الأمر؛ لا يسعنا إلا أن نحاول شفاء جراحك في أسرع وقت ممكن... خذ قسطًا من الراحة الآن يا صديقي العزيز! وأبتهج فلقد انتهى الخطر. ولن تشعر بالانزعاج مرة أخرى من هؤلاء الزوار".

وبمساعدة طبيب كفء، سرعان ما تعافى هويتشي من إصاباته. انتشرت قصة مغامرته الغريبة في كل مكان، وسرعان ما جعلته مشهورًا. توافد العديد من النبلاء

إلى أكاماغاسيكي من أجل الاستماع إليه وهو يعزف وينشد؛ وتم تقديم العديد والعديد من العطايا والهدايا المالية الكبيرة له حتى أصبح رجلًا ثريًا ...

ولكن منذ وقت مغامرته، أصبح معروفًا فقط بلقب ميمي-ناشي-هويتشي Mimi-nashi-Hōïchi "هويتشي عديم الأذن".

جيكينينكي Jikininki

ذات يوم، بينما كان أحد كهنة طائفة الزن Zen والذي يدعى موسو كوكوشي Musō Kokushi يتجول بمفرده عبر مقاطعة مينو Mino بلا معين أو دليل، إذ به يجد نفسه فجأة في منطقة جبلية نائية.

أخذ يجوب أطرافها على غير هدى لفترة طويلة على أمل العثور على أي مساعدة ولكن دون جدوى، حينها تملك منه الشعور بصعوبة العثور على مأوى حتى يقضي به ليلته بدلًا من النوم في العراء.

كاد اليأس أن يتسرب إلى قلبه عندما رأى على قمة تل مضاء بأشعة الغسق الأخيرة ساعة الغروب، إحدى تلك الصوامع الصغيرة، التي تسمى أنجيتسو anjitsu، والتي تم بناؤها للكهنة المنعزلين. ورغم أنها كانت تبدو محطمة تمامًا وفي حالة يرثى لها، إلا أنه أسرع إليها بلهفة، حيث لم يجد من يسكنها سوى كاهن مسن.

بعد إلقاءه التحية على ذلك الكاهن طلب منه موسو قضاء تلك الليلة في صومعته، ولكن قوبل طلبه بالرفض بمنتهى القسوة وبطريقة غريبة من قبل ذلك الكاهن؛ لكنه قام بتوجيه موسو نحو قرية صغيرة في الوادي المجاور حيث يمكنه الحصول على مأوى من أجل المبيت وتناول الطعام.

تمكن موسو بالفعل من العثور على القرية الصغيرة التي تتألف من أقل من اثني عشر منزلًا ريفيًا. تم استقباله بحفاوة ولطف في مسكن سيد القرية حيث وجد لحظة وصوله أربعين أو خمسين شخصًا مجتمعين في المنزل الرئيسي. ولكن دون أي شرح أو توضيح تم إدخاله إلى غرفة صغيرة منفصلة، حيث تم على الفور توفير الطعام والفراش من أجله. ولشدة إرهاقه خلد موسو للنوم في ساعة مبكرة بمجرد انتهائه

من تناول الطعام.

قبل منتصف الليل بقليل، استيقظ من النوم على صوت عويل وأنين مرتفع في الغرفة المجاورة. وفي تلك اللحظة تم فتح الأبواب المنزلقة بلطف؛ ودخل الغرفة شاب يحمل فانوسًا مضاءً، وألقى عليه التحية باحترام، ثم قال: "يا سيدي الموقر، إنه من المؤلم أن أخبرك أنني حتى الأمس كنت مجرد الابن الأكبر لأبي صاحب الدار، أما الآن فإنني الشخص المسؤول عن هذا المنزل. عندما أتيت إلى هنا البارحة كنت متعبًا للغاية لذلك لم نرغب في أن نشعرك بالحرج بأي شكل من الأشكال، لذلك لم نخبرك أن والدي كان قد توفي قبل ساعات قليلة فقط من حضورك. الأشخاص الذين رأيتهم في الغرفة المجاورة هم سكان هذه القرية، لقد اجتمعوا جميعًا هنا لإلقاء تحيتهم وتقديم احترامهم الأخير على أبي؛ والآن هم ذاهبون إلى قرية أخرى، على بعد حوالي ثلاثة أميال، لأنه طبقًا لعادتنا وتقاليدنا، لا يجوز لأحد منا البقاء في القرية أثناء الليلَ بعد حدوث الوفاة. عادة ما نقوم بتقديم القرابين وأداء الصلوات المناسبة؛ ومن ثم نرحل ونترك الجثة بمفردها. تحدث دائمًا أشياء غريبة في المنزل الذي تُترك فيه الجثة وحدها، لذلك نعتقد أنه سيكون من الأفضل لك أن تأتي معنا. يمكننا أن نجد لك سكنًا جيدًا في القرية الأخرى. ولكن بما أنك كاهن فربما لا تخشى الشياطين أو الأرواح الشريرة؛ وبالتالي إن لم تكن خائفًا من أن تُترك وحدك مع الجثمان، فسوف تصبح موضع ترحيب كبير للبقاء في هذا المنزل المتواضع. ومع ذلك، يجب أن أخبرك أنه لا يوجد كائن من كان يمتلك الجرأة والشجاعة من أجل البقاء هنا الليلة باستثناء الكهنة".

أجاب موسو: "أنا ممتن للغاية لنيتك الطيبة وكرم ضيافتك. لكني أشعر بالأسف لأنك لم تخبرني بوفاة والدك عندما أتيت؛ فعلى الرغم من أني كنت بالفعل متعبًا بعض الشيء، إلا أنني بالتأكيد لم أكن متعبًا لتلك الدرجة التي تحول بيني وبين أداء واجبي ككاهن. لو أخبرتني لكان بإمكاني تقديم الصلوات وأداء الشعائر قبل مغادرتك الآن. ولكن لكون هذا هو الحال الآن، فسأقوم بتقديم الصلوات بعد رحيلك؛ وسأبقى بجانب الجسمان حتى الصباح. لا أعرف ماذا تقصد أو ما المغزى من حديثك عن

خطورة البقاء هنا بمفردي؛ ولكنني لا أخاف من الأشباح أو الشياطين، لذا أرجو ألا ينتابك أدني شعور بالقلق بشأني".

بدا على الشاب حينها ملامح السرور والغبطة بهذه التأكيدات، وأعرب عن امتنانه بكلمات مناسبة. ثم جاء أفراد الأسرة الآخرون والقوم المجتمعون في الغرفة المجاورة ليشكروا ذلك الكاهن بعد أن علموا بوعوده الطيبة، وبعد ذلك قال رب المنزل: "الآن، يا سيدي الموقر، بقدر ما نأسف لتركك بمفردك، إلا أنه يجب علينا أن نودعك. فبموجب قانون قريتنا، لا يمكن لأحد منا البقاء هنا بعد منتصف الليل. ونرجو منك يا سيدي الفاضل أن تبذل كل الجهد من أجل الاهتمام بنفسك الكريمة فنحن لن نكون قادرين على البقاء من أجل خدمتك. وإذا سمعت أو رأيت شيئًا غريبًا أثناء غيابنا، فيرجى إخبارنا بالأمر عندما نعود في الصباح".

بعد ذلك غادرَ الجميع المنزل ما عدا الكاهن الذي ذهب إلى الغرفة التي كانت ترقد بها الجثة. وعلى ضوء مصباح بوذي صغير - توميو tomyo – يحترق من أجل إضاءة تلك الغرفة رأى الكاهن القرابين المعتادة موضوعة أمام الجثة. تلا الكاهن الصلوات، وأدى مراسم التأبين، ومن ثم دخل في مرحلة التأمل وظل على هذا الوضع لعدة ساعات صامتًا، بينما كانت القرية المهجورة غارقة في بحر من الصمت والسكون الرهيب.

عندما أمسى سكون الليل في أعمق حالاته، دخل إلى هناك بلا ضجيج شبح غامض وضخم؛ وفي نفس اللحظة وجد موسو نفسه عاجزًا عن الحركة أو النطق. لقد شاهد ذلك الشبح وهو يرفع الجثة بيديه، ومن ثم يفترسها، بسرعة أكبر من تلك السرعة التي يلتهم بها القط الفأر، أخذ يأكل كل شيء بدءًا من الرأس، الشعر والعظام وحتى الكفن. وبعد أن التهم ذلك الكيان المتوحش البشع جسد المتوفي، تحول إلى القرابين وأكلها أيضًا. ثم اختفى بطريقة غامضة تمامًا مثل الطريقة التي أتى بها.

عندما عاد القرويون في صباح اليوم التالي، وجدوا الكاهن ينتظرهم عند مدخل

منزل سيدهم، فقاموا بإلقاء التحية عليه. ولكنهم حينما دخلوا وتفقدوا الغرفة، لم يبدُ أحد منهم أي دهشة من اختفاء الجثة والقرابين. وهنا بادر سيد البيت بالحديث قائلًا لموسو: "يا سيدي الموقر، ربما تكون قد رأيت أشياءً بغيضة أثناء الليل، لقد كنا جميعًا في منتهى القلق عليك. لكننا في الوقت الحالي سعداء للغاية من أجل العثور عليك على قيد الحياة دون أن تصاب بأذى. كنا نود يا سيدي بكل تأكيد أن نبقى معك ليلة أمس، ولكن كما أخبرتك مساءً فإن قانون قريتنا يلزمنا بترك منازلنا بعد حدوث الوفاة، وترك الجثة وشأنها. وفي حالة إذا ما تم انتهاك هذا القانون بأي شكل كان فإننا نضطر إلى مواجهة العديد من المصائب الجمة. وكلما أطاعنا ذلك القانون نجد أن الجثة والقرابين تختفي في فترة غيابنا، ربما رأيت المتسبب في اختفاء الجثة".

تحدث موسو عن الشبح المعتم والفظيع الذي دخل غرفة الموت من اجل أن يلتهم الجسد والقرابين. ويبدو أن أحدًا لم يتفاجأ من روايته؛ حينها أخذ سيد المنزل دفة الحديث مرة أخرى وقال: "إن ما أخبرتنا به أيها السيد الموقر يتفق تمامًا مع ما نما إلى علمنا عن هذا الأمر منذ القدم".

ثم تساءل موسو: "ألا يقوم الكاهن المقيم على التلال المجاورة أحيانًا بتشييع موتاكم؟".

تساءل الشاب باستغراب: "أي كاهن؟".

أجاب موسو: "الكاهن الذي وجهني إلى هذه القرية مساء أمس. لقد كنت قد وصلت إلى الأنجيتسو(106) الخاص به على قمة التل هناك. وسألته أن يستضيفني لديه ولكنه امتنع عن قبول طلبي بطريقة غريبة، وبدلًا من ذلك دلني على الطريق إلى هنا".

نظر الحضور إلى بعضهم البعض بينما تعتلي الدهشة وجههم؛ وبعد لحظة من

الصمت، قال سيد المنزل: "يا سيدي الموقر، لا يوجد كاهن ولا أنجيتسو على ذلك التل. لم يقِم أي كاهن في هذه المنطقة منذ أجيال عديدة".

لم يسترسل موسو في الحديث عن هذا الشأن؛ إذ كان من الواضح أن مضيفيه الطيبين افترضوا أنه قد تم خداعه من قبل عفريت ما. ولكن بعد أن ودعهم، وحصل على جميع المعلومات اللازمة عن الطريق الذي من المفترض أن يسلكه، قرر العودة إلى ذلك التل والبحث مرة أخرى عن الصومعة الموجودة فوقه، وبالتالي التأكد مما إذا كان قد تم خداعه حقًا أم لا. تمكن من العثور على الأنجيتسو دون أدنى صعوبة؛ ولكن هذه المرة دعاه ساكنها المسن للدخول. وعندما فعل ذلك، انحنى الناسك أمامه بكل تواضع هاتفًا: "تبًا! أشعر بالخجل! أشعر بالخجل الشديد! حقًا أنا في غاية الخجل!".

قال موسو: "لا داعي للخجل لأنك رفضت توفير المأوى والمبيت لي. بل على العكس لقد وجهتني إلى تلك القرية هناك، حيث عوملت بلطف شديد؛ لذلك أود أن أشكرك على هذا المعروف".

أجاب الناسك: "لا أستطيع أن أعطي مأوى لأي شخص، لذلك لست أخجل من كوني رفضت السماح لك بالمبيت هنا. أنا أشعر بالخجل فقط لأنك رأيتني على هيئتي الحقيقية، فأنا من التهمت الجثة والقرابين الليلة الماضية أمام عينيك. اعلم يا سيدي الموقر، أنني جيكينينكي(107) ! آكل لحوم البشر. ولكني أرجو أن تشفق علي، وتسمح لي بالاعتراف بالخطايا الخفية التي ارتكبتها وأدت بي إلى هذه الحالة".

"منذ زمن بعيد جدًا، كنت الكاهن الوحيد في هذه المنطقة المقفرة. حيث لم يكن هناك كاهن آخر لعدة فراسخ حولها. لذلك، كان يتم إحضار جثث سكان الجبل في ذلك الوقت ممن لقوا حتفهم إلى هنا حتى أتمكن من أداء الشعائر والصلوات المقدسة عليهم، وفي بعض الأحيان يتم احضار تلك الجثث من مسافات بعيدة.

لكنني كنت أكرر الصلوات وأقوم بأداء المناسك فقط من باب تأدية العمل المنوط بي وليس بإخلاص كما يجب؛ لم أكن أفكر حينها إلا في الطعام والملابس التي سمحت لي مهنتي المقدسة بالحصول عليها. وبسبب هذه المعصية الأنانية، بُعثت من جديد في حالة جيكينينكي بعد وفاتي مباشرة. منذ ذلك الحين، اضطررت إلى أكل جثث الأشخاص الذين يموتون في هذه المنطقة، يجب أن ألتهم كل واحد منهم بالطريقة التي رأيتها الليلة الماضية ... اسمح لي الآن يا سيدي الموقر أن أتوسل إليك للقيام بطقوس سيغاكي(108) Ségaki-service من أجلي، أتوسل إليك أن تساعدني بصلواتك حتى أتمكن في القريب العاجل من التخلص من حالة الوجود الرهيبة تلك".

ما إن نطق الناسك بتلك التوسلات حتى اختفى. واختفت معه الصومعة أيضًا في نفس اللحظة. ووجد موسو كوكوشي نفسه راكعًا وحيدًا بين العشب الطويل، بجانب قبر قديم مغطى بالطحالب تم بناءه على طراز يسمى غو-رين-إيشي(109) go-rin-ishi والذي بدل له أنه قبر كاهن.

موجينا Mujina

يقع على طريق أكاساكا Akasaka في مدينة طوكيو منحدر يسمى كيي-نو-كوني-زاكا kii-no-kuni-zaka، وهو ما يعني حرفيًا "منحدر مقاطعة كيي". وفي الواقع لا أعرف سبب تسميته بمنحدر مقاطعة كيي Kii. على أحد جوانب هذا المنحدر يمكنك أن ترى خندقًا قديمًا، عميقًا وواسعًا للغاية، تحفه ضفاف خضراء عالية ترتفع إلى ما يشبه الحدائق؛ وعلى الجانب الآخر من الطريق تمتد أسوار القصر الإمبراطوري شاهقة الارتفاع.

كانت تُعد تلك المنطقة موحشة للغاية قبل عصر مصابيح الشوارع والجينريكيشا(110) Jinrikisha، لذا بمجرد حلول الظلام، كان يلجأ المشاة ممن يجتازون تلك المنطقة في وقت متأخر من الليل على أقدامهم إلى قطع أميالًا عديدة إضافية بعيدًا عن طريقهم المعتاد، لتفادي السير بمفردهم عبر منحدر كيي-نو-كوني-زاكا، وذلك خشية من موجينا، التي اعتادت أن تتجول في تلك المنطقة.

آخر من رأى موجينا كان تاجرًا عجوزًا من حي كيوباشي Kyōbashi، توفي منذ حوالي ثلاثين عامًا. وهذه هي القصة كما رواها:

" في ساعة متأخرة من إحدى الليالي، كان يسرع في طريقه عبر كيي-نو-كوني-زاكا، عندما رأى امرأة تجلس القرفصاء وحيدة تمامًا بجانب النهر وتبكي بمرارة. عندئذٍ توقف من اجل أن يقدم لها يد مساعدة أو المواساة بقدر ما يستطيع خوفًا من أن تقوم بإغراق نفسها.

بدت الفتاة حينها في منتهى الرشاقة والبساطة، جميلة الملبس؛ ذات شعر منسق ومصفف مثل شعر فتاة صغيرة من عائلة مرموقة. ناداها وهو يقترب منها: "أيتها

الفتاة المحترمة O-jochū(111) ، لا تبكي بهذه الطريقة أيتها الفتاة!... أخبريني ما المشكلة؛ إذ ربما توجد وسيلة ما تمكنني من مساعدتك، حينها سوف أكون مسرورًا للغاية بتقديم يد العون إليك".

في الواقع لقد عنى ما قاله بالفعل؛ حيث أنه كان رجلًا طيب القلب ولطيفًا للغاية. لكنها رغم ذلك استمرت في البكاء، بينما كانت تخفي وجهها عنه بأكمامها الطويلة.

خاطبها مرة أخرى بمنتهى اللطف: "من فضلك أيتها الفتاة المحترمة، من فضلك استمعي إلي ... هذا ليس مكانًا مناسبًا لسيدة شابة في مقتبل العمر مثلك، خاصة في مثل هذه الساعة من الليل! أتوسل إليك أن تتوقفي عن البكاء وأخبرني فقط كيف يمكنني مساعدتك!".

نهضت ببطء، لكنها أدارت ظهرها إليه، واستمرت في الأنين والنحيب مخفية وجهها خلف كمها المتدلي. عندها وضع يده بخفة على كتفها، وأستمر في التوسل إليها: " أيتها الفتاة المحترمة.. استمعي إلي أيتها الفتاة، للحظة واحدة فقط! أيتها الفتاة". ... حينئذٍ استدارت الفتاة وأسقطت كمها ومسحت على وجهها بيدها، وهنا أفقدته الصدمة النطق للحظات، إذ رأى فتاة بلا أعين ولا أنف ولا فم.

فما كان منه سوى أن أطلق صيحة عالية ولاذ بالفرار.

ركض الرجل عبر كيي-نو-كوني-زاكا واستمر في الركض بدون توقف؛ كان كل شيء أمامه في ذلك الوقت قاتمًا وفارغًا. أخذ يركض ويركض، ولم يجرؤ أبدًا على النظر إلى الوراء.

وأخيرًا رأى فانوسًا بعيدًا للغاية، لدرجة أنه بدا وكأنه ومضة خنفس مضيء؛ وهكذا سعى خلف ذلك الضوء، والذي تبين لاحقًا أنه مجرد فانوس بائع سوبا(112)

soba متجول يقف على جانب الطريق؛ ولكن بالنسبة له فإن أي ضوء وأي صحبة بشرية كانت جيدة للغاية، خاصة بعد تلك التجربة التي خاضها؛ ألقى بنفسه عند قدمي بائع السوبا وهو يصرخ: "تبًا! — أل! -أل!!"

صاح رجل السوبا بخشونة: "يا هذا! يا هذا! ما خطبك؟ هل قام أحد بإيذائك؟".

أجاب الرجل وهو يلهث: "لا - لم يؤذني أحد... الأمر فقط ... تبًا! أل!"

تساءل البائع المتجول بدون إبداء أي تعاطف أو اكتراث: "هل أنتابك كل ذلك الرعب من اللصوص فقط؟!".

ألتقط الرجل المذعور أنفاسه بمنتهى الصعوبة وأجاب: "لا، ليسوا لصوصًا، ليسوا لصوصًا، لقد رأيتَ... رأيت امرأة - عند الخندق؛ وأظهرت لي أل! تبًا! لا أستطيع أن أخبرك بما أظهرته لي!".

تحدث رجل السوبا: "أنتظر، هل كان هذا ما أظهرته لك؟"... وبدأ يمسح على وجهه الذي أصبح بلا ملامح مثل البيضة. وفي الوقت نفسه انطفأ ضوء الفانوس وعم الظلام مرة أخرى.

روكورو كوبي
Rokuro-Kubi

منذ ما يقرب من خمسة قرون كان هناك ساموراي، يُدعى إيسوغاي هيدازايمون تاكيتسورا Isogai Héïdazaēmon Takétsura، يخدم لدى الحاكم كيكوجي Kikuji، حاكم جزيرة كيوشو(113) Kyūshū.

ورث إيسوغاي عن العديد من أسلافه المحاربين استعداد فطري لتقبل التدريبات العسكرية واتقانها، وقوة بدنية خارقة للعادة. لقد تفوق بالفعل على معلميه في فن المبارزة والرماية واستخدام الرمح حينما كان لايزال في مرحلة الصبا، بل وأظهر كل قدرات الجندي الجريء والماهر. وبعد ذلك، تمكن من اثبات نفسه خلال حرب إيكيو(114) Eikyō عن جدارة وتميز لدرجة أنه مُنح مرتبة الشرف العليا. ولكن عندما تم تدمير قصر كيكوجي، وجد إيسوغاي نفسه بلا سيد.

ربما كان من الممكن أن ينخرط بسهولة ضمن الخدمة تحت قيادة زعيم داي-ميو(115) daimyō آخر؛ ولكن بما أنه لم يبحث أبدًا عن التميز من أجل ذاته فقط أو لمجده الشخصي، وبما أن قلبه ظل وفيًا لسيده السابق، فقد فضل التخلي عن هذا العالم. وقام على الفور بحلق شعر رأسه، وأصبح كاهنًا متنقلًا، متخذًا الاسم البوذي كوايريو Kwairyō.

دائمًا ما حافظ كوايريو على دفء قلب الساموراي بداخله تحت كورومو koromo الكاهن.

وكما اعتاد على مواجهة المخاطر بلا مبالاة خلال الأعوام السالفة، فإنه مازال في

الوقت الحالي يزدري الخطر ولا يلقي له بالًا؛ ففي جميع الأوقات وخلال كل الفصول ومهما كانت تقلبات الطقس داوم على السفر من أجل التبشير بالتشريعات الصالحة في أماكن لم يجرؤ كاهن سواه على الذهاب إليها. ولأن ذلك العصر كان عصر العنف والفوضى؛ فلم يكن المسافر المنفرد يجد الأمان على الطرقات الرئيسية خارج المدن، حتى ولو كان كاهنًا.

خلال رحلته الطويلة الأولى، أتيحت لكوايريو فرصة لزيارة مقاطعة كاي Kai. وبينما كان يسافر في إحدى الليالي عبر الممرات الجبلية ضمن تلك المقاطعة، غيم عليه الظلام في منطقة منعزلة للغاية، تفصل بينها وبين أقرب قرية العديد من الأميال. حينها استسلم لقضاء الليل تحت النجوم؛ وبعد أن وجد مكانًا عشبيًا مناسبًا على جانب الطريق، استلقى هناك واستعد للنوم. لم تزعجه أبدًا المشقة وعدم الراحة، بل كان يتقبلها بصدر رحب. وحتى الصخرة العارية كانت بالنسبة له سريرًا جيدًا، حيث لم يكن من الممكن العثور على شيء أفضل منها، بينما كان جذع شجرة الصنوبر بمثابة وسادة ممتازة. أمتلك جسدًا قويًا وصلبًا مثل الحديد. ولم يزعج نفسه قط بالندى أو المطر أو الصقيع أو الثلج.

لم يكد كوايريو يستلقي على جانب الطريق حتى مر عليه رجل يحمل فأسًا وحزمة كبيرة من الخشب المجزوز. توقف هذا الحطاب عندما رأى كوايريو مستلقيًا، وبعد أن أمضى لحظة في مراقبته بصمت، تحدث إليه بينما علامات الدهشة تعلو وجهه: "أي نوع من الرجال أنت يا سيدي الطيب، حتى تجرؤ على الاستلقاء وحدك في مثل هذا المكان؟ ... هناك العديد من الأشباح هنا، الكثير منهم. هل أنت لست خائفًا من المخلوقات المشعرة الضخمة؟".

أجاب كوايريو بابتهاج: "يا صديقي، أنا مجرد كاهن متجول، زائر يندفع مثل السحاب ويطفو مثل الماء، كما يطلق عليه العامة: أونسوي(116) نو ريوكاكو Unsui-no-ryokaku. وأنا لست خائفًا على الإطلاق من المخلوقات الضخمة

المُشعرة، إذا كنت تقصد العفاريت أو الأرواح الثعلبية، أو عفاريت الغرير(117) ، أو أي مخلوقات من هذا النوع. أما فيما يخص الأماكن المنعزلة، فأنا أحبها حيث انها مناسبة تمامًا من أجل ممارسة الطقوس الخاصة بالتأمل. لقد اعتدت النوم في العراء حيث الهواء الطلق، وتعلمت ألا أقلق أبدًا بشأن حياتي".

أجاب الرجل الريفي: "لا بد أنك رجل شجاع حقًا يا سيدي الكاهن حتى تستلقي هنا! فلهذا المكان سمعة سيئة للغاية، سمعة بالغة السوء. ولكن، كما يقول المثل، كونشي أيايوكي ني تشيكايورازو Kunshi ayayuki ni chikayorazu (الرجل الحكيم المسؤول لا يعرض نفسه للخطر بلا داع)؛ ويجب أن أؤكد لك يا سيدي أن النوم هنا من الممكن أن يترتب عليه تعرضك لمخاطر جمة. لذلك، على الرغم من أن منزلي ليس سوى كوخ متواضع مغطى بالقش، إلا أني أتوسل إليك أن تسمح لي باصطحابك معي إلى المنزل في الحال. أما فيما يخص الطعام، فليس لدي ما أقدمه لك؛ ولكن هناك على الأقل سقف يمكنك النوم تحته دون أن تعرض نفسك للمخاطرة".

لقد تحدث الرجل بكل جدية واحترام، مما جعل كوايريو يعجب بنبرته اللطيفة، وهكذا قبل ذلك العرض المتواضع. أرشده الحطاب نحو مسار ضيق، متفرع من الطريق الرئيسي عبر الغابة الجبلية. لقد كان طريقًا وعرًا وخطيرًا، في بعض الأحيان تشعر وكأنك على شفا هاوية منحدر حاد، وأحيانًا لا يوجد ما تستقر عليه قدماك سوى مجموعة من الجذور المتشابكة الزلقة، وأحيانًا يمتد بك الطريق متعرجًا فوق أو بين كتل من الصخور المسننة. لكن أخيرًا وجد كوايريو نفسه في مساحة خالية فوق قمة التل، والقمر يعتلي السماء بدر مضيء فوق رأسه؛ بينما يستقر أمامه كوخًا صغيرًا مسقوفًا بالقش، مضاءً بشكل مبهج من الداخل.

قاده الحطاب إلى سقيفة في الجزء الخلفي من المنزل حتى يقومان بغسل قدميهما حيث يتم نقل المياه من خلال أنابيب الخيزران من بعض الجداول المجاورة. خلف السقيفة كانت هناك حديقة نباتية، وبستان من أشجار الأرز

والخيزران؛ ومن وراء الأشجار ظهر بصيص جدول مياه، يتدفق من ربوة مرتفعة، ويتمايل في ضوء القمر مثل إزار طويل أبيض.

عندما دخل كوايريو إلى الكوخ برفقة مرشده، رأى أربعة أشخاص من الرجال والنساء مجتمعين حول نار صغيرة مشتعلة في الرو(118) ro، وذلك من أجل تدفئة أيديهم. وبمجرد أن رأوا الكاهن انحنوا له بمنتهى الاحترام ورحبوا به في أدب جم. حينها تساءل كوايريو كيف لمثل هؤلاء الأشخاص الذين يعيشون في ذلك الفقر المدقع، وفي مثل تلك العزلة، أن يكونوا على دراية بأشكال وأساليب التحية المهذبة.

بدأ يخاطب نفسه: "هؤلاء أناس طيبون، ولا بد أنهم قد تعلموا تلك الأساليب من قبل شخص على دراية جيدة بقواعد اللياقة". ثم التفت إلى مضيفه الأروجي(119) aruji، أو سيد المنزل، كما يطلق عليه الآخرون وتحدث قائلًا: "من أسلوب خطابك المهذب، ومن طريقة الترحيب الراقية والمهذبة للغاية الذي تم تقديمها لي من جانب أسرتك، أتخيل أنك لم تكن حطابًا طوال حياتك. ربما كنت تنتمي سابقًا إلى إحدى الطبقات الاجتماعية النبيلة؟".

فأجاب الحطاب مبتسمًا: "يا سيدي، أنت لست مخطئًا بالتأكيد. على الرغم من أنني أعيش الآن كما تجدني، إلا أنني كنت ذات يوم شخصًا مختلفًا تمامًا حيث كنت أتمتع بمنزلة عليا تعطيني بعض الامتيازات. ولكن قصتي هي قصة حطام شخص قام بتدمير حياته بسبب أخطائه. اعتدت أن أكون في خدمة داي-ميو؛ ولم تكن رتبتي في تلك الخدمة بالهينة. ولكن حبي للنساء والنبيذ سيطر عليّ تمامًا؛ وتحت تأثير العاطفة والانفعال تصرفت بشكل شرير وخبيث. لقد تسببت أنانيتي في خراب منزلنا، وتسببت في موت العديد من الأشخاص. لاحقني القصاص أينما ذهبت. وبقيت فترة طويلة هاربًا أهيم على وجهي في الارض. والآن أصلي كثيرًا لكي أتمكن من التكفير عن الشرور التي اقترفتها، وإعادة اصلاح منزل أسلافي. لكني أخشى أنني لن أجد أبدًا الطريقة المثلى من أجل القيام بذلك. ومع ذلك، فإنني أحاول

التغلب على كارما أخطائي بالتوبة الصادقة، وبمساعدة البائسين قدر استطاعتي".

أمسى كوايريو في منتهى السرور بما باح به الرجل وبعقده العزم على التكفير عن خطاياه، وقال للأريجي: "يا صديقي، لقد أتيحت لي الفرصة لاكتشف أن الرجل، الذي يميل إلى الحماقة خلال فترة شبابه، قد يصبح بعد مرور العديد من السنوات شخصًا آخر يتسم بمنتهى الجدية والصدق من أجل الوصول إلى أسلوب الحياة اللائق. وقد ورد في السوترا(120) sûtras المقدسة أن الأقوياء في فعل الإثم يمكن أن يصبحوا بقوة العزيمة الصالحة الأقوياء في فعل الصواب(121) . لا أشك في كونك تملك قلبًا طيبًا صالحًا؛ وآمل أن يكون حظك في المستقبل العاجل أفضل مما مضى. الليلة سأقرأ السوترا من أجلك، وسوف أؤدي الصلوات من أجل أن تحصل على القوة للتغلب على كارما أي أخطاء سابقة".

عندما أنتهى كوايريو من تلك التأكيدات التي ذكرها تمنى للأريجي ليلة سعيدة، حينها أرشده مضيفه إلى غرفة جانبية صغيرة للغاية، حيث تم تجهيز الفراش الخاص به. ثم خلد الجميع إلى النوم باستثناء الكاهن الذي بدأ في قراءة السوترا على ضوء فانوس ورقي. واصل القراءة والصلاة حتى ساعة متأخرة من الليل، ثم فتح نافذة صغيرة في غرفة نومه الضيقة من أجل إلقاء نظرة أخيرة على المناظر الطبيعية قبل أن يستلقي في الفراش.

كانت الليلة جميلة، الريح ساكنة بلا سحب في السماء؛ بينما ألقى شعاع القمر القوي ظلالًا سوداء حادة من أوراق الشجر على أرضية الحديقة، وتألق ضوؤه على قطرات الندى الساكنة فوق أوراق الشجر. وأحدث طنين صراصير الحقل وحشرات الجرس ضجة موسيقية مزعجة وجميلة في الوقت ذاته؛ بينما زاد ظلام الليل الحالك من عمق صوت هدير المياه في الشلال المجاور.

شعر كوايريو بالعطش وهو يستمع إلى خرير الماء؛ وتذكر حينها قناة الخيزران

الموجودة في الجزء الخلفي من المنزل، واعتقد أن بإمكانه الذهاب إلى هناك واحتساء جرعة ماء دون إزعاج الأسرة النائمة. قام بلطف شديد بفتح الأبواب المنزلقة التي تفصل غرفته عن المبنى الرئيسي؛ فرأى على ضوء المصباح خمس أجساد راقدة بلا رؤوس!

مرت عليه اللحظة الأولى وهو في حيرة من أمره مصدومًا، متخيلًا وقوع جريمة بشعة في هذا المكان. ولكن في اللحظة التالية أدرك أنه عدم وجود دماء، وأن الرقاب التي بلا رؤوس لا تبدو كما لو أنه قد تم نحرها. ثم بدأ في التحدث إلى نفسه: "إما أن هذا وهم من صنع العفاريت، أو أنه قد تم استدراجي إلى مأوى روكورو كوبي(122) Rokuro-Kubi ... ذُكر في كتاب سوشينكي Sōshinki أنه إذا عثر المرء على جثة روكورو كوبي منزوعة رأسه، وتم نقل الجسد إلى مكان آخر، فإن الرأس لن يتمكن أبدًا من الالتصاق بالرقبة مرة أخرى. وذُكر في الكتاب أيضًا أنه عندما يعود الرأس ويجد أن جسده قد تم تحريكه، فإنه سيضرب نفسه في الأرض ثلاث مرات متتالية بينما يقفز مثل الكرة، ويلهث قاطعًا النفس كما لو كان في خوف واضطراب شديد، ومن ثم يموت على الفور. الآن، إذا كان هؤلاء هم روكورو كوبي، فمن الجائز أنهم يضمرون لي الشر؛ حينها سوف أكون مضطرًا إلى إتباع تعليمات الكتاب بحذافيرها".

أمسك الكاهن بجسد الأروجي من قدميه وقام بسحبه إلى النافذة ومن ثم دفعه للخارج. ثم ذهب إلى الباب الخلفي، فوجده مغلقًا بالقضبان؛ حينها بدأ يظن في كون الرؤوس قد خرجت من خلال فتحة صعود الدخان الموجودة في سقف الكوخ، والتي ظلت مفتوحة. فتح الباب بهدوء، وشق طريقه نحو الحديقة، ومضى ملتمسًا أقصى درجات الحيطة والحذر إلى البستان الذي يقع خلفها. وحينما سمع أصواتًا تتجاذب أطراف الحديث في البستان ذهب في اتجاهها، يسترق السمع بينما يتنقل بمنتهى الخفة من ظل إلى آخر، حتى وصل إلى مكان جيد لكي يختبأ به. ومن خلف جذع شجرة لمح الرؤوس الخمسة جميعها ترفرف هنا وهناك، وتتحدث أثناء تحليقها

بينما يأكلون الديدان والحشرات التي يجدونها على الأرض أو بين الأشجار.

توقف الأروجي عن الأكل وقال: "تبًا لذلك الكاهن الرحال الذي أتى الليلة! كم هو سمين وممتلئ الجسد! ستمتلئ بطوننا عندما نأكله ... لقد كنت في منتهى الحماقة حينما تفوهت بتلك الكلمات التي تحدثت بها معه، لقد جعلته لا يفعل شيئًا سوى قراءة السوترا على روحي! من الصعب للغاية مجرد الاقتراب منه بينما هو يقرأ السوترا؛ ولا نستطيع أن نلمسه وهو يصلي. ولكن بما أن الصباح قد أقترب الآن، فمن الأرجح أنه قد خلد للنوم ... فليذهب أحدكم إلى المنزل ويرى ما الذي يفعله ذلك الكاهن الآن".

ارتفعت رأس أخرى تنتمي إلى امرأة شابة على الفور وطارت إلى المنزل، بخفة ورشاقة مثل الخفاش. وبعد بضع دقائق عادت، وهو تصرخ بصوت أجش وبنبرة تنم عن الهلع الشديد: "ذلك الكاهن المتجول ليس موجودًا في أي مكان داخل المنزل؛ لقد رحل! ولكن هذا ليس أسوأ ما في الأمر. لقد أخذ جسد سيدنا رب المنزل، ولا أعرف أين وضعه".

مع تلك الكلمات، اتخذ رأس الأروجي، الذي كان يظهر حينها بمنتهى الوضوح تحت ضوء القمر، هيئة مخيفة: إذ اتسعت عيناه بشكل رهيب، وانتصب شعر رأسه، وبدأ يصر على أسنانه. ومن ثم انفجرت صرخة مرعبة من بين شفتيه. وصاح قائلًا وهو يذرف الدموع من شدة الغضب:

"بما أن جسدي قد تم نقله، فإنه ليس بالإمكان العودة إليه مرة أخرى! وهكذا لا مفر من موتي! ... وكل ذلك حدث نتيجة لما فعله ذلك الكاهن! قبل أن أموت سأصل إليه! – سوف أمزقه إربًا! - سوف ألتهمه! ... ها هو خلف جذع تلك الشجرة! إنه يختبئ وراءها! إني أراه! – ذلك الجبان السمين!" ... في اللحظة نفسها قفز رأس الأروجي، تليه الرؤوس الأربعة الأخرى، في اتجاه كوايريو.

لكن الكاهن القوي كان قد استجمع شجاعته وسلح نفسه بالفعل باقتلاع جذع شجرة صغيرة صلب؛ ووجه ضربات قوية للرؤوس الخمسة حينما اقتربوا منه. لقد تمكن من صفعهم بقوة وإلحاق إصابات بالغة بهم، مما أدى إلى فرار أربعة منهم بعيدًا عنه. ولكن على الرغم من تعرض رأس الأروجي للضرب مرارًا وتكرارًا، إلا أنه استمر في الهجوم على الكاهن، وفي نهاية المطاف تمكن من الإمساك بطرف رداءه من جهة اليسار. ومع ذلك، استطاع كوايريو بمنتهى السرعة من السيطرة على الرأس عن طريق الامساك بعقدة شعره، ومن ثم القيام بتوجيه ضربات قوية متتالية. ولم يقم بإطلاق سراحه حتى أصدر أنينًا طويلًا، وتوقف عن المقاومة حيث كان قد مات بالفعل. ولكن كانت ما تزال أسنانه مطبقة على طرف لباس الكاهن، وعلى الرغم من بأسه الشديد إلا أن كوايريو لم يتمكن من فتح فكي الأروجي بالقوة.

بادر الكاهن بالعودة إلى المنزل سريعًا والرأس معلقةً في طرف ردائه. وهناك رأى الأربعة الآخرين من روكورو كوبي يجلسون القرفصاء معًا، ورؤوسهم المصابة بالكدمات والنزيف متحدة مع أجسادهم. ما إن رأوه عند الباب الخلفي حتى صرخوا جميعًا: "إنه الكاهن! إنه الكاهن!" إنه الكاهن!" — وهربوا عبر المدخل الآخر إلى الغابة.

كانت السماء قد بدأت تضاء بنور الشمس من جهة المشرق. حيث كان النهار على وشك البزوغ؛ وعلم كوايريو أن قوة العفاريت تقتصر على ساعات الظلام. لذا نظر إلى الرأس المتشبث برداءه، والوجه الملوث بالدماء والرغوة والطين؛ وضحك بصوت عالٍ وهو يقول لنفسه: "يا لها من مياغيه(123) miyagé: رأس عفريت!". بعد ذلك جمع متعلقاته القليلة، وهبط من الجبل على مهل من أجل مواصلة رحلته.

سار في رحلته حتى وصل إلى مدينة سوا Suwa في شينانو Shinano؛ وهناك أخذ يسير بخطى واسعة في الطريق الرئيسي بالمدينة بينما الرأس متدلٍ من مرفقه. وعندما لمح العامة الرأس حدث هرج ومرج حيث فقدت امرأة وعيها بينما صرخ الأطفال وهربوا. وعم الزحام والصراخ الشديد أرجاء المدينة حتى قامت الشرطة (أو

التوريتى torité كما كان يطلق عليها في تلك الأيام) بالقبض على القس واقتياده إلى السجن. حيث أخذتهم الظنون بأن ذلك الرأس ما هي إلا رأس رجل قتيل أمسك برداء قاتله باستخدام أسنانه بينما كان يسلب روحه.

حينما استجوبوا كوايريو لم يذكر شيئًا ولم تبدو منه سوى ابتسامة خفيفة. بالتالي قضى ليلة في السجن قبل أن يمثل أمام قضاة المنطقة. الذين أصدروا الأمر له بشرح كيف تم القاء القبض عليه، وهو كاهن، بينما رأس رجل مثبتة في كمه، ولماذا تجرأ على عرض جريمته أمام الناس بمثل تلك الوقاحة.

ضحك كوايريو طويلًا وأجاب بصوت عال على تلك الأسئلة قائلًا:

"أيها السادة، أنا لم أعلق الرأس بردائي، بل هو من ثبت نفسه به رغمًا عني وضد رغبتي. كما أني لم أرتكب أي جريمة. فهذه ليست رأس إنسان. بل هي رأس عفريت. وإذا كنت قد تسببت في موت العفريت، فإنني لم أفعل ذلك بدافع سفك الدماء، ولكني ببساطة أقدمت على ذلك الفعل من أجل حماية نفسي وضمان سلامتي الشخصية"... عندئذٍ شرع في سرد المغامرة بأكملها، وحينما بلغ الجزء الخاص بمواجهته للرؤوس الخمسة انفجر في قهقهة أخرى من القلب.

لكن القضاة لم يضحكوا، حيث رأوا أنه مجرم قاسي، وأن قصته إهانة لذكائهم. لذلك، وبدون المزيد من الاستجواب، أصدروا حكمهم بالإجماع وذلك بإعدامه فورًا، باستثناء قاض واحد. لم يبدِ ذلك القاض الطاعن في السن أي ملاحظة أثناء فترة إجراء المحاكمة؛ ولكن بعد أن سمع رأي زملائه، قام وتحدث: "دعونا أولًا نفحص الرأس بعناية؛ لأني أعتقد أن ذلك الإجراء الهام في منتهى الأهمية ولم يتم القيام به بعد. فإن كان الكاهن يقول الحقيقة وينطق بالصدق، فسوف يشهد له الرأس بذلك ... أحضر الرأس إلى هنا!".

لذلك تم عرض الرأس على الرجل العجوز بعد أن تم خلع الكورومو من على أكتاف

كوايريو أمام القضاة، قام القاضي بتقليبها بين يديه بتأن مرارًا وتكرارًا، وتفحصها بعناية، واكتشف وجود عدة علامات حمراء غريبة على أسفل مؤخرة الرأس. حينها لفت انتباه زملائه إلى هذه الأمور، وطلب منهم أيضًا ملاحظة عدم ظهور أي علامات على حواف الرقبة تدل على أنها قُطعت باستخدام سلاح أو أداة حادة. بل على العكس من ذلك، كان الحد الفاصل أملسًا وسلسًا كالخط الذي تنفصل عنده الورقة المتساقطة عن الجذع... ثم تابع حديثه قائلًا:

"أنا على يقين تام من أن الكاهن لم يخبرنا بشيء سوى الحقيقة. فهذا رأس روكورو كوبي. ذكر كتاب نان-هو-أي-بوتسو-شي Nan-hō-i-butsu-shi أنه يمكن دائمًا العثور على بعض الأحرف الحمراء على مؤخرة عنق الروكورو كوبي الحقيقي. تلك هي العلامات ويمكنكم أن تروا بأنفسكم أنه لم يتم رسمها. علاوة على ذلك، من المعروف جيدًا أن مثل هؤلاء العفاريت كانوا يسكنون في جبال مقاطعة كاي منذ أزمنة قديمة للغاية".... ثم قام بتوجيه دفة الحديث نحو كوايريو قائلًا: "لكن أنت يا سيدي، أي نوع من الكهنة الأقوياء قد تكون؟ لقد قدمت بالتأكيد الدليل القاطع على شجاعة لا يمتلكها سوى القليل من الكهنة؛ ولديك هيئة جندي أكثر منه كاهن. ربما كنت تنتمي ذات يوم إلى طبقة الساموراي".

أجابه كوايريو: "لقد كان تخمينك في محله يا سيدي، قبل أن أصبح كاهنًا، كنت أمارس مهنة حمل السلاح والقتال به لفترة طويلة؛ وفي تلك الأيام لم أخَف قط إنسانًا أو شيطانًا. كان اسمي آنذاك إيسوغاي هيدازايمون تاكيتسورا، أحد سامراي كيوشو، من الجائز أن يكون هناك أمرؤ من بينكم يمكنه تذكره ذلك الاسم".

امتلأت قاعة المحكمة بهمسات الإعجاب بمجرد ذكر ذلك الاسم؛ حيث تواجد هناك الكثير من الحضور الذين تمكنوا من تذكره بالفعل. حينها وجد كوايريو نفسه على الفور بين نفر من الأصدقاء بدلًا من مجموعة من القضاة، أصدقاء يشيدون بشجاعته ويبدون إعجابهم به بمنتهى المودة واللطف.

تم اصطحابه بحفاوة شديدة إلى مقر إقامة الداي-ميو، والذي قام بدوره بالترحيب به، وأقام له وليمة، وقدم له هدية جميلة قبل السماح له بالمغادرة. عندما غادر كوايريو سوا، كان سعيدًا مثل أي كاهن يُسمح له بالتواجد في هذا العالم المؤقت الفاني. أما الرأس فأخذه معه، وأصر مازحًا على أنه كان يعتبرها هدية قيمة من العفاريت.

والآن لم يبقَ أمامنا سوى أن نعرف ما الذي حدث للرأس.

التقى كوايريو بلص بعد يوم أو يومين من مغادرة سوا، حيث قطع عليه الطريق في منطقة نائية منعزلة، وأمره بالتجرد من ملابسه. قام كوايريو على الفور بخلع الكورومو الخاص به، وقدمه للص، الذي رأى لأول مرة ما كان معلقًا بأطراف الرداء. وعلى الرغم من شجاعة قاطع الطريق إلا أن ذلك المنظر أصابه بالفزع والذعر. لذلك أسقط الثوب، وقفز إلى الخلف. ثم صرخ قائلًا: "من أنت! أي نوع من الكهنة أنت؟ ما هذا؟ من الواضح أنك رجل أسوأ مني! صحيح أنني قتلت العديد من الناس. لكنني لم أتجول قط ورأس أي شخص مثبت على كم ردائي... حسنًا، يا سيدي الكاهن، أعتقد أننا نمارس نفس العمل؛ وأود أن أُبدي إعجابي بك! ... ولكن من الممكن أن يكون هذا الرأس مفيدًا بالنسبة لي، يمكنني أن أبعث الرعب في قلوب الناس باستخدامه. هل يمكنك أن تبيعه لي؟ يمكنك الحصول على ردائي مقابل الكورومو الخاص بك؛ وسأعطيك خمسة ريو مقابل الرأس".

أجاب كوايريو: "سأترك لك الرأس والرداء إذا أصررت؛ لكن يجب أن أخبرك أن هذا ليس رأس رجل. إنه رأس عفريت. لذا، إذا اشتريته، وواجهت أي مشكلة نتيجة لذلك، فيرجى أن تتذكر أنني لم أقم بخداعك".

صاح السارق: "يا لك من كاهن مرح وظريف! أنت تقوم بقتل الرجل، ومن ثم تمزح حول هذا الموضوع! ... لكنني أتكلم بمنتهى الجدية الآن. ها هو ردائي، وها هي النقود. ودعني أخذ الرأس... فما فائدة الهزل والمزاح في الوقت الحالي؟".

قال كوايريو: "خذ ذلك الشيء. ولكن تأكد أني لم أكن أمزح. فالدعابة الوحيدة هنا إذا كانت هناك أي دعابة على الإطلاق، هي أنك أحمق بما يكفي لدفع تلك الأموال مقابل رأس عفريت". ومضى كوايريو في طريقه وهو يضحك بصوت عالٍ.

وهكذا حصل السارق على الرأس والكورومو؛ ولفترة من الوقت أستمر بلعب دور الكاهن العفريت على الطرق الرئيسية. ولكن عندما وصل إلى حي سوا، أستمع حينها في ذلك المكان إلى القصة الحقيقية للرأس وأدرك أن الكاهن كان يقول الحقيقة؛ وهكذا بدأ الخوف يتسرب إلى قلبه وشعر أن روح روكورو كوبي قد تسبب له المتاعب. حينئذٍ أتخذ قراره برد الرأس إلى المكان الذي جاء منه ودفنه مع الجسد. وجد طريقه إلى الكوخ المنعزل في جبال كاي؛ لكن لم يكن هناك أحد ولم يتمكن من ايجاد الجسد.

لذلك دفن الرأس وجده في البستان خلف الكوخ. ووضع شاهد على القبر. وقام بأداء طقوس سيغاكي نيابة عن روح الروكورو كوبي.

ولايزال من الممكن رؤية شاهد القبر - والمعروف باسم شاهد قبر روكورو كوبي - حتى يومنا هذا بناء على ما أفاد به راوي القصة الياباني.

قصة أوياغي Aoyagi

في حقبة بومي Bummei، خلال الفترة من عام 1469 وحتى عام 1486 من الميلاد، التحق بالخدمة لدى هاتاكياما يوشيموني Hatakéyama Yoshimuné، حاكم نوتو Noto ساموراي شاب يُدعى توموتادا Tomotada. كان توموتادا من مواليد إيتشيزن Echizen;. ولكن في سن مبكرة تم اصطحابه كغلام إلى قصر الداي-ميو في نوتو، وتلقى تعليمه تحت إشراف ذلك الأمير على مهنة القتال وحمل السلاح. وعندما كبر، أثبت أنه تلميذ كفء وجندي بارع، وهكذا استمر في التمتع

برضا أميره. ونظرًا لكونه موهوبًا وذا شخصية ودودة، ومتحدث بارع، وشخص وسيم للغاية، فقد نال تقدير رفاقه الساموراي وإعجابهم أيضًا.

عندما بلغ توموتادا العشرين من عمره تقريبًا، تم إرساله في مهمة خاصة إلى هوسوكاوا ماساموتو Hosokawa Masamoto، الإقطاعي العظيم في كيوتو Kyōto، وهو أحد أقارب هاتاكياما يوشيموني. وحينما علم أنه قد تم إصدار الأمر له بالسفر عبر إيتشيزن، طلب الإذن من أجل القيام بزيارة والدته الأرملة، وقد حصل على الموافقة قبل السفر.

كان الطقس في منتهى البرودة حينما بدأ رحلته حيث تُعد تلك الفترة الأشد برودة خلال العام؛ وعلى الرغم من امتطائه حصانًا قويًا، إلا أنه وجد نفسه مضطرًا إلى المضي قدمًا ببطء، حيث أتخذ طريقًا يمتد عبر منطقة جبلية بها القليل من المستوطنات المتباعدة.

في اليوم التالي شعر بالانزعاج بعد رحلة مرهقة وغريبة امتدت لعدة ساعات حينما اكتشف أنه لن يتمكن من بلوغ هدفه إلا في وقت متأخر من الليل. لقد كان لديه بالفعل سبب وجيه لذلك القلق؛ إذ لاحت في الأفق بوادر عاصفة ثلجية قوية مصحوبة بريح شديدة البرودة؛ كما بدأت علامات الإرهاق والتعب تبدو على الحصان.

وفي تلك اللحظات العصيبة، لمح توموتادا بشكل مفاجئ كوخ صغير بسقف من القش على قمة تل قريب، حيث كانت أشجار الصفصاف تحيطه من كل جانب. وبصعوبة بالغة قام بحث حيوانه المتعب على مواصلة السير باتجاه المنزل، وحينما بلغ هدفه بادر بطرق أبواب المنزل الخارجية التي كانت مغلقة في وجه الريح محدثًا دوي عالي. وعلى إثر ذلك فُتحت الأبواب وظهرت أمامه امرأة مسنة عجوز.

حينما رأت المرأة ذلك الغريب الوسيم على تلك الحالة المزرية بادرته بالحديث

بنبرة تملؤها الشفقة على حاله: "تبًا، كم هذا مثير للشفقة! شاب نبيل يسافر بمفرده في مثل هذا الطقس السيء! ... تفضل بالدخول أيها الشاب".

ترجل توموتادا، وبعد أن قاد حصانه إلى سقيفة تقع في الخلف، دخل الكوخ، حيث رأى رجلًا عجوزًا وفتاة يلتمسان الدفء أمام نار مشتعلة في خشب الخيزران. دعاه أهل الدار بكل احترام إلى الاقتراب من النار من أجل الحصول على بعض الدفء؛ ثم شرع الرجل والمرأة المسنان في تسخين بعض نبيذ الأرز، وإعداد الطعام للمسافر، حينما تفقا يستفسران عن رحلته وما يتعلق بها، بينما اختفت الفتاة في هذه الأثناء خلف الستار.

لاحظ توموتادا تلك الفتاة وتملكته الدهشة من شدة جمالها على الرغم من ملابسها الرثة التي كانت تعد من أسوأ الأنواع، وشعرها الطويل المنسدل المتناثر بدون ترتيب. لقد تعجب كيف يُفترض بفتاة بمثل هذا الجمال الخلاب أن تعيش في مثل هذا المكان البائس الموحش.

قال له الرجل العجوز: "يا سيدي الكريم، إن أقرب قرية تبعد عنا أميلًا عديدة؛ والثلوج تتساقط بكثافة، بينما الريح نفاذة شديدة للغاية، والطريق سيء جدًا. لذلك، فإني أعتقد أنه ليس من الصواب المضي قدمًا ومواصلة رحلتك هذه الليلة تحديدًا حيث أن ذلك الأمر قد يعرضك للخطر. وعلى الرغم من كوننا لا نملك وسائل الراحة حتى نقدمها إليك، كما أن هذا الكوخ غير جدير باستقبال من هو في منزلتك، إلا أنه من الأسلم والأفضل أن تبقى هنا الليلة تحت هذا السقف البائس... كما أننا سنعتني بحصانك جيدًا".

قبل توموتادا هذا الاقتراح المتواضع، بينما كان يخفي سعادته الغامرة بتلك الفرصة التي أتيحت له لرؤية الفتاة الصغيرة من قرب والتعرف عليها. وفي الحال تم وضع وجبة من الحبوب الجافة أمامه، لم تكن بالوجبة التي تليق به ولكنها كانت وفيرة الكمية، بعد ذلك جاءت الفتاة من خلف الستار من أجل تقديم الخمر له.

كانت ترتدي حينها ثوبًا خشنًا ولكن نظيفًا مصنوعًا من الكتان المحلي؛ وكان شعرها الطويل المنسدل مصففًا بعناية. اندهش توموتادا عندما رأى أنه لا يمكن في الواقع مقارنة جمالها مع أي امرأة أخرى رآها من قبل، وخاصة حينما انحنت إلى الأمام من أجل ملء كأسه، حيث شعر بالجمال والرشاقة في كل حركة تأتيها مما أثار دهشته أكثر فأكثر.

حينها بادر الرجل والمرأة المسنان بالاعتذار عنها قائلين: "نعتذر يا سيدي، حيث أن ابنتنا أوياغي(124) Aoyagi قد نشأت هنا وسط الجبال وحيدة تقريبًا؛ وهي لا تعرف شيئًا عن الأساليب الراقية واللطيفة التي من المفترض اتباعها عند خدمة الضيوف. نحن نتوسل إليك من أجل أن تعفو عن حماقتها وجهلها".

اعترض توموتادا على حديثهما قائلًا إنه يعتبر نفسه شخصًا محظوظًا لأن تتم خدمته من قبل فتاة تتمتع بمثل هذا الجمال. لم يستطع الشاب أن يصرف بصره عنها؛ وترك الخمر والطعام أمامه دون أن يتذوقهما؛ على الرغم من رؤيته لتأثير نظرات الإعجاب التي كان يرمق بها الفتاة والتي جعلتها تحمر خجلًا.

عندئذٍ قالت الأم: "يا سيدي الفاضل، على الرغم من أن الطعام الذي أعددناه لك يُعد سيئًا إلا أننا نأمل بشدة أن تتناول ولو القليل من ذلك الطعام والشراب، خاصة مع تنامي شعورك بالبرد القارس نتيجة لتلك الريح الشديدة". وهكذا ومن أجل إرضائهما، بدأ توموتادا يأكل ويشرب قدر استطاعته، لكن سحر الفتاة الخجولة كان ما يزال ينمو بداخله ويسيطر على تفكيره.

حينما هم بتجاذب أطراف الحديث معها وجد كلامها عذبًا حلوًا مثل وجهها. ربما كانت قد نشأت في الجبال بالفعل. ولكن، في هذه الحالة، لا بد أن والديها كانا في وقت ما أشخاصًا ذوي منزلة اجتماعية مرموقة. وذلك لكونها تتحدث وتتحرك مثل فتاة ذات منزلة ومكانة اجتماعية سامية.

فجأة خاطبها بقصيدة - والتي كانت تعد أيضًا سؤالًا في الوقت ذاته - مستوحاة من مشاعر البهجة والسرور التي كانت تختلج في قلبه:

"Tadzunétsuru,

Hana ka toté koso,

Hi wo kurasé,

Akénu ni otoru

Akané sasuran?"

[بينما كنت في طريقي للقيام بزيارة ما، صادفت ما يمكن أن اعتبره زهرة خلابة، ومن أجل ذلك سوف أمضي يومي هنا ... ولكن لماذا يجب أن تتألق بحمرة الخجل تمامًا مثل لون الشفق قبل شروق الشمس؟ هذا بالتأكيد، ما لا أعلم عنه شيئًا (125)].

وبدون تردد، أجابته بهذه الأبيات:

"Izuru hino

Honoméku iro wo

Waga sodé ni

Tsutsumaba asu mo

Kimiya tomaran".

[إذا ما أخفيت بكمي، الشفق الأحمر الباهت، حينما تأتي ساعة الفجر عن عيني سيدي - فربما سيبقى حتى الصباح(126) [.

حينها أدرك توموتادا أنها تبادله الإعجاب؛ ولكنه كان مندهشًا من تلك البراعة الذي عبرت بها عما يجول في خاطرها من خلال إلقاء الشعر، بقدر ما كان سعيدًا بالثقة التي نقلتها إليه تلك الأبيات. لقد أصبح الآن على يقين من أنه لن يتمكن أبدًا مهما طال به الزمن من أن يحلم بمقابلة فتاة أكثر جمالًا وذكاءً من تلك الفتاة الريفية التي كانت أمامه، ناهيك عن الفوز بها، وبدا له أن صوتًا في قلبه أخذ في الصراخ بإلحاح: "لا تفوت الفرصة التي وضعتها الآلهة في طريقك!".

بِوَجِيزِ العِبَارَة، لقد كان مسحورًا، مسحورًا لتلك الدرجة التي جعلته يُفاجئ والديها بطلبه الزواج من ابنتهم بدون أن يقوم بأي خطوة من أجل التمهيد للأمر. وفي ذات الوقت وفي سبيل نيل رضاهم أخبرهم باسمه ونسبه ورتبته عند حاكم نوتو.

ما كان من والدي الفتاة إلا أن انحنوا أمامه مع ترديد العديد من عبارات الدهشة والامتنان. ولكن، بعد لحظات من التردد الواضح، أجاب الأب: "يا سيدي المحترم، أنت شخص ذو منصب رفيع، ومن المرجح أن يتم ترقيتك إلى مناصب أعلى. إن الامتياز الذي تكرمت بتقديمه لنا عظيم للغاية، في الواقع، لا يمكننا التحدث عن مدى امتناننا وسعادتنا بطلبك هذا. لكن فتاتنا تلك، كونها فتاة ريفية حمقاء، ولدت في مجتمع متواضع بسيط، ولم تتلقى أي تدريب أو تعليم من أي نوع، سيكون من غير المناسب السماح لها بأن تصبح زوجة لساموراي نبيل مثلك. حتى الحديث عن مثل

هذا الأمر لا يُعد ملائمًا... ولكن بما أنك وجدت أن تلك الفتاة سوف ترضيك، وتقبلت أخلاقها الريفية وتغاضيت عن فظاظتها الشديدة، لذا فإننا نقدمها لك بكل سرور حتى تصبح وصيفة وخادمة متواضعة عند شخصك الكريم. حيث يمكنك لاحقًا تحديد الوضع المناسب لها وفقًا لرغبتك الجليلة".

قبل حلول الصباح كانت العاصفة قد مرت بسلام. وأشرق النهار عن سماء صافية بلا غيوم. حتى لو أن كم أوياغي قد أخفى عن عيني حبيبها الاحمرار الباهت لذلك الفجر، إلا أنه لم يعد بإمكانه الانتظار. لكنه لم يستطع أيضًا أن يستسلم للرحيل بدون الفتاة والابتعاد عنها، لذلك عندما تم إعداد كل شيء من أجل رحلته، خاطب والديها قائلًا: "على الرغم من أنه قد يبدو من غير اللائق أن أطلب أكثر مما تلقيته بالفعل، إلا أنني يجب أن أتوسل إليكم مرة أخرى أن تتكرموا بمنحي ابنتكم كزوجة. سيكون من الصعب عليّ أن أبتعد عنها الآن؛ وبما أنها على استعداد لمرافقتي يمكنني أن آخذها معي على حالتها هذه إذا ما سمحتما لي. إذا ما تكرمتما ومنحتماني إياها، فسأعتز بكما دائمًا كوالدي... وفي هذه الأثناء، من فضلكما تقبلا هذه الهدية كنوع من أنواع الشكر والامتنان المتواضع على كرم ضيافتكما".

بعد أن قال ذلك، وضع أمام مضيفه المتواضع كيسًا من الريوات الذهبية. لكن الرجل العجوز، بعد أن عبر عن امتنانه بالسجود له، أعاد الهدية بلطف، وقال: "يا سيدي المحترم، لن يكون الذهب ذا فائدة بالنسبة لنا، وربما ستحتاج إليه أثناء رحلتك الطويلة الباردة. هنا لا نشتري شيئًا، وحتى لو أردنا لن يكون بإمكاننا إنفاق الكثير من المال على أنفسنا ... أما الفتاة فقد قدمناها لك بالفعل كهدية مجانية؛ إنها ملك لك، لذلك ليس من الضروري أن تطلب الإذن بأخذها بعيدًا. لقد أعربت عن رغبتها بالفعل في مرافقتك، وأن تظل خادمة لك طالما كنت على استعداد لتحمل وجودها معك. نحن سعداء جدًا بمعرفة أنك تكرمت بقبولها، ونصلي من أجل ألا تكون مصدرًا لأي ازعاج لك. في هذا المكان لن نتمكن من تجهيزها بالملابس المناسبة لها، ناهيك عن المهر. علاوة على ذلك، فإنه من المفترض أن ننفصل عنها قريبًا على أية حال نظرًا لكوننا طاعنان في السن. ولذلك فمن حسن الحظ بالنسبة إلينا أنك تبدي

استعدادك لأخذها معك الآن".

لقد حاول توموتادا إقناع والدي الفتاة بقبول الهدية ولكن بدون جدوى، حينها تأكد أن المال لا يشكل أية أهمية بالنسبة إليهم على الاطلاق. وحينما رأى أنهما كانا حريصين حقًا على وضع مصير ابنتهما بين يديه، قرر أن يأخذها معه رغم عدم إتمام مراسم الزواج.

قام بوضع الفتاة فوق الحصان، وودع والديها مع العديد من عبارات الامتنان والعرفان الصادقة.

أجاب الأب: "يا سيدي المبجل، نحن من يجب أن يقدم لك الشكر والامتنان وليس أنت. كما أننا على يقين من أنك سوف تكون في منتهى اللطف والطيبة مع فتاتنا ولا تعترينا أي مخاوف عليها"...

[يوجد هنا في النص الأصلي باللغة اليابانية ثغرة غريبة في المسار الطبيعي للسرد، والذي يظل السرد بسببه غير متسق بشكل غريب. حيث لم يُذكر أي شيء آخر عن والدة توموتادا، أو عن والدي أوياغي، أو عن داي-ميو نوتو، من الواضح أن الكاتب قد سئم من عمله في هذه المرحلة، وأسرع بالقصة إلى نهايتها المذهلة بإهمال شديد.

أنا غير قادر على تعويض ما قام بإغفاله متعمدًا، أو إصلاح عيوبه في بناء المحتوى الدرامي للقصة؛ لكن يجب أن أمتلك الجرأة وأقوم بإدخال بعض التفاصيل التوضيحية، والتي بدونها لن تتماسك بقية الحكاية..... يبدو أن توموتادا أخذ أوياغي معه إلى كيوتو، وبالتالي وقع في مشكلة ما، لكننا لم نعلم تحديدًا بالمكان الذي عاش فيه الاثنان بعد ذلك.]

... في ذلك الوقت كان لا يُسمح للساموراي بالزواج دون موافقة سيده، ولم يكن

بإمكان توموتادا أن يتوقع الحصول على تلك الموافقة قبل إنجاز مهمته. حيث أنه في مثل تلك الظروف كان لديه العديد من الأسباب التي تثير بداخله مشاعر الخوف والقلق من كون جمال أوياغي قد يجذب لهما انتباهًا غير مرغوب فيه مما قد يسبب لهما العديد من المشاكل، وبالتالي قد يتم إبعادها عنه بوسيلة ما.

لذلك بمجرد بلوغهما كيوتو حاول توموتادا إخفاءها عن أعين الفضوليين. لكن أحد أتباع الحاكم هوسوكاوا رأى أوياغي ذات يوم، واكتشف علاقتها بتوموتادا، وأبلغ داي-ميو بالأمر. ولما كان داي-ميو أميرًا شابًا مولعًا بالوجوه الجميلة، فلقد أصدر أوامره بإحضار الفتاة إلى القصر، وتم نقلها إلى هناك على الفور دون أي مراسم.

حزن توموتادا حزنًا شديدًا لا يمكن وصفه؛ وذلك لإدراكه وتأكده من عجزه التام عن الإقدام على فعل أي شيء. حيث كان في ذلك الوقت مجرد مبعوث متواضع في خدمة داي-ميو يحكم بلاد بعيدة؛ وتحت رحمة داي-ميو آخر أقوى بكثير، والذي لا يمكن بأي حال من الأحوال مخالفة قراراته أو الاعتراض عليها. علاوة على ذلك، أدرك توموتادا أنه قد تصرف بحماقة، وجلب إلى نفسه سوء الحظ، حينما دخل في علاقة سرية وذلك بالمخالفة للعرف السائد في الطبقة العسكرية.

Telegram:@mbooks90

في الوقت الراهن لم يتبقَ أمام توموتادا سوى أمل واحد فقط، أمل يائس، وهو أن يكون لدى أوياغي القدرة، بل والأهم الرغبة في الهروب والفرار معه. وبعد تفكير طويل، قرر أن يبعث إليها برسالة.

ولكن بالطبع أي رسالة خطية قد تجد طريقها إلى يدي داي-ميو؛ لذلك سوف تكون تلك المحاولة - أو المجازفة بمعنى أدق - في منتهى الخطورة، إن إرسال رسالة حب إلى أي سيدة مقيمة في القصر تُعد جريمة لا تغتفر. ولكنه عقد العزم على امتلاك الجرأة والشجاعة الكافية من أجل القيام بتلك المخاطرة، وذلك من خلال إرسال قصيدة صينية.

لذلك قام بكتابة رسالة وسعى بكل الطرق الممكنة من أجل إيصالها إليها.

كانت القصيدة مؤلفة من ثمانية وعشرين حرفًا فقط. ولكن مع تلك الأحرف الثمانية والعشرين تمكن من التعبير بمنتهى العمق عن شغفه ورغبته، والإيحاء بكل ألم وحزن شعر به نتيجة لفقدانه لها.

"Kōshi ō-son gojin wo ou;

Ryokuju namida wo tarété rakin wo hitataru;

Komon hitotabi irité fukaki koto umi no gotoshi;

Koré yori shoro koré rojin"

[عن كثب، يسعى الأمير الشاب الآن خلف فتاة كالجوهرة المشرقة،

حينها تساقطت دموعها الجميلة، حتى بللت ثوبها.

لكن السيد العظيم، بعد أن أصبح مفتونًا بها ذات مرة، أصبحت مشاعره وأشواقه كعمق البحر. ولذلك فإنني وحدي من بقي يائسًا محرومًا، وحدي من بقي ليهيم على الطريق.]

في مساء اليوم التالي لإرسال تلك القصيدة، تم استدعاء توموتادا للمثول أمام الحاكم هوسوكاوا. اشتبه الشاب على الفور في أن شخص ما قد خان ثقته، وتم إيصال الرسال إلى الحاكم؛ حينها لم يكن لديه أدنى أمل في الإفلات من العقوبة الشديدة إذا ما رأى الداي-ميو رسالته.

فكر توموتادا: "في الوقت الراهن من المؤكد أنه سوف يأمر بقتلي، لكن الحياة لا معنى لها على الإطلاق بدون أوياغي. علاوة على ذلك، إذا ما تم إصدار حكم الإعدام بحقي، فيمكنني على الأقل أن أحاول قتل هوسوكاوا". لذلك وضع سيوفه في حزامه، وأسرع إلى القصر.

بمجرد دخوله غرفة الاستقبال الخاصة بالحاكم، رأى هوسوكاوا جالسًا على المنصة، محاطًا بالعديد من الساموراي من ذوي الرتب العالية، يرتدون قبعات وأردية احتفالية. كان الجميع صامتين كالتماثيل؛ وبينما تقدم نحو توموتادا لتقديم التحية والسجود، كان يحيط بالمكان جو من الصمت المشؤوم والثقيل، مثل الهدوء الذي يسبق العاصفة. لكن هوسوكاوا نزل فجأة من على عرشه، وأخذ الشاب من ذراعه وشرع يردد كلمات القصيدة: "Kōhi ō-son gojin wo ou". حينها رفع توموتادا عينيه، فرأى دموعًا رقيقة في أعين الأمير.

قال هوسوكاوا: "لأنكما تحبان بعضكما البعض هذا الحب الكبير، فقد أخذت على عاتقي الإذن بزواجكما نيابة عن قريبي سيد نوتو، وسيتم الآن الاحتفال بزفافكما أمامي. لقد اجتمع الضيوف خصيصًا من أجل الاحتفال، كما تم تجهيز الهدايا".

بإشارة من الحاكم، تم فتح الأبواب المنزلقة التي تحجب خلفها غرفة أخرى، حينها رأى توموتادا العديد من كبار الشخصيات في البلاط، مجتمعين للاحتفال، وأوياغي تنتظره في ملابس العروس... وهكذا تم إعادتها إليه. كان العرس بهيجًا ورائعًا، وقدم الأمير وأفراد أسرته هدايا ثمينة للزوجين الشابين.

أمضا العروسان معًا خمس سنوات في منتهى السعادة. لكن في صباح أحد الأيام، بينما كانت أوياغي تتحدث مع زوجها عن بعض الأمور المنزلية، أطلقت فجأة صرخة ألم شديدة، ثم أصبحت بيضاء للغاية وساكنة. وبعد لحظات قليلة قالت بصوت واهن: " يا زوجي العزيز، أعذرني على الصراخ بهذه الطريقة الوقحة، لكن الألم كان مفاجئًا وقويًا للغاية! لا بد أن اجتماعنا معًا وحياتنا سويًا قد تم من خلال علاقة

كارما ما في حالة وجود سابقة، وأعتقد أن هذه العلاقة السعيدة، سوف تجمعنا معًا مرة أخرى في أكثر من حياة قادمة. لكن فيما يتعلق بوجودنا الحالي، فإن تلك العلاقة قد بلغت نهايتها في الوقت الراهن؛ ونحن على وشك الانفصال. أتوسل إليك، أن تكرر عليّ صلاة النيمبوتسو(127) Nembutsu لأنني أحتضر".

صاح الزوج المذهول: "تبًا! يا لها من تخيلات جامحة وغريبة، أنت تعانين من المرض فقط يا عزيزتي! استلقي لبعض الوقت واستريحي. فسوف يزول الألم".

أجابت: "لا لا! أنا أحتضر! هذه ليست مجرد تخيلات؛ أنا أعرف! ... لم يعد من الضروري التمادي في إخفاء الحقيقة عنك بعد الآن يا زوجي العزيز، فأنا لست إنسانة. إن روحي هي روح شجرة. وقلب الشجرة هو قلبي، وعصارة الصفصاف هي حياتي. في هذه اللحظة القاسية شخص ما يقوم بقطع شجرتي؛ ولهذا السبب يجب أن أموت! ... حتى البكاء أصبح الآن فوق طاقتي! — بسرعة، بسرعة كرر لي النيمبوتسو... بسرعة! ... آه!" ...".

ومع صرخة ألم أخرى، أدارت رأسها الجميل جانبًا، وحاولت إخفاء وجهها خلف كم ردائها. لكن في نفس اللحظة تقريبًا بدا أن جسدها بأكمله قد بدأ في الانهيار بطريقة غريبة، بدأ ينكمش إلى الأسفل، إلى الأسفل، إلى الأسفل، حتى أصبح بمستوى الأرض. أندفع توموتادا من أجل أن ينقذها ويقدم لها العون، ولكن في تلك اللحظة لم يتبقَ هناك شيء يمكنه أن ينقذه أو يعينه! لم يكن هناك على السجادة سوى الثياب الفارغة للمخلوق الجميل، والحلي التي كانت ترتديها في شعرها، لم يعد الجسد موجودًا ... لقد اختفى من الوجود.

أزال توموتادا شعر رأسه، وأخذ النذور البوذية، وأصبح كاهنًا متجولًا. سافر في جميع مقاطعات الإمبراطورية. وفي كل تلك الأماكن المقدسة التي زارها صلى من أجل روح أوياغي. عند وصوله إلى إيتشيزن، أثناء إحدى رحلاته سعى إلى منزل

والدي حبيبته. ولكن عندما وصل إلى مسكنهم في ذلك المكان المنعزل بين التلال، وجد أن الكوخ قد اختفى تمامًا. حيث لم يكن هناك ما يشير حتى إلى المكان الذي كان يتواجد به، باستثناء جذوع ثلاثة أشجار صفصاف، شجرتان عجوزان وشجرة صغيرة، تم قطعها قبل وصوله بوقت طويل.

أقام قبرًا تذكاريًا بجانب جذوع أشجار الصفصاف، منقوشًا عليه العديد من النصوص المقدسة؛ وقام هناك بأداء الكثير من الطقوس البوذية نيابة عن أرواح أوياغي ووالديها.

قصة إيتو نوريسوكي
Itō Norisuké

عاش منذ حوالي ستمائة عام في بلدة أوجي Uji، الكائنة في مقاطعة ياماشيرو Yamashiro، ساموراي شاب يُدعى إيتو تاتيواكي نوريسوكي Norisuké Itō Tatéwaki، أسلافه ينحدرون من عشيرة الهايكه Heiké.

كان إيتو شابًا وسيمًا ذا شخصية ودودة، حاصل على قدر جيد من التعليم، ومتمكنًا من استخدام الأسلحة المختلفة. لكن عائلته كانت فقيرة، ولم يكن لديه من يتكفل به ويرعاه بين النبلاء العسكريين، لذا كانت الفرص المتاحة أمامه ضئيلة. ولقد اتبع أسلوب هادئ للغاية في حياته، وكرس نفسه لدراسة الأدب، (وكما يقول الراوي الياباني) "ليس لديه سوى القمر والريح فقط كأصدقاء".

في إحدى أمسيات الخريف، بينما كان يسير منفردًا بالقرب من التل المسمى كوتوبيكياما Kotobikiyama، صادف أن تجاوز فتاة صغيرة تسير في نفس الطريق. كانت ترتدي ملابس فخمة، ويبدو أنها في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمرها تقريبًا. قام إيتو بإلقاء التحية عليها وتحدث قائلًا: " أيتها الفتاة لقد حان موعد غروب الشمس، وهذا مكان منعزل إلى حدٍ ما. هل لي أن أسألك إذا ما كنت قد فقدت طريقك؟". نظرت إليه بابتسامة مشرقة وأجابته مستنكرة سؤاله: "لا! أنا ميا دزوكاي(128) miya-dzukai أخدم في هذا الحي، وليس أمامي سوى مسافة صغيرة فقط متبقية لأقطعها".

من خلال استخدامها لمرادف "ميا دزوكاي"، عرف إيتو أن الفتاة يجب أن تكون في خدمة أشخاص ذوي رتبة؛ ولكنه في نفس الوقت تملكته الدهشة من تعليقها، حيث لم يتناهَ إلى مسامعه قط أنباء عن أي عائلة متميزة تسكن في تلك المنطقة.

لكنه قال بدون أن يسأل عما يجول بخاطره: "إني في طريق العودة إلى أوجي، حيث يقع منزلي. ربما تسمحين لي بمرافقتك في الطريق، لأن هذا المكان يُعد خاليًا ومنعزلًا للغاية".

شكرته بلباقة، وبدت مسرورة بعرضه؛ وواصلوا السير معًا، وهم يتجاذبون أطراف الحديث بينما كانوا في طريقهم نحو وجهتهم. تحدثت عن الطقس والزهور والفراشات والطيور. كما تناولت بالحديث تلك الزيارة التي قامت بها ذات مرة إلى أوجي، وعن المعالم السياحية الشهيرة في العاصمة، حيث ولدت؛ وهكذا مرت تلك اللحظات وهو في منتهى السرور بينما كان يستمع إلى ثرثرتها العذبة. حتى إذا ما بلغوا منعطف الطريق، ودخلوا قرية صغيرة، مظللة بكثافة تحت غابة من الأشجار الصغيرة.

[هنا يجب أن أتوقف عن السرد قليلًا لأخبرك أنه، دون أن تراها فعليًا، لا يمكنك أن تتخيل مدى الظلام الذي ترزح تحته بعض قرى الريف الياباني حتى في أفضل الأحوال الجوية وأكثرها دفئًا وسطوعًا للشمس. يوجد بالقرب من مدينة طوكيو نفسها العديد من القرى من هذا النوع. على بعد مسافة قصيرة من تلك الأماكن لن ترى منازل، لا شيء سوى غابة صغيرة أو حديقة كبيرة كثيفة من الأشجار دائمة الخضرة. وتعمل تلك الغابة على حماية القرية من العواصف، وكذلك على توفير الأخشاب لمختلف الأغراض، حيث أنها تتكون عادة من أشجار الأرز والخيزران الصغيرة. عادة ما يتم غرس الأشجار على مسافات قريبة للغاية من بعضها البعض مما لا يدع مجال للمرور بين جذوعها، فهي تقف منتصبة كالصواري، وتختلط قممها لتشكل سقفًا يحجب الشمس. يشغل كل كوخ من القش مساحة محدودة في المزرعة، بينما تتشكل الأشجار من حوله مكونة سياجًا طويلًا يبلغ ارتفاعه ضعف ارتفاع المبنى. تحت تلك الأشجار يشعر الشخص وكأن وقت الشفق ممتدًا طوال فترة النهار، حتى في ساعة الظهيرة؛ بينما تظل البيوت، في الصباح أو في المساء، شبه مظللة. ما يجعل الانطباع الأول عن مثل تلك القرية يكاد يكون مثيرًا للقلق، ليست الكآبة الجلية، التي لها سحر غريب خاص بها، ولكن السكون.

قد يكون هناك خمسون أو مائة مسكن، لكنك لا ترى أحدًا؛ ولا تسمع أي صوت سوى تغريد الطيور الخفية، وصياح الديوك بين الحين والآخر، وضجيج حشرة الزيز(129) . ومع ذلك، حتى حشرة الزيز سوف تجد هذه البساتين معتمة للغاية، وحينها سوف تغني بصوت واهن وضعيف، لكونها من محبي الشمس، وهكذا سوف تفضل في النهاية الأشجار خارج القرية.

لقد نسيت أن أذكر لك أنه قد تصل إلى أذنيك في بعض الأحيان صوت مألوف منتظم ومكرر وكأنه صادر من آلة أو عربة غير مرئية، تشك.. تشك.. تشك.. تشك.. تشك ... ولكن هذا الصوت المألوف، حينما يصدر ضمن ذلك الصمت الأخضر الكبير، فإنه يبدو وكأنه تمهيد لحدوث أمر مرعب أو ظهور عفريت مخيف. سبب ذلك الصمت العجيب هو ببساطة مغادرة جميع السكان لمنازلهم.

ذهب جميع اليافعون، باستثناء بعض كبار السن الضعفاء، إلى الحقول المجاورة، النساء يحملن أطفالهن الرضع على ظهورهن؛ بينما أخذ معظم الأطفال طريقهم باتجاه أقرب مدرسة، ربما على مسافة لا تقل عن ميل واحد.

في الواقع، في هذه القرى المعتمة والصامتة، يبدو أن المرء يرى الاستمرارية الغامضة واللامتناهية للأوضاع التي تم تسجيلها ضمن نصوص كوانغ تزي Kwang-Tze: *"إن القدماء الذين كان لديهم غذاء يكفي لجميع سكان العالم لم يرغبوا في أي شيء ولم يتمنوا أي شيء، حيث اكتفى العالم من كل شيء ولم يرد أي شخص أي شيء: وبالتالي لم يفعلوا شيئًا، وهكذا تغيرت جميع الأشياء: كان سكونهم في غاية السوء، حيث كان الناس جميعًا هادئين".*

... كانت القرية مظلمة للغاية عندما بلغها إيتو؛ حيث أن الشمس قد مالت للغروب، بينما حجب ظل الأشجار نور الغسق المتناثر من ضوء الشمس في السماء أثناء

الغروب. قالت الفتاة وهي تشير إلى ممر ضيق يتفرع من الطريق الرئيسي: "الآن يا سيدي، يجب أن أسير في هذا الطريق".

أجابها: "اسمحي لي إذن بمرافقتك إلى المنزل". واستدار معها نحو الممر، وهو يتحسس طريقه بدلًا من أن يراه. لكن الفتاة سرعان ما توقفت أمام بوابة صغيرة، بالكاد كانت مرئية بشكل خافت في ذلك الظلام - بوابة من الأعمدة الخشبية المتشابكة، والتي يمكن من خلالها رؤية أضواء المنزل الكائن خلفها.

قالت: "هذا هو المسكن الموقر الذي أخدم فيه. وبما أنك يا سيدي الكريم قد ابتعدت بالفعل مسافة طويلة عن طريقك، فأرجو أن تتفضل بالدخول من أجل الحصول على بعض الراحة لبرهة من الوقت؟".

وافق إيتو على الفور. في الحقيقة لقد سُر بتلك الدعوة غير الرسمية، حيث كان يرغب في معرفة الأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية الرفيعة الذين اختاروا الإقامة في قرية منعزلة كهذه. كان يعلم أنه في بعض الأحيان قد تنسحب عائلة من ذوي الرتب والجاه بهذه الطريقة من الحياة العامة، بسبب استياء الحكومة منهم أو كنتيجة لمشاكل سياسية، وهكذا صور له خياله أن هذا هو تاريخ قاطني المسكن الذي يقف أمامه.

بعد عبور البوابة التي فتحتها له مرشدته الشابة، وجد نفسه في حديقة كبيرة وغريبة. بالكاد تمكن من تمييز منظر طبيعي مصغر، يجتازه جدول متعرج. قالت الفتاة: "برجاء التكرم بالانتظار لحظة واحدة فقط؛ سوف أذهب لأخطر أصحاب المنزل عن مجيئك الكريم". وأسرعت نحو المنزل. كان منزلًا واسعًا، لكنه بدا قديمًا جدًا، وتم تصميمه على طراز من زمن آخر.

لم تكن الأبواب المنزلقة مغلقة، ولكن تم حجب الجزء الداخلي المضاء بستارة جميلة من الخيزران تمتد على طول واجهة الشرفة. كانت العديد من الظلال تتحرك

خلفها – ظلال نساء، وفجأة امتدت موسيقى الكوتو(130) koto في الليل. كان
Telegram:@mbooks90
العزف رشيقا ولطيفًا لدرجة أنه لم يتمكن من تصديق حواسه. سيطر عليه شعور بالهدوء والسكون ممتزج بالبهجة والسرور بينما كان يستمع لذلك العزف - فرحة ممزوجة بالحزن بطريقة عجيبة... وتساءل كيف يمكن لأي امرأة أن تتعلم العزف على هذا النحو؟ ... وتساءل هل بالفعل من يقوم بالعزف هو امرأة؟ ... وتساءل حتى عما إذا كانت الموسيقى التي يستمع إليها هي بالفعل موسيقى أرضية؟ إذ يبدو أن السحر قد تغلغل إلى داخله وأصبح يجري في دمه بفعل تلك الأنغام.

بالكاد في نفس اللحظة التي توقفت فيها الموسيقى الهادئة وجد إيتو الفتاة الصغيرة ميا دزوكاي تقف بجانبه قائلةً: "يا سيدي، هل تسمح لي أن أطلب منك أن تشرفنا بالدخول". وقادته إلى المدخل، حيث خلع صندله؛ ومن ثم جاءت امرأة عجوز من أجل الترحيب به عند عتبة المنزل، والتي أعتقد الشاب في حينها أنها روجو Rōjo، أو ربة المنزل.

قادته تلك المرأة العجوز عبر العديد من الأماكن إلى غرفة كبيرة جيدة الإضاءة في الجزء الخلفي من المنزل، حيث طلبت منه بمنتهى الاحترام أن يشرفهم بالجلوس في المكان المخصص للضيوف المتميزين. لقد أخذته الدهشة من فخامة الغرفة وجمال زخارفها الغريبة. حينما أحضرت الخادمات المشروبات المنعشة لاحظ أن الأكواب والأواني المختلفة التي تم وضعها أمامه كانت مصنوعة بحرفية عالية ونادرة وأنها باهظة الثمن، ومزينة بتصاميم ونقشات تشير إلى المكانة العالية التي يحوذها مالكها. لقد بدأت تدور في ذهنه العديد من الأسئلة عن الشخص النبيل الذي اختار هذا الملاذ المنعزل، وما الذي حدث تحديدًا وأوحى له بالرغبة في مثل هذه العزلة. لكن الخادمة المسنة قطعت حبل أفكاره فجأة حينما طرحت السؤال: "هل أنا مخطئة في ظني أنك إيتو ساما، من أوجي، إيتو تاتيواكي نوريسوكي؟". حينها انحنى إيتو موافقًا وقد أدهشه مضمون سؤالها لأنه لم يخبر ميا دزوكاي الصغيرة باسمه.

تابعت السيدة قائلة: "أرجو ألا يكون سؤالي غير لائق، حيث أن امرأة عجوز مثلي قد تطرح أسئلة بدافع الفضول بأسلوب غير لائق. عندما أتيت إلى المنزل، اعتقدت أن في إمكاني تمييز وجهك؛ ولم أجرؤ على السؤال عن اسمك إلا للتأكد وإزالة كل الشكوك قبل الخوض في الحديث عن أمور أخرى. لدي أمر هام في تلك اللحظة أود أن أطلعك عليه. لقد كنت تمر بهذه القرية في كثير من الأحيان، ولقد صادف في إحدى تلك المرات ذات صباح أن رأتك فتاتنا هيميجيمي-ساما(131) Himégimi-Sama. ومنذ تلك اللحظة وهي تفكر فيك ليلًا ونهارًا. في الواقع، لقد أرهقها كثرة التفكير حتى تدهورت صحتها وأصابها المرض، وحينها شعرنا بالقلق الشديد بشأنها.

لهذا السبب طرقت جميع السبل من أجل معرفة اسمك ومكان إقامتك؛ وكنت على وشك إرسال رسالة إليك عندما أتيت إلى بوابتنا بشكل غير متوقع مع الخادمة الصغيرة! الآن، ليس من السهل أن أعبر عن مدى سعادتي برؤيتك: يبدو أننا محظوظون للغاية لدرجة يصعب تصديقها! أعتقد حقًا أن هذا اللقاء لا بد أن يكون قد تم بفضل إنموسوبي-نو-كامي Enmusubi-no-Kami، إله إيزومو Izumo العظيم الذي يعقد وثاق الزواج السعيد. والآن بعد أن ساهم الحظ الطيب في توجيه قدرك نحو هنا، ربما لن ترفض - إذا لم تكن هناك عقبة في طريق مثل هذا الارتباط - أن تُسعد قلب هيميجيمي-ساما الخاص بنا".

في هذه اللحظة لم يكن يعرف كيف يمكنه الرد على مثل هذا الطلب. إذا كانت المرأة العجوز قد صدقت القول وذكرت الحقيقة، فلقد تلقى للتو عرضًا استثنائيًا وفرصة غير عادية. فقط تلك العاطفة الصادقة هي التي بإمكانها أن تدفع ابنة عائلة نبيلة وذات شأن إلى البحث عن محبة ساموراي غامض لا يملك أي سلطة، لا يملك أي ثروة أو فرص مستقبلية بمحض إرادتها. ولكن من ناحية أخرى، لم يكن من شيم الرجل النبيل أن يسعى لتحقيق مصالحه الخاصة باستغلال ضعف أنثى. علاوة على ذلك، كانت الظروف المحيطة بذلك الموقف غامضة بشكل مثير للقلق.

ومع ذلك، فإن كيفية رفض ذلك الاقتراح الذي تم تقديمه بشكل غير متوقع كانت ليست بالأمر الهين بالنسبة إليه وحيرته كثيرًا. وبعد صمت قصير أجاب: "لن يكون هناك أي عائق، إذ ليس لدي زوجة أو خطيبة، وليس لدي علاقة مع أي امرأة. لقد عشت حتى الآن مع والديّ، ولم تتم مناقشة موضوع زواجي على الإطلاق. يجب أن تعلمي أنني ساموراي فقير، وليس لدي أي شخص يقوم على رعايتي بين الأشخاص ذوي المناصب والرتب العالية، ولا أرغب في الزواج حتى أجد فرصة لتحسين وضعي. أما فيما يتعلق بعرض الزواج الذي تشرفت به كثيرًا، فلا يسعني إلا أن أقول إنني أجد نفسي في الوقت الراهن غير جدير بلفت انتباه أي عذراء نبيلة".

ابتسمت المرأة العجوز كما لو كانت مسرورة بسماع تلك الكلمات، وأجابت: "إلى أن ترى هيميجيمي-ساما، فمن الأفضل ألا تتخذ أي قرار. إذ ربما لن يراودك الشعور بأي تردد بعد أن تراها. أرجو أن تتفضل الآن وتأتي معي حتى يمكنني أن أقدمك إليها".

قادته إلى غرفة ضيوف أخرى أكبر، حيث تم الانتهاء من جميع الترتيبات الخاصة بالاحتفال، وبعد أن أوضحت له مكان جلوسه كضيف الشرف، تركته للحظة بمفرده. ثم عادت برفقة هيميجيمي-سما؛ ومنذ اللحظة الأولى التي وقعت فيه عيناه على السيدة الشابة، شعر إيتو مرة أخرى بنفس تلك الإثارة الغريبة الممتزجة بالدهشة والبهجة التي أصابته في الحديقة وهو يستمع إلى موسيقى الكوتو.

لم يحلم قط بكائن بمثل هذا الجمال والروعة. بدا النور يشع مع حضورها، ويشرق من خلال ثيابها، مثل ضوء القمر حينما يتسلل من خلال السحب الناعمة، يتمايل حولها شعرها المنسدل وهي تتحرك، مثل أغصان الصفصاف المتدلية التي تحركها نسائم الربيع، كانت شفتاها مثل أزهار الخوخ المرشوشة بندى الصباح. لقد أصابته الحيرة حين رآها وسأل نفسه ما إذا كان ينظر إلى شخص أمانو-كاوارا-نو-أوري-هيمي Amano-kawara-no-Ori-Himé نفسها، عذراء النسيج التي تسكن بجوار نهر السماء اللامع.

ابتسمت المرأة المسنة، والتفتت إلى الفتاة الجميلة التي بقيت عاجزة عن الكلام، بعينين شرقيتين وخدين متوردين، وقالت لها: "انظري يا فتاتي! - في اللحظة التي لم يكن من الممكن أن نأمل فيها حدوث مثل ذلك الأمر، فإن الشخص الذي كنت تتمنين وترغبين في مقابلته قد جاء إليكِ بمحض إرادته. ومن حسن الحظ أن ذلك الأمر لم يكن من الممكن أن يحدث إلا بإرادة الآلهة التي في السماء. إن مجرد التفكير فيما حدث يجعلني أبكي من فرط السعادة". وبالفعل بدأت في البكاء بصوت عالٍ. وتابعت وهي تمسح دموعها بكمها: "ولكن الآن، لم يتبقَ سوى أن تتقدما بعهودكما لبعضكما البعض، ما لم يبدِ أحدكما عدم رغبته في ذلك الأمر، وهو ما أشك فيه، وأن تشاركا بعد ذلك في وليمة زفافكما".

لم يجب إيتو بكلمة، حيث أن رؤية هذه الفتاة التي تمثل أمامه والتي لا تضاهيها أية رؤية أخرى قد خدرت إرادته وربطت لسانه. دخلت الخادمات حاملات أطباقًا ونبيذًا، وأقيمت وليمة العرس أمام الزوجين، وتم تقديم عهود الزواج. مع ذلك بقي إيتو صامتًا كما لو كان في غيبوبة، روعة المغامرة والدهشة من جمال العروس الأخاذ ما زالا يحيرانه ويسيطران على تفكيره. لقد ملأت قلبه فرحة لم يعرفها من قبل، مثل الصمت العظيم. لكنه استعاد تدريجيًا هدوئه المعتاد. وبعد ذلك وجد نفسه قادرًا على التحدث دون حرج.

بدأت تأخذه الجرأة في الحديث تحت تأثير الخمر، بأسلوب تستنكره نفسه ولكن بطريقة مرحة، حيث عبر عن الشكوك والمخاوف التي شغلت تفكيره وأرهقته. وفي هذه الأثناء ظلت العروس ساكنة مثل ضوء القمر، لا ترفع عينيها أبدًا، ولا تظهر على ملامحها أي ردة فعل سوى حمرة خديها وابتسامة رقيقة حينما يخاطبها.

قال للخادمة المسنة: "لقد مررت في كثير من الأحيان بهذه القرية خلال نزهاتي التي كنت أقوم بها بمفردي، ولم يصل إلى علمي مطلقًا وجود مثل هذا المكان المحترم. ومنذ دخولي إلى هنا، كنت أتساءل لماذا اختارت هذه الأسرة النبيلة مكانًا منعزلًا كهذا من أجل الإقامة ... الآن بعد أن قدمنا أنا وهيميجيمي-ساما عهودنا

لبعضنا البعض وأصبحنا ملتزمين بها، يبدو لي شيئًا غريبًا كوني لا أعرف حتى هذه اللحظة لقب عائلتها الموقرة".

عند هذه الكلمات، مر ظل من الكآبة على وجه المرأة العجوز اللطيف؛ وكذلك على وجه العروس، التي لم تتحدث حتى هذه اللحظة إلا بالكاد، إذ أصبح وجهها شاحبًا، وبدا أنها أصيبت بالهم والقلق بشكل مؤلم.

خيم الصمت على المكان لعدة لحظات حتى أخذت المرأة المسنة دفة الحديث مرة أخرى وقالت: "سيكون من الصعب أن نخفي سرنا عنك لفترة أطول؛ وأعتقد أنه، تحت أي ظرف يجب أن تكون على علم ودراية بجميع الحقائق، الآن بعد أن أصبحت واحدًا منا. فاعلم إذن يا سيد إيتو أن عروسك هي ابنة شيجيهيرا كيو -Shigéhira Kyō، سان مي تشوجو San-mi Chüjō العظيم سيئ الحظ".

عند تلك الكلمات - "شيجيهيرا-كيو، سان-مي تشوجو" - شعر الساموراي الشاب بقشعريرة مثل الجليد تسري في كل عروقه. لقد تحول شيجيهيرا كيو، الجنرال ورجل الدولة العظيم من الهايكه، إلى غبار منذ أزمنة غابرة وظل على تلك الحالة لعدة قرون. وفجأة أدرك أن كل شيء من حوله، الغرفة والأضواء ومأدبة الطعام ما هو إلا حلمًا من الماضي السحيق، إن الأشكال التي تتهادى أمامه لم تكن أشخاصًا، بل مجرد ظلال أشخاص قد لقوا حتفهم منذ زمن بعيد.

ولكن ما هي سوى لحظات حتى مرت تلك القشعريرة الباردة، وعاد السحر مرة أخرى، بل وبدأ يتعمق أكثر وأكثر من حوله وبداخله، كما بدأ ذلك الشعور بالخوف يتلاشى ويختفي تمامًا. وعلى الرغم من أن عروسه كانت قد جاءت إليه من يومي(132) Yomi – من بين ينابيع الموت الصفراء(133) - إلا أنها استحوذت على قلبه بِكُلّ مَعْنَى الكَلِمَة.

كان يعلم أن من يتزوج شبحًا يجب أن يصبح شبحًا، ومع ذلك فهو يدرك أنه على أتم الاستعداد للموت، ليس مرة واحدة، بل العديد من المرات، بدلًا من أن يخون ذلك العهد الذي قطعه على نفسه لها بكلمة أو نظرة واحدة قد تجلب طيف حزن أو ألم على جبين هذا الوهم الجميل الذي أمامه.

لم يكن لديه ريبة أو شك بشأن ذلك الولع وتلك العاطفة التي عرضت عليه، لقد تم إخباره بالحقيقة بينما كان من الممكن بل من الأفضل الوصول لأي هدف سيء أو بغيض عن طريق الخداع والإيهام. لكن جميع تلك الأفكار والمشاعر مرت عليه كلمح البصر، مما جعله عاقد العزم على قبول الوضع الغريب كما تم تقديمه له تمامًا، وبالتالي التصرف وفقًا لما كان سيفعل إذا ما تم اختياره من قبل ابنة شيجيهيرا في سنوات جو-إي Jü-ei.

صاح قائلًا: "تبًا، من المؤسف سماع ذلك! لقد بلغ مسامعي المصير القاسي للقائد المهيب شيجيهيرا".

أجابت المرأة المسنة وهي تذرف الدموع بينما كانت تتحدث: "أجل؛ لقد كان بالفعل مصيرًا قاسيًا. كما تعلم، لقد تم قتل حصانه بسهم، ومن ثم سقط عليه، وعندما طلب المساعدة، تركه أولئك الذين كانوا يعيشون على فضله حينما احتاج إليهم. وهكذا تم أسره وإرساله إلى كاماكورا Kamakura، حيث عاملوه هناك بشكل مهين مخز، وفي النهاية قتلوه.(134)

كانت زوجته وطفلته - هذه السيدة العزيزة التي معنا هنا - مختبئتين؛ حيث جرى البحث في كل مكان عن عشيرة الهايكه وقتلهم. عندما وصل إلينا خبر وفاة السيد شيجيهيرا، كان الألم أكبر من أن تتحمله الأم، وهكذا لم تجد تلك الطفلة من يعتني بها ويرعاها سواي - حيث أن جميع أفراد عائلتها قد هلكوا أو اختفوا. كان عمرها في ذلك الوقت خمس سنوات فقط. لقد كنت حينها مرضعتها، وفعلت ما بوسعي من

أجلها. عام بعد عام كنا نتجول وننتقل من مكان إلى آخر، متنكرتين بزي الحجيج... ولكن هذا ليس الوقت المناسب على الإطلاق لحكايات الحزن والألم تلك".

قالت المربية وهي تمسح دموعها: "أستميحك عذرًا يا سيدي، وأرجو المعذرة لذلك القلب الأحمق الخاص بامرأة مسنة لا تستطيع أن تنسى ماضي. ألا ترى! تلك السيدة الصغيرة التي قمت برعايتها قد أصبحت الآن هيميجيمي-ساما بالفعل! إذا ما كنا نعيش في تلك الأيام الطيبة للإمبراطور تاكاكورا، لأختلف مصيرنا تمامًا عما إدخرته لنا الأيام؟ ... لكنها في النهاية حصلت على الزوج الذي أرادته. تلك هي السعادة الكبرى ... الوقت يداهمنا ولقد تأخرنا بالفعل ... تم تجهيز غرفة الزفاف لكما، ويجب الآن أن أترككما لتعتنيا ببعضكما البعض حتى الصباح".

نهضت، وأزاحت الحواجز التي تفصل غرفة الضيوف عن الغرفة المجاورة، وأرشدتهما إلى غرفة نومهما. وبعد ذلك، انسحبت وهي تردد الكثير من كلمات التهاني والسرور، وبقي إيتو وحده مع عروسه. وبينما هما مضطجعان وينعمان بالسكينة معًا، بادر إيتو بسؤالها: "أخبريني يا حبيبتي، متى رغبتي في أن أصبح زوجًا لك لأول مرة؟".

(كل شيء يبدو حقيقيًا جدًا لدرجة أنه توقف تقريبًا عن التفكير في الوهم المنسوج من حوله).

أجابت بصوت يشبه صوت البلبل: "يا سيدي المبجل وزوجي العزيز، لقد رأيتك للمرة الأولى في معبد إيشييياما Ishiyama، حين ذهبت من أجل زيارته مع أمي بالرضاعة. منذ تلك الساعة وتلك اللحظة تحديدًا وبسبب رؤيتك فلقد تغير العالم بالنسبة إلي تمامًا. لكنك لن تتذكر ذلك لكون لقاءنا لم يجرِ في حياتك الحالية، بل حدث منذ زمن بعيد للغاية. ومنذ ذلك الوقت مررت أنت بالعديد من الوفيات والولادات، وكان لك العديد من الأجسام الجميلة. لكنني بقيت دائمًا كما تراني الآن، لم أتمكن من الحصول على جسد آخر، ولا الدخول إلى حالة أخرى من الوجود،

بسبب رغبتي الكبيرة في الارتباط بك. يا سيدي وزوجي العزيز، لقد انتظرتك عبر الأجيال العديدة من الرجال".

شعر العريس بالخوف الشديد عند سماع هذه الكلمات الغريبة، لكنه في تلك اللحظة تحديدًا لم يرغب في أي شيء في الحياة، أو في كل حيواته القادمة، أكثر من الشعور بذراعيها يضمان جسده، بينما يستمع إلى ذلك الغنج والدلال في نبرة صوتها.

لم تطل تلك اللحظات حتى دوى رنين جرس المعبد معلنًا قدوم الفجر. وحينما بدأت الطيور في الغناء، تحرك نسيم الصباح جاعلًا الأشجار تتهامس فيما بينها. فجأة، قامت المربية العجوز بفتح الحواجز المنزلقة في غرفة الزفاف، وصرخت قائلة: "يا أطفالي، حان وقت الانفصال! فمع ضوء النهار يجب ألا تكونا معًا ولو للحظة واحدة. إن تواجدكما معًا بعد صعود الشمس أمر مشؤوم وقد يؤدي إلى كارثة! لذا يجب أن تودعوا بعضكم البعض الآن".

وبدون كلمة واحدة، استعد إيتو للمغادرة. لقد فهم بشكل مبهم التحذير الذي صدر من تلك المرأة العجوز، واستسلم تمامًا لقدره حيث لم تعد إرادته ملكًا له. لقد كان يرغب فقط في إرضاء عروسه الوهمية.

وضعت بين يديه سوزوري suzuri صغير، أو حجر حبر(135) ، منحوتًا بشكل غريب، وقالت: "إن سيدي وزوجي الشاب شخص مثقف؛ لذلك ربما لن يحتقر هذه الهدية الصغيرة. إنها ذات طراز غريب لأنها قديمة، وقد تم منحها لوالدي بشكل مهيب تكريمًا له من قبل الإمبراطور تاكاكورا. ولهذا السبب فقط، اعتقدت أنها شيء ثمين".

في المقابل، طلب منها إيتو أن تقبل منه كذكرى الكوغاي(136) kōgai الملحق

بسيفه والمزخرف بمشغولات من الفضة والذهب تصور زهور البرقوق وطائر العندليب.

ثم جاءت ميا دزوكاي الصغيرة لإرشاده عبر الحديقة، بينما رافقته عروسه وأمها بالرضاعة إلى عتبة المنزل.

وبينما كان يستدير عند أسفل الدرجات ليلقي تحية الوداع، قالت المرأة العجوز: "سنلتقي مرة أخرى في عام الخنزير(137) القادم، في نفس الساعة من نفس اليوم من نفس الشهر الذي أتيت فيه إلى هنا. وبما أن العام الحالي هو عام النمر(138) ، فسوف يتعين عليك الانتظار لمدة عشر سنوات. ولكن لأسباب لا ينبغي لي أن أذكرها، لن تتمكن من مقابلتنا مرة أخرى في هذا المكان، سوف نذهب إلى منطقة بالقرب من كيوتو، حيث يسكن الإمبراطور الطيب تاكاكورا وآباؤنا والعديد من شعبنا. سوف يبتهج كل الهايكه بقدومك. سوف نرسل لك كاغو(139) kago في اليوم المحدد".

كانت النجوم مازالت تتوهج في السماء فوق القرية حينما مر إيتو بالبوابة، ولكن عند وصوله إلى الطريق المفتوح رأى تباشير الصباح وقد بدأت تشرق خلف مساحات واسعة وفراسخ عديدة من الحقول الصامتة. كان يحمل في حضنه هدية عروسه، بينما لم يفارق أذنيه سحر صوتها منذ أصغى إليه أول مرة. ولولا التذكار الذي لمسه بأصابعه المرتابة لأقنع نفسه بأن ذكريات الليل هي مجرد ذكريات أحلام حدثت خلال نومه، وأن حياته لا تزال ملكا له.

لكن اليقين بأنه قد حكم بالفعل على نفسه بالهلاك لم يثر لديه أدنى قدر من الندم، لم يكن يزعجه سوى ألم الفراق، والتفكير في العديد والكثير من الفصول التي يجب أن تمر قبل أن يتجدد الوهم بالنسبة له. عشر سنوات! كيف سيتحمل الساعات الطوال خلال كل يوم يمر عليه طوال تلك السنوات العشر!

لم ولن يدرك أبدًا لغز تأجيل اللقاء الثاني بينهما لمدة عشر سنوات، حيث لم يكن يأمل في معرفة السبب وحل لغز هذا التأخير؛ فالآلهة وحدها هي من تطلع على الأساليب السرية للموتى.

في كثير من الأحيان، قام إيتو خلال جولاته المنفردة بزيارة القرية في كوتوبيكياما Kotobikiyama، على أمل غامض من أجل إدراك لمحة أخرى من الماضي. ولكن لم يتمكن مرة أخرى، ليلًا أو نهارًا، من العثور على البوابة الريفية في الممر المظلل، لم يتمكن أبدًا مرة أخرى من رؤية تلك الهيئة الغريبة لميا دزوكاي الصغيرة، التي تمشي بمفردها في وميض شمس الغروب.

ظن أهل القرية حينما حرص على استجوابهم والاستفسار منهم بمنتهى الدقة أنه شخص مسحور. قالوا إنه لم يسكن في تلك المنطقة أي شخص ذي جاه أو مكانة اجتماعية مرموقة على الإطلاق؛ ولم يكن هناك قط في الجوار أي حديقة من هذا القبيل كما وصفها. ولكن كان هناك ذات يوم معبد بوذي عظيم بالقرب من المكان الذي تحدث عنه، ولا يزال بالإمكان مشاهدة بعض شواهد القبور داخل مقبرة المعبد. ولقد اكتشف إيتو بالفعل الآثار وسط غابة كثيفة. كانت القبور ذات شكل صيني قديم، مغطاة بالطحالب والأشنات، لذلك لم يعد من الممكن فك رموز الأحرف التي تم نحتها عليها.

لم يجرؤ إيتو على التحدث عن مغامرته مع أحد. لكن الأصدقاء والأقارب سرعان ما لاحظوا تغيرًا كبيرًا في مظهره وسلوكه. يومًا بعد يوم، تراءى للجميع أنه أصبح أكثر شحوبًا ونحافة. وعلى الرغم من أن الأطباء أعلنوا أنه لا يعاني من أي مرض جسدي، إلا أنه كان يبدو كالشبح، ويتحرك مثل الظل.

أصبح شخصًا منعزلًا منزوٍ في ركن ضيق داخل عقله مع أفكاره، حيث بدا غير مبالٍ بجميع تلك الأمور التي منحته المتعة في السابق - حتى دراساته في الأدب التي كان يأمل في الحصول على التفوق والتميز بها لم يعد يعيرها أدنى اهتمام.

وحينما اعتقدت أمه أن الزواج قد يُنعش ويُحيي طموحه السابق، ويُعيد إليه الاهتمام بالحياة – أخبرها أنه قطع عهدًا على نفسه ألا يتزوج امرأة على قيد الحياة أبدًا. وهكذا توالت الأشهر والسنوات.

أخيرًا جاء عام الخنزير، وموسم الخريف تحديدًا؛ ولكن إيتو لم يعد لديه القدرة على القيام بتلك النزهات المنفردة التي كان يحبها. ولم يستطع حتى النهوض من على مضجعه. كانت حياته تتدهور وتضمحل، وعلى الرغم من ذلك لم يتمكن أحد من معرفة السبب. كان ينام بعمق ولفترات طويلة حتى أن البعض توهم أنه قد وافته المنية وليس نائمًا.

في إحدى الأمسيات المضيئة، نهض من ذلك النوم العجيب مذعورًا خائفًا على صوت طفلة، حينها رأى بجانب سريره ميا دزوكاي الصغيرة التي أرشدته، قبل عشر سنوات، إلى بوابة الحديقة المختفية. في البداية قامت بتحيته، وقالت بينما ارتسمت على وجهها ابتسامة لطيفة: "من المفترض أن أخبرك أنه سيتم استقبالك الليلة في أوهارا Ōhara، بالقرب من كيوتو، حيث يقع المنزل الجديد، وأنه قد تم إرسال كاغو لك". ومن ثم اختفت في الفراغ كما ظهرت منه.

عرف إيتو أنه تم استدعاؤه بعيدًا عن ضوء الشمس؛ لكن الرسالة أسعدته لدرجة أنه وجد القوة للجلوس والتواصل مع والدته. حيث روى لها قصة زفافه لأول مرة، وأراها حجر الحبر الذي تم إعطاؤه له. وطلب أن يتم وضعه معه داخل التابوت، ثم مات.

وبالفعل دُفن حجر الحبر معه. لكن قبل مراسم الدفن تم فحصها من قبل بعض الخبراء، الذين قالوا إنها صنعت في فترة جو-آن Jō-an (عام 1169 من الميلاد)، وأنها تحمل ختم فنان عاش في زمن الإمبراطور تاكاكورا.

المصطلحات

داي-ميو daimyō: الحكام الإقطاعيون في اليابان، الذين تمتعوا بنفوذ كبير من القرن العاشر إلى منتصف القرن التاسع عشر.

فودو Fudō: إله البوذية اليابانية الباطنية(140) .

هاراكيري harakiri: شكل من أشكال طقوس الانتحار الياباني، يتم عن طريق بقر أو شج البطن، والمعروف أكثر باسم سيبوكو seppuku.

هاتاموتو hatamoto: ساموراي من الرتبة العليا يتم توظيفه مباشرة من قبل شوغون(141) shōguns اليابان الإقطاعية.

جينريكيشا Jinrikisha: عربة ذات عجلتين يجرها رجل وتعمل عادة كعربة أجرة صغيرة.

كايميو kaimyō: الاسم الذي يُطلق على الرهبان والراهبات البوذيين اليابانيين عند دخولهم الحياة الدينية.

كاكيمونو kakémono: مخطوطة أو لوحة شن يابانية معلقة تستخدم لعرض الرسومات والنقوش والتصميمات التي يتم تثبيتها عادةً على حواف من نسيج حرير على ظهر مرن، بحيث يمكن لفها للتخزين.

كوتو koto: آلة موسيقى وترية يابانية.

كوروما kuruma: نوع من أنواع المركبة أو العربة، وهي تعادل في يوميات هيرن العربة اليدوية أو جينريكيشا Jinrikisha.

كوان kowan: تابوت.

كوانون Kwannon: إلهة الرحمة اليابانية.

روكورو كوبي Rokuro-Kubi: عفريت ياباني يأخذ شكل الإنسان ويمكنه مد رقبته أو فصل رأسه، وبالتالي يمكن لرأسه بعد ذلك التحرك بشكل مستقل.

ريو ryō: وحدة العملة المستخدمة في اليابان قبل عصر ميجي.

سين sen: عملة يابانية تساوي جزءًا من مائة ين، وتعد وحدة العملة الأساسية.

ياشيكي yashiki: مسكن أو ملكية أحد النبلاء.

يوكاتا yukata: كيمونو خفيف الوزن، يُرتدى في الصيف ويُصنع تقليديًا من خامة القطن لإعطاء شعور البرودة في الصيف ويكون رخيص الثمن بالمقارنة مع الكيمونو التقليدي الذي عادة ما يصنع من الحرير. في كثير من الأحيان يُصبغ باللون الأزرق النيلي.

Notes

[←1]

كيتسونة تعني الثعلب باليابانية. وهو عبارة عن حيوان في الفلكلور الياباني. تصورها القصص على أنها مخلوقات ذكية وتمتلك مقدرات سحرية تزيد من عمرها وحكمتها، ومن أهم هذه الإمكانيات هي القدرة على التمثل بصورة البشر. على الرغم من أن البعض يصف الكيتسونة بالمكر والاحتيال إلا أن البعض الآخر يقدسها ويحترمها على أنها صديق أو محبوب. تذكر بعض الأساطير أن الإنسان عاش مع الكيتسونة بتناغم في اليابان القديمة.

[←2]

غوان يين هي إلهة بوداسف في البوذية. وتعرف بكونها إلهة العطف والطيبة والرحمة وتلقب بالإلهة الرحيمة. يؤمن بعض البوذيين بأنها تأخذ أتباعها في قلب زهرة لوتس وترسلهم نحو الأرض النقية. وعرفت أيضًا بكونها التي تسمع صوت المحتاجين في هذا العالم وأنها تساعد الذين يصلون لها بمعجزاتها. يوجد لها عدة معابد في اليابان والصين.

[←3]

بمعنى: "إنه رائع، هل يمكنني أن أحصل على المزيد".

[←4]

واغاشي هو اسم يطلق على الحلويات اليابانية التي تُصنع بالطريقة التقليدية والتي ازدهرت صناعتها في جميع أرجاء اليابان منذ القدم. وتتكون الواغاشي بشكل عام من دقيق الأرز والنشا مثل دقيق كودزو، والفاصوليا الحمراء المحلاة وفول الصويا والسكر. ولا تحتوي إطلاقًا على المنتجات الحيوانية، وربما قد يتم استعمال الزيت بشكل قليل جدًا.

[←5]

يوكاتا هو أحد أنواع الملابس اليابانية التقليدية التي عادة ما تلبس في فصل الصيف، في أكثر الأحيان أثناء عروض الألعاب النارية أو مهرجان بون نظرًا لإعطاءه شعور بالبرودة في حر الصيف. يعد اليوكاتا هو اللباس اللارسمي الذي يرتدى في اللقاءات العادية أو بعد الخروج من

الحمام على عكس الكيمونو الذي غالبًا ما يلبس في المناسبات الرسمية كحفلات الزواج. كلمة يوكاتا تعني «لباس الحمام» إلا أن استعماله لا يقتصر فقط على الحمامات بل يتعدى ذلك إلى طيف واسع من الاستخدامات داخل وخارج المنزل.

[←6]

جرس الريح: هو مجموعة من القطع الرنانة التي تحركها الريح فتطلق صوتًا جميلًا. لجرس الرياح عدة أشكال وهي تتألف من مجموعة من القطع الصغيرة من المعدن، أو الزجاج، أو الفخار، أو الخيزران، أو الصدف، أو الخشب التي ترن عندما تهب عليها الرياح نتيجة اصطدامها ببعضها البعض.

[←7]

إكرامية صغيرة من المال، يقدمها النزيل دائمًا إلى الفندق بعد وقت قصير من وصوله.

[←8]

دوغيزا هو أحد عناصر الآداب اليابانية التقليدية التي تنطوي على الركوع مباشرة على الأرض والانحناء للسجود أثناء لمس الرأس على الأرض. يتم استخدامه لإظهار الاحترام لشخص ذي مكانة أعلى، أو كاعتذار عميق أو للتعبير عن الرغبة في الحصول على خدمة من الشخص المذكور.

[←9]

أوتاغاوا كونيسادا 12 - 1786 يناير 1865)، المعروف أيضًا باسم أوتاغاوا تويوكوني الثالث، كان فنانًا يابانيًا في مجال أوكييو-إي. يُعتبر المصمم الأكثر شهرة وإنتاجًا ونجاحًا تجاريًا لمطبوعات ukiyo-e الخشبية في اليابان في القرن التاسع عشر. وفي عصره، تجاوزت سمعته بكثير سمعة معاصريه.

[←10]

عربة يابانية؛ أو مركبة من أي نوع، وهي وسيلة نقل تعمل بالطاقة البشرية حيث يجر شخص عربة ذات عجلتين يتم استيعاب شخص أو شخصين آخرين عليها.

[←11]

كوماموتو (كوماموتو-شي) هي عاصمة محافظة كوماموتو في جزيرة كيوشو، باليابان. توجد بها قلعة كوماموتو المنيعة ذات التصميمات الدفاعية العديدة المبتكرة والتي تم بناءها في القرن السادس عشر.

[←12]

أوراشيما تارو هي أسطورة يابانية حول صياد أسماك يقوم بإنقاذ سلحفاة وعليه فإنه يكافئ بزيارة لقصر التنين ريوغوجو. ظهر اسم أوراشيما تارو للمرة الأولى في القرن الخامس عشر في فترة موروماتشي في كتاب أوتوغيزوشي ولكن القصة في الواقع هي أقدم من ذلك، حيث يقال إنها تعود إلى القرن الثامن.

[←13]

ويليام جورج أستون (9 أبريل 22 - 1841 نوفمبر 1911) دبلوماسيًا أنجلو أيرلنديًا ومؤلفًا وباحثًا وخبيرًا في لغة وتاريخ اليابان وكوريا. قدم أستون مساهمة كبيرة في الدراسات الأولية للغة اليابانية وتاريخ اليابان خلال القرن التاسع عشر جنبًا إلى جنب مع إرنست ماسون ساتو وباسيل هول تشامبرلين.

[←14]

باسيل هول تشامبرلين (18 أكتوبر 15 - 1850 فبراير 1935) كان أستاذًا في اللغة اليابانية بجامعة طوكيو الإمبراطورية وهو أحد العلماء البريطانيين النشطاء في الثقافة والتاريخ الياباني أثناء أواخر القرن 19.

[←15]

ريوجين "إله التنين"، كان إله البحر الوصي في الأساطير اليابانية. في العديد من الإصدارات، كانت لديه القدرة على التحول إلى شكل بشري. اعتقد الكثيرون أن لديه معرفة بالطب واعتبره البعض جالب المطر والرعد.

[←16]

معبد كاناغاوا يقع في محافظة كاناغاوا إحدى محافظات اليابان والتي تقع في جنوب منطقة

كانتو، جزيرة هونشو. عاصمتها مدينة يوكوهاما. تعد محافظة كاناغاوا جزءا من منطقة طوكيو الكبرى.

[←17]

الميكادو هو إمبراطور دولة اليابان، وتعني حرفيا «سيادة السماء» ويشار إليه رسميا باسم ميكادو، وهو بخلاف كونه الإمبراطور فهو قائد الدولة، وعميد العائلة الإمبراطورية اليابانية، كما أنه أعلى سلطة لديانة الشينتو، ويعتبر بحسب تعريف الدستور الياباني الحديث على أنه «رمز للدولة ولوحدة الشعب» ولا تتعدى سلطاته الدور الرمزي في نظام الملكية الدستورية المتبع في اليابان في وقتنا الحالي.

[←18]

الإمبراطور يورياكو هو الإمبراطور الحادي والعشرون في اليابان حسب قائمة أباطرة اليابان. لا يوجد أي تواريخ محددة عن فترة حياته أو حكَمه. ولكن يعتقد أن فترة حكمه كانت في أواخر القرن الخامس الميلادي.

[←19]

الشخص المسئول عن جر عربة الجينريكيشا وتوجيهها.

[←20]

عملة يابانية، جزء من مائة من الين الياباني، تُستخدم الآن فقط في أسعار معينة، كما هو الحال في العملات الأجنبية.

[←21]

حجر كريم بنفسجي لونه مركب من حمرة وردية وزرقاء سماوية وهو يشمل عدة أنواع من الكوارتز البنفسجي الذي غالبًا ما يستخدم في صناعة المجوهرات.

[←22]

مكان للسلام والسعادة التامة، مثل الجنة. في البوذية، النيرفانا هي أعلى حالة يمكن لأي شخص أن يصل إليها، وهي حالة من التنوير، وتعني اختفاء رغبات الشخص ومعاناته الفردية. أصل الكلمة يتعلق بالتنوير الديني؛ إنها تأتي من اللغة السنسكريتية التي تعني "انقراض، اختفاء"

الفرد إلى المجموعة. إن تحقيق النيرفانا يعني اختفاء المشاعر الأرضية مثل المعاناة والرغبة. غالبًا ما يتم استخدامها بشكل عرضي لتعني أي مكان للسعادة، مثل إذا كنت تحب الشوكولاتة، فإن الذهاب إلى حديقة هيرشي سيكون بمثابة السعادة القصوى. من ناحية أخرى، إذا كنت راهبًا بوذيًا، فقد يستغرق الأمر سنوات من التأمل للوصول إلى النيرفانا.

[←23]

منتصف الصيف.

[←24]

الإمبراطور ميجي (3 نوفمبر 30 - 1852 يوليو 1912) هو إمبراطور اليابان ذو الترتيب 122 وفقًا لترتيب الحكم التقليدي، حكم بدءًا من 3 فبراير 1867 حتى وفاته.

بعد وفاة الإمبراطور ميجي ظهرت عادة جديدة في إعطاء الإمبراطور المتوفي اسم الفترة التي حكم فيها، وبما أن الإمبراطور ميجي قد حكم في فترة ميجي لذلك أعطي هذا الاسم. خلال هذه الفترة حدثت تحولات جذرية، سياسية واجتماعية قادت البلاد إلى نهضة في جميع المجالات.

[←25]

الشَقشَقَة هي صوت العصافير.

[←26]

إزومو كانت المقاطعة اليابانية التي تقابل اليوم الجزء الجنوبي من محافظة شيمانه في منطقة تشوغوكو. حيث كانت من أهم المناطق في اليابان القديمة التي ظهر فيها القوى السياسية. ظهرت قوة إزمو السياسية خلال القرن الرابع قبل الميلاد، ولكنها اضمحلت مع توسع قوة مقاطعة ياماتو التي اعتمدت على الكهنوت.

[←27]

كيوتو هي مدينة في اليابان. عاصمة «محافظة كيوتو» الحضرية، تقع جنوبيّ جزيرة "هونشو" وعلى مقربة من «أوساكا». تعتبر من أعرق المدن في اليابان، احتضنت البلاط الإمبراطوري لأكثر من ألف عام.

[←28]

الروماجي هو مصطلح يُقصد به رومنة اليابانيّة أي كتابة اليابانيّة بالحروف اللاتينيّة. يستخدم الروماجي بغرض تسهيل قراءة النصوص اليابانية الموجهة لمن لا يعرفون اللغة، كالأسماء في لافتات الشوارع وجوازات السفر، والقواميس والكتب الدراسية للدارسين الأجانب للغة.

[←29]

تساوي درجة حرارة 38 درجة مئوية.

[←30]

هو نوع من الطباعة الخشبية اليابانية متعددة الألوان؛ تُستخدم هذه التقنية بشكل أساسي في ukiyo-e. تم اختراعه في ستينيات القرن الثامن عشر، وتم تحسينه ونشره على يد صانع الطباعة سوزوكي هارونوبو، الذي أنتج العديد من مطبوعات نيشيكي-إي بين عام 1765 حت وفاته بعد خمس سنوات.

[←31]

تويوهارا تشيكانوبو كان رسامًا يابانيًا وصانع طباعة، يعتبر على نطاق واسع فنانًا غزير الإنتاج خلال فترة ميجي.

[←32]

الإغدراصيلة هي شجرة أسطورية عملاقة تربط العوالم التسعة في علم الكونيات. ذكرت شجرة إغدراصيلة في قصائد شعر إيدا التي جمعت في القرن الثالث عشر من مصادر تراثية قديمة، ونثر إيدا التي كتبت في القرن الثالث عشر بقلم سنوري سترلسون. توصف إغدراصيلة في كلا المصدرين بأنها شجرة دردار هائلة وتشكل مركز الكون وتعتبر مقدسة.

[←33]

في المدارس البوذية المبكرة، تشير كلمة البوداسف إلى اللقب الذي يطلق على أي شخص يشعر برغبة كبيرة لتحقيق البوذوية لصالح جميع الكائنات. وهو ذلك الشخص الذي اتخذ قرارًا

بأن يصبح بوذا وتلقى أيضًا تأكيدًا أو تنبؤًا من بوذا الحي بأن الأمر سيكون كذلك.

[←34]

كان كيكوغورو ممثل كابوكي ياباني، وواحد من أشهر ثلاثة ممثلين واحتفالًا في فترة ميغي. على عكس معظم ممثلي الكابوكي، الذين يتخصصون في نوع معين من الأدوار لعب كيكوغورو أدوار تاتشياكو (الأبطال الذكور) وأوناغاتا (النساء) واشتهر بأدواره في المسرحيات. كان كيكوغورو كذلك معروفًا أيضًا كأحد الممثلين الرئيسيين في النوع الفرعي "الحديث" من مسرحيات الكابوكي المعروفة باسم "مسرحيات الشعر المقصوص"، والتي تتميز بملابس وتصفيفة شعر على الطراز الغربي.

[←35]

بوتان دورو هي قصة شبح يابانية (كايدان) وواحدة من أشهر الكايدان في اليابان. تتضمن الحبكة ممارسة الجنس مع الموتى وعواقب حب الأشباح.

[←36]

عود الصليب أو ورد الحمر أو الفاوانيا نباتٌ عشبيٌ حوليٌ أو مُعمّرٌ شبه متخشبٍ، بريٌ وزراعيٌ يتكاثر بالبذور والعقل له أوراقٌ خنجريّة الشكل، وأزهارٌ حمراء تشبه أزهار الورد.

[←37]

إيدو وتعني حرفيًا «باب الخليج» هو الاسم القديم لمدينة طوكيو في اليابان، وإليها نسبت الفترة المعروفة بـ«فترة إيدو» من التاريخ الياباني والتي صاحبت حكم أسرة «توكوغاوا» للبلاد.

[←38]

كان الهاتاموتو من الساموراي الذين يشكلون القوة العسكرية الخاصة للشوغون. الاسم يعني حرفيًا "مؤيدو الشعارات". وكان هؤلاء هم الطبقة العليا من الساموراي - ليس فقط باعتبارهم تابعين مباشرين لشوغون، ولكن باعتبارهم طبقة أرستقراطية عسكرية.

[←39]

معرض الأقحوان هو معرض للزهور يقام في أجزاء مختلفة من اليابان كل خريف من أكتوبر

إلى نوفمبر.

[←40]

ولعل هذا الحديث قد يبدو غريبا للقارئ الغربي والعربي كذلك؛ ولكنه طبيعي في الحياة اليابانية. فالمشهد بأكمله ياباني بشكل مميز.

[←41]

تم تكرار الدعاء نامو أميدا بوتسو ("التحية لبوذا أميتابها!") كصلاة من أجل الموتى. ويمكن ممارسة Nembutsu بصوت عالٍ أو داخليًا. يمكن تنسيقه مع التنفس أثناء التأمل.

[←42]

أحد المهرجانات السنوية الأكثر شعبية في اليابان، في الفترة من 13 إلى 15 يوليو (من 13 إلى 15 أغسطس في بعض الأماكن)، لتكريم أرواح أسلاف الأسرة المتوفين والموتى بشكل عام. إنها، إلى جانب مهرجان رأس السنة الجديدة، إحدى المناسبتين الرئيسيتين خلال العام حيث يُعتقد أن الموتى يعودون إلى مسقط رأسهم. يتم تنظيف النصب التذكارية، وأداء رقصات المجتمع، وإشعال الفوانيس الورقية والنيران للترحيب بالموتى وتوديعهم في نهاية زيارتهم.

[←43]

شوريودانا هو رف يتم وضعه للترحيب بالأسلاف والأرواح في مهرجان بون، وهو حدث تقليدي في اليابان. يُطلق على شوريودانا أيضًا اسم بوندانا.

[←44]

غيتا هو نوع من أنواع أبسة القدم اليابانية التي تشبه إلى حد كبير القبقاب أو الصندل يصنع من الخشب يثبت في القدم بواسطة حبل قماشي يدخل بين إبهام القدم والأصبع المجاورة له. عادة ما يرتدى الغيتا مع الملابس التقليدية اليابانية مثل الكيمونو أو اليوكاتا وعلى الأغلب في فترات الصيف، أو أحيانا عند هطول المطر أو الثلوج حيث للغيتا ارتفاع أكبر من أنواع الأحذية الأخرى مثل الزوري ولهذا تأثير أكبر على حماية القدم من ماء المطر أو الثلج. سمي بهذا الاسم بسبب الصدى الرنان الذي يشبه الحافر والذي يصدره بقوة على الأرض.

[←45]

لم يعد يتم تصنيع نوع الفانوس المشار إليه هنا. كان مختلفًا تمامًا عن الفانوس اليدوي المنزلي الحديث، المطلي بشعار المالك؛ لكنه لم يكن مختلفًا تمامًا عن بعض أشكال الفوانيس التي لا تزال تُصنع لعيد الموتى، والتي تسمى بون دورد. لم تكن الزهور التي تزينه ملونة، بل كانت زهورًا صناعية من حرير الكريب، وكانت مثبتة في الجزء العلوي من الفانوس.

[←46]

أي لزمن سبعة أعمار متوالية. في الدراما والرومانسية اليابانية، ليس من غير المألوف تصوير الأب على أنه يتبرأ من طفله "لمدة سبعة أرواح". يُطلق على هذا التنصل اسم "الحرمان من الميراث لسبعة أرواح" - مما يدل على أنه في ستة حيوات مستقبلية بعد الحاضر، سيستمر الابن أو الابنة المخطئة في دفع الرسوم كنتيجة لاستياء الوالدين.

[←47]

المهنة لم تنقرض بعد يستخدم النينسومي نوعًا من العدسة المكبرة (أو المرآة المكبرة في بعض الأحيان)، تسمى تنجانكي أو نينسوميجانيه.

[←48]

طبقًا للتقاليد والعرف الياباني لون وشكل الفستان وأسلوب تصفيف الشعر يتم تنظيمهما وفقًا لعمر المرأة.

[←49]

تختلف أشكال وأساليب الكلام التي يستخدمها الساموراي والطبقات العليا الأخرى اختلافًا كبيرًا عن تلك المستخدمة في الطبقات الشعبية؛ ولكن لا يمكن ترجمة هذه الاختلافات بشكل فعال إلى اللغة الإنجليزية وبالتالي إلى العربية.

[←50]

تعني YōKi الخير.

[←51]

بمعنى الكآبة أو الحزن.

[←52]

اسم بوذي يُطلق على الكهنة البوذيين أو غيرهم من الأتباع المتدينين. بينما عامة الناس. يحصلون على الاسم فقط بعد الموت.

[←53]

الكارما أو تناقل السيرة وتعني العمل أو المصير أو الفعل. هي مفهوم أخلاقي في المعتقدات الهندوسية والبوذية والسيخية والطاوية. وتشير إلى مبدأ السببية حيث النوايا والأفعال الفردية تؤثر على مستقبل الفرد. حسن النية والعمل الخير يسهم في إيجاد الكارما الجيدة والسعادة في المستقبل، النية السيئة والفعل السيئ يسهم في إيجاد الكارما السيئة والمعاناة في المستقبل. وترتبط الكارما مع فكرة الولادة الجديدة في الديانات الهندية.

[←54]

الكلمة اليابانية الماموري لها دلالات عديدة على الأقل مثل تلك المرتبطة بمصطلح "التميمة". سيكون من الصعب للغاية تعداد تلك المجموعة المتنوعة من الأشياء الدينية اليابانية التي أطلق عليها هذا الاسم. ولكن في قصتنا هذه كان الماموري عبارة عن صورة صغيرة جدًا، ربما تكون محاطة بضريح مصغر مصنوع من الطلاء أو المعدن، وقد تم رسم غطاء حريري فوقه. غالبًا ما كان يرتدي الساموراي مثل هذه الصور الصغيرة. ويذكر المؤلف أنه قد عرضت عليه مؤخرًا شخصية مصغرة لكوانون، في علبة حديدية، كان يحملها أحد الضباط خلال حرب ساتسوما. ولسبب وجيه يُعتقد أنها ربما أنقذت حياة ذلك الضابط؛ لأنه من المحتمل أنها أوقفت رصاصة. كان أثرها واضحًا عليها.

[←55]

لدى اليابانيين نوعان من الأشباح في فولكلورهم: أرواح الموتى، شيريو؛ وأرواح الأحياء إيكيريو. قد يكون المنزل أو الشخص مسكونًا بالإيكيريو وكذلك بالشيريو.

[←56]

تتضمن الطقوس تقديم عروض مصاحبة من الطعام، وما إلى ذلك، لأولئك الموتى الذين ليس لديهم أقارب أو أصدقاء أحياء لرعايتهم. لكن في هذه الحالة ستكون الخدمة من نوع خاص

واستثنائي.

[←57]

"سوترا" هي كلمة سنسكريتية تشير إلى تلك الكتب المقدسة التي تم تسجيل جميع أنواع. التعاليم واللوائح فيها. هذه الكلمة ليست فريدة من نوعها بالنسبة للبوذية وكانت تعني في الأصل "الخط" أو "الخيط".

[←58]

في الشنتو والبوذية في اليابان، أوفودا هي عبارة عن قطعة من الورق على شكل بطاقة، لوحة، عبارة عن تعويذة مصنوعة من مواد مختلفة مثل الورق أو الخشب أو القماش أو المعدن. توجد أوفودا بشكل شائع في كل من مزارات الشنتو والمعابد البوذية وتعتبر مشبعة بقوة الآلهة (كامي) أو الشخصيات البوذية الموقرة فيها. تسمى هذه التمائم أيضًا باسم **gofu**.

[←59]

وفقًا للطريقة اليابانية القديمة لحساب الوقت، كانت ساعة ياتسودوكي أو الساعة الثامنة هي نفس الساعة الثانية صباحًا في التوقيت الأوروبي. كانت كل ساعة يابانية تساوي ساعتين أوروبيتين، بحيث لم يكن هناك سوى ست ساعات بدلًا من اثنتي عشرة ساعة: وتم حساب هذه الساعات الست بشكل عكسي بالترتيب، 9، 8، 7، 6، 5، 4، وهكذا كانت الساعة التاسعة متوافقة مع منتصف النهار بتوقيتنا، أو منتصف الليل؛ التاسعة والنصف توافق الساعة الواحدة لدينا، الثامنة توافق الساعة الثانية لدينا. إن الساعة الثانية صباحًا، والتي تسمى أيضًا "ساعة الثور"، كانت ساعة الأشباح والعفاريت اليابانية.

[←60]

أون-نيتسو أو شو-نيتسو (بالسنسكريتية "تابانا") هو الجحيم السادس من الجحوم الثمانية الساخنة في البوذية اليابانية. يوم واحد من الحياة في هذا الجحيم يساوي مدة آلاف (يقول البعض ملايين) من سنوات الإنسان.

[←61]

الريو كانت وحدة عملة ذهبية في نظام شاكانهو **Shakkanhō** في اليابان قبل حقبة ميجي. تم استبداله في النهاية بنظام يعتمد على الين.

[←62]

مبادئ الذكر والأنثى في الكون، قوى الطبيعة الإيجابية والسلبية. يشير يوساي هنا إلى فلسفة الطبيعة الصينية القديمة - المعروفة لدى القراء الغربيين باسم فنغ شوي. نشأت تلك الفلسفة منذ حوالي 4000 سنة مضت وهي فن التناغم مع الفضاء المحيط وتدفقات الطاقة من خلال البيئة والتصالح مع النفس ومع الطبيعة المحيطة بالإنسان وبذلك يستطيع التعايش بشكل إيجابي بدون توتر.

[←63]

تعتبر تماثيل جيزو، المرتبطة بالرحمة والشفاء، مشهدًا مألوفًا في اليابان. يظهر على شكل راهب طفولي غالبًا، يشار إليه بمودة باسم O-Jizō-san أو O-Jizō-sama. جيزو هو بوساتسو، وهو المصطلح الياباني للبوديساتفا في البوذية - الشخص الذي يبحث عن التنوير، ولكنه يسعى أيضًا إلى مساعدة الآخرين على الوصولَ إلى حالة البوذية.

[←64]

الأُشنَة هي كائناتٌ تعايشيه تتكون من ترافق بين الطحالب الخضراء المجهرية أو الجراثيم الزرقاء وفطريات خيطية. وتكون العلاقة بينهما في تكافل حيث يقوم الطحلب بعملية البناء الضوئي ويقوم الفطر بامتصاص الماء والأملاح وبذلك يتحقق التوازن في تحصيل الغذاء بين الطرفين. تأخذ الأُشنَة الشكل الخارجي للفطر الشريك لذلك تسمى بناء على نوع الفطر.

[←65]

داي-ميو هي التسمية التي كانت تطلق على كبار الزعماء الإقطاعيين في اليابان منذ القرن الثاني عشر الميلادي وحتى إصلاحات فترة ميجي.

[←66]

بونسي كان اسم عصر ياباني بعد بونكا وقبل تينبو. امتدت هذه الفترة من أبريل 1818 إلى ديسمبر 1830.

[←67]

يمثل البيت المحترق العالم الدنيوي المحترق بنيران الشيخوخة والمرض والموت. تعاليم بوذا هي مثل الأب الذي يجعل الأولاد يتخلون عن ملذاتهم من أجل متعة أعظم، وهي السكينة.

[←68]

أزهار الكرز أو ما يعرف باسم ساكورا هو الاسم الذي يطلق على أشجار الكرز الخاصة بالزينة في اليابان، وهي تثمر ازهازا وردية مزدوجة.

[←69]

في الشعر والعبارات اليابانية المأثورة، يُقارن الجمال الجسدي للمرأة بزهرة الكرز؛ بينما الجمال الأخلاقي الأنثوي يُقارن بزهرة البرقوق.

[←70]

في الزمن الياباني القديم. كانت ساعة الثور هي الساعة الخاصة بالأشباح. وكانت تبدأ عند الساعة الثانية صباحا، وتستمر حتى الرابعة صباحا، حيث كانت الساعة اليابانية القديمة ضعف طول الساعة الحديثة. كانت ساعة النمر تبدأ في الساعة الرابعة صباحًا.

[←71]

Ihai عبارة عن لوح خشبي منقوش عليه الاسم البوذي للشخص المتوفى بعد وفاته لتكريس روح الشخص.

[←72]

تاتسو نو كوكو، أو ساعة التنين، حسب التوقيت الياباني القديم، وكانت تبدأ في حوالي الساعة الثامنة صباحًا.

[←73]

إنيوشي، أستاذ أو عالم متمكن في علم فلسفة الطبيعة الصينية القديمة، المبنية على نظرية مبدأ الذكر والأنثى السائد في الكون.

[←74]

يبلغ طول جسر سيتا الطويل (Séta-no-Naga-Hashi)، المشهور في الأساطير اليابانية، ما يقرب من ثمانمائة قدم، ويتمتع بإطلالة جميلة. يعبر هذا الجسر مياه سيتاغاوا بالقرب من تقاطع النهر مع بحيرة بيوا. يقع معبد إيشيامادیرا، أحد المعابد البوذية الأكثر روعة في اليابان، على بعد مسافة قصيرة من الجسر.

[←75]

حرفيًا، "شخص قرش"، ولكن في هذه القصة فإن ساميبيتو ذكر. في القواميس يتم تقديم الكلمة بشكل فضفاض بواسطة كلمة "حورية البحر"، ولكن كما يظهر الوصف أعلاه، فإن ساميبيتو أو كاجين في الشرق الأقصى هو مفهوم لا يشترك كثيرًا مع الفكرة الغربية لحورية البحر.

[←76]

هو أيضًا الاسم الذي يطلق على هذا العالم الخيالي الموجود تحت البحر والذي يظهر في العديد من الأساطير اليابانية.

[←77]

أحد الأسماء الشعرية القديمة لمقاطعة إيزومو، أو أونشو.

[←78]

الكوة هي نافِذة صغيرة مُستديرة يدخل منها الهواء والضَّوء.

[←79]

كان الري الياباني، في ذلك الوقت، يكافئ على النظام المتري ما مقداره 216/55 أو تقريبًا 3.93 كيلومترًا أو حوالي 2.44 ميل انجليزي.

[←80]

في الخيال الصيني والياباني القديم، كانت مجرة درب التبانة نهرًا مضيئًا، - نهر السماء، - أو النهر الفضي. ويطلق اليابانيون على النهر الفضي اسم "نهر الجنة".

[←81]

هارا كيري وتعرف أيضاً بالسيبوكو (الترجمة الحرفية هي قطع الأحشاء). هذا الفعل كان معروفاً لدى مقاتلي الساموراي الذين يؤمنون بضوابط قانون البوشيدو، وكانوا يلجئون له لتفادي الوقوع في أيدي العدو أو لمسح عار الهزيمة. وكانت تعتبر قيام الساموراي بهذا العمل يكفر عنه خطئه ودليلا عن النبل والطاعة. في كثير من الأحيان كان الساموراي يعين أحد المقربين له ليقطع رأسه بضربة سيف بعد أن يقوم ببقر بطنه بنفسه.

[←82]

يتم إعطاء المتوفى اسمًا بعد وفاته، تم تكوينه بواسطة كاهن، والذي يمكن أن يكون معقدًا للغاية اعتمادًا على عدد الأحرف المستخدمة.

[←83]

هي لعبة لوحة استراتيجية مجردة للاعبين حيث يكون الهدف هو الاستيلاء على مساحة أكبر من الخصم عن طريق تسييج المساحة الفارغة. تم اختراع اللعبة في الصين منذ أكثر من 2500 عام، ويعتقد أنها أقدم لعبة لوحية يتم لعبها بشكل مستمر حتى يومنا هذا.

[←84]

الأبواب الخارجية أو أبواب العواصف هو نوع من الأبواب يتم تثبيته أمام باب الوصول الخارجي لحمايته من سوء الأحوال الجوية والسماح بالتهوية. تتميز الأبواب الخارجية عمومًا بألواح زجاجية قابلة للتبادل وألواح نافذة لتوفير الرؤية والتهوية ومنع الحشرات الطائرة من دخول المنزل.

[←85]

مونغاكو كان ساموراي ياباني وكاهن بوذي شينغون في أواخر فترة هيان وأوائل فترة كاماكورا.

[←86]

بمعنى محارب أو مقاتل.

[←87]

الجواهر البوذية الثلاث تضم بوذا، والعقيدة، أو التدريس، والنظام الرهباني أو المجتمع الديني.

[←88]

الإمبراطور شومو كان الإمبراطور الخامس والأربعون في اليابان. وفقا للتواريخ التقليدية فإن فترة حكمه امتدت بين عامي 724و 749 م.

[←89]

بمعنى "زهرة البرقوق الذهبية".

[←90]

عالم شابا (ساهالوكا)، في اللغة الشائعة، يدل على عالم البشر، أي منطقة الوجود الإنساني.

[←91]

استمرت فترة تينشو من عام 1573 إلى عام 1591 بعد الميلاد. حدثت وفاة القائد العظيم أودا نوبوناغا، الذي يظهر في هذه القصة، في عام 1582.

[←92]

تُعتبر حاليًا جيون منطقة الغيشا في كيوتو حيث تظهر المضيفات عادة بملابس الكيمونو الملونة على جسر تاتسومي الخشبي أو وسط المطاعم اليابانية الفاخرة والمحلات على شارع هاناميكوزي. يستضيف مسرح جيون كورنير رقصات شوماي التقليدية، ويشتهر معبد كينين زي بحديقة الزن، وتقام في ضريح ياكاسا مهرجانات موسمية في ساحته المُضاءة بالمصابيح. تشمل الحياة الليلية السهر في بارات هادئة وصولًا إلى الحانات التقليدية اليابانية المزدحمة.

[←93]

التعبير الأهم لقانون السبب والنتيجة هو أن الأفكار هي الأسباب، والظروف هي النتائج. أفكارك هي القوة الرئيسية التي تتحكم في حياتك، أنت تحدد واقعك بأكمله بواسطة طريقة تفكيرك. جميع المواقف والأشخاص في حياتك اليوم جذبها إليك تفكيرك الذاتي أو حددها لك،

وعندما تغيّر تفكيرك ستتغير حياتك.

[←94]

كان أوغوري سوتان فنانًا دينيًا عظيمًا اشتهر في أوائل القرن الخامس عشر. أصبح كاهنًا بوذيًا في السنوات الأخيرة من حياته.

[←95]

في العمارة اليابانية، الفوسوما هي ألواح مستطيلة أفقية يمكن أن تنزلق من جانب إلى جانب لإعادة تحديد المساحات داخل الغرفة، أو قد تكون بمثابة أبواب في البيوت اليابانية التقليدية.

[←96]

من الأفضل أن يشير مصطلح "الكأس أو الوعاء" إلى نوع الوعاء الذي يشير إليه الراوي. وبعض ما يسمى الكؤوس، المستعملة في مناسبات الاحتفالات، كانت كبيرة للغاية – كانت بالفعل كالأحواض الضحلة القادرة على استيعاب أكثر من ربع جالون من السائل. إن شرب واحدة من تلك الأحجام الكبيرة كان يعتبر عملًا فذًا.

[←97]

عصر تنوا يبدأ من 1681.9.29 وحتى 1684.2.21.

[←98]

هكذا كان يُطلق على المرافق المسلح للساموراي. وكانت علاقة الواكاتو بالساموراي هي علاقة المرافق بالفارس.

[←99]

عادة ما كان يحمل الساموراي سيفين والسيف الأقصر يسمى تانتو بينما السيف الأطول كان يسمى كاتانا katana.

[←100]

يعد الاشيغارو أدنى فئة من العاملين في الخدمة العسكرية.

[←101]

معركة دان-نو-أورا كانت معركة بحرية رئيسية في حرب جينبه وقعت في شيمونوسيكي، ياماغوتشي على سواحل جنوب جزيرة هونشو في اليابان. وقعت المعركة في 25 أبريل 1185 حيث أن مينامونو نو يوشي-تسونه قائد عشيرة مينامونو هزم تايرا نو مونيموري قائد عشيرة تايرا بعد نصف يوم من الصراع. على الرغم من أن جيش تايرا كان عددهم أقل من جيش مينامونو إلا أن بعض المصادر تذكر أنهم كانوا على دراية أكبر بموقع المعركة والتكتيكات البحرية العسكرية حيث قسمت قواتها إلى ثلاث فرق بينما كانت قوة مينامونو بشكل كتلة موحدة. بدأت المعركة بتبادل إطلاق الأسهم على مسافة بعيدة قبل أن تشن تايرا هجوم على سفن مينامونو وتوقف الرماة لفسح المجال للصراع بالسيوف والخناجر بعد أن اقتربت السفن من بعضها البعض، وهنا ظهرت أهمية العدد على التكتيك العسكري فكانت الغلبة لقوات مينامونو. بنتيجة هذه المعركة انتهت سيطرة عشيرة تايرا على الحكم في اليابان. وأصبح مينامونو نو يوريتومو الأخ الأكبر لمينامونو نو يوشي-تسونه أول شوغون وأسس حكومته العسكرية (باكوفو) في كاماكورا.

[←102]

أو سيمونوسيكي Simonoséki. وتعرف المدينة أيضًا باسم بكان Bakkan.

[←103]

البيوا، وهو عبارة عن عود بأربعة أوتار، يستخدم بشكل رئيسي في الانشاد الموسيقي. في السابق، كان يُطلق على المنشدين المحترفين الذين تلوا مقطوعة هايكه-مونوغاتاري Heiké-Monogatari وغيرها من التواريخ والقصص المأساوية اسم بيوا-هوشي، أو "كهنة العود". أصل هذه التسمية غير واضح؛ ولكن من الممكن أنه ربما تم اقتراح ذلك من خلال حقيقة أن "كهنة العود"، كانوا يحلقون رؤوسهم، مثل الكهنة البوذيين. يتم العزف على البيوا بنوع من الريشة، يسمى باتشي، وعادة ما يكون مصنوعًا من قرون الحيوانات.

[←104]

لفظ محترم يدل على طلب الإذن بفتح الباب. تم استخدامه من قبل الساموراي عند استدعاء الحراس المناوبين عند بوابة السيد من أجل فتح الباب والسماح لهم بالدخول.

[←105]

تُسمى سوترا القلب لأنها تمثل قلب الحكمة العظيمة، وقد كتبت بين القرن الأول والقرن السادس الميلادي. وهي مشتركة بين جميع أشكال البوذية المختلفة، وهي بالتأكيد الأكثر شهرة بين السوترات. تتمحور نصوص السوترا حول فراغ كل كائن وكل شيء، لأن أيًا منها لا يمتلك شخصية ثابتة أو جوهرية. كل الأشياء غير دائمة وغير ثابتة وتتواجد في الترابط، وليس في عزلة.

[←106]

"الكوخ" الياباني أو "الصومعة"؛ يستخدم المصطلح للإشارة إلى مسكن صغير غالبًا ما يستخدمه الرهبان من أجل الحصول على العزلة لمواصلة تدريبهم بعيدًا عن رفقة الآخرين.

[←107]

حرفيا، عفريت يأكل الإنسان. يعطي الراوي الياباني أيضًا المصطلح الدارج في اللغة السنسكريتية "Rakshasa" وهي لغة طقوسية للهندوسية، والبوذية. لها موقع في الهند وجنوب شرق آسيا مشابه للغة اللاتينية واليونانية في أوروبا في القرون الوسطى؛ لكن هذه الكلمة غامضة تمامًا مثل كلمة جيكينينكي. من الواضح أن كلمة جيكينينكي تشير هنا إلى أحد أفراد قبيلة بارامون-راسيتسو-غاكي - التي تشكل الطبقة السادسة والعشرين من البريتا المذكورة في الكتب البوذية القديمة.

[←108]

سيغاكي "إطعام الأشباح الجائعة" هي طقوس من طقوس البوذية اليابانية، يتم إجراؤها تقليديًا لوقف معاناة الأشباح / الوحوش المضطربة مثل غاكي "أشباح جائعة"، وجيكينينكي، "الشبح الذي يأكل الإنسان". جميع الأشباح يعذبهم جوع لا ينتهي. وبدلًا من ذلك، تجبرهم الطقوس على العودة إلى نصيبهم من الجحيم.

[←109]

حرفيا، "حجر ذو خمس دوائر أو خمس مناطق. وهو نصب تذكاري جنائزي يتكون من خمسة أجزاء متداخلة - كل منها يمتاز بشكل مختلف - يرمز إلى العناصر الباطنة وهي: الأثير والهواء والنار والماء والأرض.

[←110]

عربة ركاب ذات عجلتين أو ثلاث عجلات.

[←111]

O-jochū أو الفتاة المحترمة: إنه أسلوب مهذب من الخطاب "يستخدم في التحدث إلى سيدة شابة لا يعرفها المتحدث".

[←112]

سوبا أو صوبا هو الاسم الياباني للحنطة السوداء، وتستخدم ذات الكلمة كاسم لنوع من الشعرية دقيقة التي تصنع من دقيق الحنطة السوداء، والتي هي من أشهر أنواع الشعرية المستخدمة في المطبخ الياباني إلى جانب تلك الأكثر منها ثخانة أودون والتي تصنع من الدقيق الأبيض.

[←113]

كيوشو هي ثالث أكبر جزيرة في اليابان، تقع في جنوب الغرب من البلاد.

[←114]

استمرت فترة إيكيو من عام 1429 إلى عام 1441.

[←115]

داي-ميو هي التسمية التي كانت تطلق على كبار الزعماء الإقطاعيين في اليابان منذ القرن الـ12 م وحتى إصلاحات فترة ميجي.

[←116]

"Unsui" هو المصطلح الياباني للرهبان الرحالة. الترجمة الحرفية هي "ضيف السحابة والماء" ويأتي من قصيدة صينية "ينجرف مثل السحب ويطفو مثل الماء".

[←117]

الغُرَيْر أو غرغر هو حيوان آكل للحوم قصير الأرجل ينتمي إلى فصيلة ابن عرس.

[←118]

هذا ما يطلق عادة على نوع من المدفأة الصغيرة، المفتعلة في أرضية الغرفة. عادة ما يكون الـ ro عبارة عن تجويف مربع ضحل، مبطن بالمعدن ونصفه مملوء بالرماد، حيث يتم إشعال الفحم.

[←119]

تطلق على رب الأسرة أو سيد المنزل أو سيد الخدم.

[←120]

سوترا هي كلمة سنسكريتية تعني "سُنّة"، وهي تحمل في تقاليد الأدب والفلسفة الهندية معنى يشير إلى حكم وأقوال مأثورة مكتوبة على شكل نص. تستخدم كلمة سوترا للإشارة إلى النصوص الهندية الدينية القديمة لكل من الهندوسية والبوذية والجاينية.

[←121]

أكثر الناس ضلالًا هم أنفسهم أكثر الناس صلاحًا عندما يتحلون بقوة الإرادة.

[←122]

روكوروكوبي هو نوع من أنواع اليوكاي اليابانية (الأشباح والمخلوقات العجيبة في الفلكلور الياباني). إنهم يشبهون البشر تقريبًا مع بعض الاختلافات. هناك نوع تمتد رقبته ونوع آخر ينفصل رأسه ويطير بحرية.

[←123]

هكذا تسمى الهدية المقدمة للأصدقاء أو الأسرة عند العودة من الرحلة. عادة، بطبيعة الحال، تتكون من شيء تم إنتاجه في المنطقة التي تمت الرحلة إليها: وهذا هو الهدف من دعابة كويريو.

[←124]

بمعني "الصفصاف الأخضر"؛ وعلى الرغم من أنه نادرًا ما سوف تقابل فتاة يُطلق عليها هذا الأسم حاليًا، إلا أنه لا يزال قيد الاستخدام.

[←125]

يمكن قراءة القصيدة بالعديد من الطرق؛ فالكثير من العبارات لها معنى مزدوج. لكن فن بناء القصيدة يحتاج إلى مساحة كبيرة للشرح، ومن المؤكد أن ذلك لا يثير اهتمام القارئ. يمكن التعبير عن المعنى الذي أراد توموتادا إيصاله على النحو التالي: "أثناء رحلتي لزيارة والدتي، التقيت بكائن جميل كالزهرة؛ ومن أجل ذلك الشخص الجميل، أمضي اليوم هنا... أيتها الجميلة، لماذا هذا الاحمرار الذي يشبه لون السماء قبل شروق الشمس؟ - هل يعني ذلك أنك تحبيني؟"

[←126]

يمكن أن تقرأ الأبيات بطريقة أخرى. ولكن تلك الجملة تمثل الإجابة المقصودة.

[←127]

هي الممارسة الأساسية لبوذيي الأرض النقية في جميع أنحاء العالم. إنها طريقة لمواءمة النفس مع الطاقة الصحية لأميتابها بوذا.

[←128]

خادمة مقيمة لدى أسرة أو شخص مرموق.

[←129]

حشرة الزيز أو السيكادا تعتبر من الحشرات التي تصدر صوتًا وتمتلك جناحان غشائيان وعيونًا مركبة. تصدر ذكور الزيز إيقاعًا منتظمًا قبل التزاوج عن طريق اهتزاز الأغشية التي توجد بالقرب من البطن. وتقوم بإحداث صخب وضوضاء عندما يتم أسرها.

[←130]

كوتو هي نوع من الآلات الموسيقية الوترية المقروصة، تعتبر من أهم العناصر في الفرقة

الموسيقية التقليدية اليابانية. يبلغ طول الـ«كوتو» الياباني 1.80 مترا وعرضه 24 سم، عدد أوتارها 13، يتم ربطها فوق صندوق مصوت يصنع من خشب الباولونيا في الأغلب. يجلس العازف، وراء الآلة، إما على الأرض أو فوق كرسي.

[←131]

لقب شرفي نادرًا ما يمكن ترجمته، مركب من كلمتي "هيمي" (أميرة) و"كيمي" (السيادة، أو السيد أو السيدة، وما إلى ذلك).

[←132]

هي الكلمة اليابانية لأرض الموتى (عالم الظلام). وفقًا لأساطير الشنتو كما ورد في كوجيكي، هذا هو المكان الذي يذهب إليه الموتى في الحياة الآخرة.

[←133]

في كتابات الفلاسفة والمؤرخين والشعراء خلال فترة طويلة من التاريخ الصيني، لا تعتبر الينابيع الصفراء موقعًا ماديًا تحت الأرض حيث يقع القبر فحسب، ولكنها أيضًا مساحة مشحونة عاطفيًا تستحضر الحزن والشوق والذاكرة الأحباب الراحلون.

[←134]

تم التغلب على فوجئ شيجيهيرا من قبل يوشيتسوني Yoshitsuné قائد قوات مينامونو Minamoto، بعد معركة تحلى فيها بمنتهى الشجاعة دفاعًا عن العاصمة - التي كانت تحت سيطرة مجموعة تايرا Taïra (أو هايكه Heiké). أطلق جندي يُدعى إيناغا Iyénaga، والذي كان رامي سهام ماهر، سهمًا على حصان شيجيهيرا؛ مما أسفر عن سقوطه أسفل ذلك الحيوان المكافح. حينها صرخ إلى أحد المرافقين ليحضر حصانًا آخر؛ ولكن الرجل هرب. بعد ذلك، تم القبض عليه من قبل ايناغا، وتم تسليمه في النهاية ليوريتومو Yoritomo، رئيس عشيرة مينامونو، الذي قام بإرساله في قفص إلى كاماكورا. وهناك، بعد تعمد إيذائه وتوجيه الإهانات المختلفة إليه، عومل لبعض الوقت باحترام - بعد أن تمكن، من خلال قصيدة صينية، من لمس قلب يوريتومو القاسي. ولكن في العام التالي أعدم بناء على طلب كهنة نانتو Nanto البوذيين، الذين شن ضدهم حربًا سابقًا بأمر من كيوموري Kiyomori.

[←135]

حجر الحبر هو قرطاسية أو أداة مكتب صينية تقليدية. وهو حجر مفرغ يستخدم لطحن الحبر واحتوائه. يتم تصنيع أحجار الحبر أيضًا من الطين والبرونز والحديد والخزف. تطورت المعدة من مجرد أداة فرك تستخدم لفرك الأصباغ ويرجع تاريخها إلى حوالي 6000 إلى 7000 سنة مضت.

[←136]

كان هذا هو الاسم الذي يطلق على زوج من القضبان المعدنية المتصلة بغمد السيف، وتماثل في الشكل عيدان تناول الطعام وتستخدم في بعض الأحيان في تصفيف الشعر. عادة ما تكون مزخرفة بشكل رائع.

[←137]

الخنزير هو الثاني عشر في دورة الأبراج الصينية التي تستمر 12 عامًا. تشمل أعوام الخنزير الحديثة 1923، 1935، 1947، 1959، 1971، 1983، 1995، 2007، 2019، 2031، 2043... باعتباره آخر برج في الأبراج الصينية، يمثل الخنزير الثروة والحظ من العصور القديمة.

[←138]

سنوات النمر الحديثة تشمل 1938، 1950، 1962، 1974، 1986، 1998، 2010، 2022، 2034. يُعرف النمر بأنه ملك جميع الوحوش في الصين.

[←139]

نوع من أنواع المحفة. والمحفة هي فئة من المركبات التي لا تستخدم فيها عجلات ولكن يحملها الرجال لنقل الأشخاص. استخدمت أشكال مختلفة من هذا النوع من المركبات في روما القديمة والصين واليابان وإنجلترا والهند وباكستان وكوريا وتركيا. تأخذ المحفة شكل كرسي أو سرير محمول على قضيبين طويلين يحملان على أكتاف أو بأيدي رجلين أو أكثر.

[←140]

وصلت تعاليم البوذية الباطنية إلى اليابان قادمة من الصين في نهاية القرن الثامن، وسرعان ما وجدت لها تأييدا داخل البلاط الإمبراطوري. وقد تعايشت على مدى القرون التالية المدرستان الرئيسيتان للبوذية الباطنية كمنافستين، وكلتاهما كانت متجذرة بعمق في هياكل سلطة الدولة وطبقة النبلاء.

[←141]

لقب الحكام العسكريين لليابان خلال معظم الفترة الممتدة من 1185 إلى 1868. يتم تعيين الشوغون اسميًا من قبل الإمبراطور، وعادةً ما يكون الشوغون هم الحكام الفعليين للبلاد.